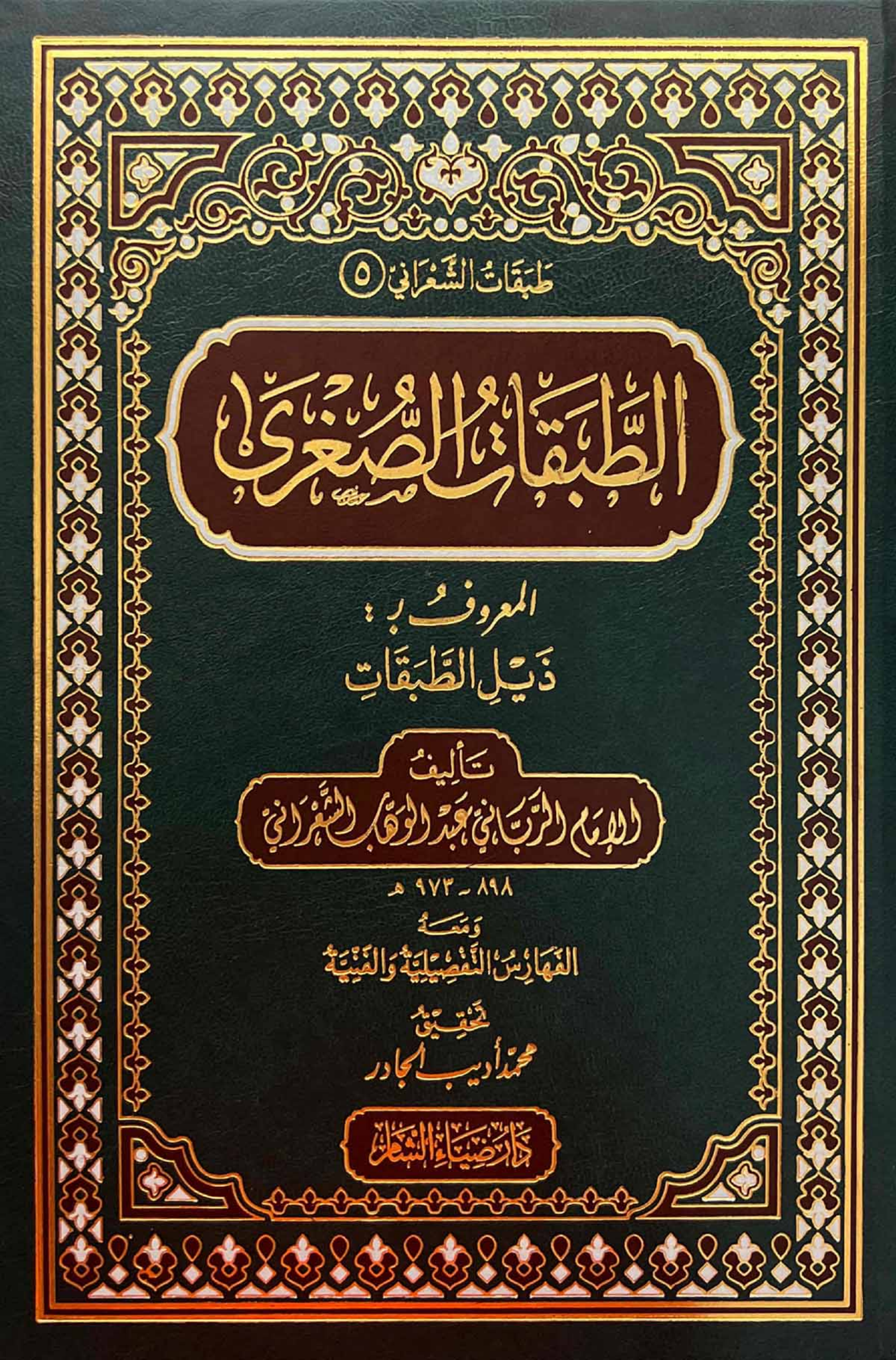
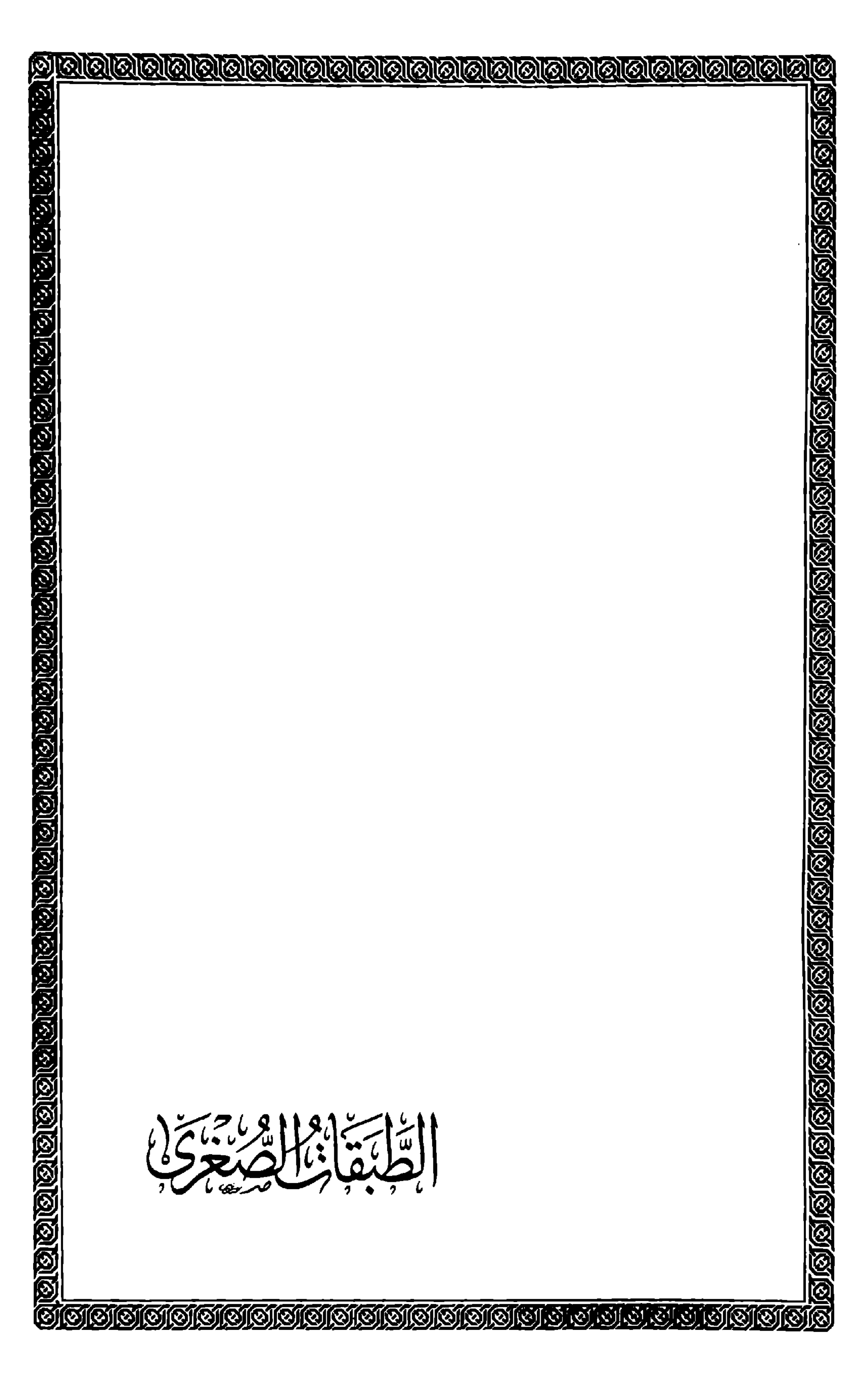


طبقات الشعراني ٥
الطبقات الصغرى
المعروف بـ:
ذيل الطبقات
تأليف
الإمام الرباني عبد الوهاب الشعراني
٨٩٨ - ٩٧٣ هـ
ومعه
الفهارس التفصيلية والفنية
تحقيق
محمد أديب الجادر
دار ضياء الشام


الطبقات الصغرى



الكتـــاب : الطبقات الصغرى

المعروف بـ: ذيل الطبقات

المـؤلــف : الإمام الرباني عبد الوهاب الشعراني

تحقيـــق : محمد أديب الجادر

الناشـــر : دار ضياء الشام

التنفيذ الطباعـي: مطبعة ضياء الشام

عدد الصفحات : ٣٨١

ســنة الطباعة : ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

بلد الطباعة : سوريا

الطبعـــة : الأولى

ISBN: 978-9933-9326-1-9

9 789933 932619



ســورية - دمشــق - حـلبـونـي

هاتــــف: ٤٢ ٦٨ ٢٢٤ ١١ ٠٠٩٦٣

جوال: ٠٠٩٦٣٩٣٣٨٧٨٠٧٥/٠٠٩٦٣٩٥٨٨١١٧٠٠

البريـد الإلكتـروني: deaa.nsr@gmail.com

الطبقات الصغرى

المعروف بـ:

ذيل الطبقات

تأليف

الإمام الربّاني عبد الوهّاب الشّعراني

٨٩٨ - ٩٧٣ هـ

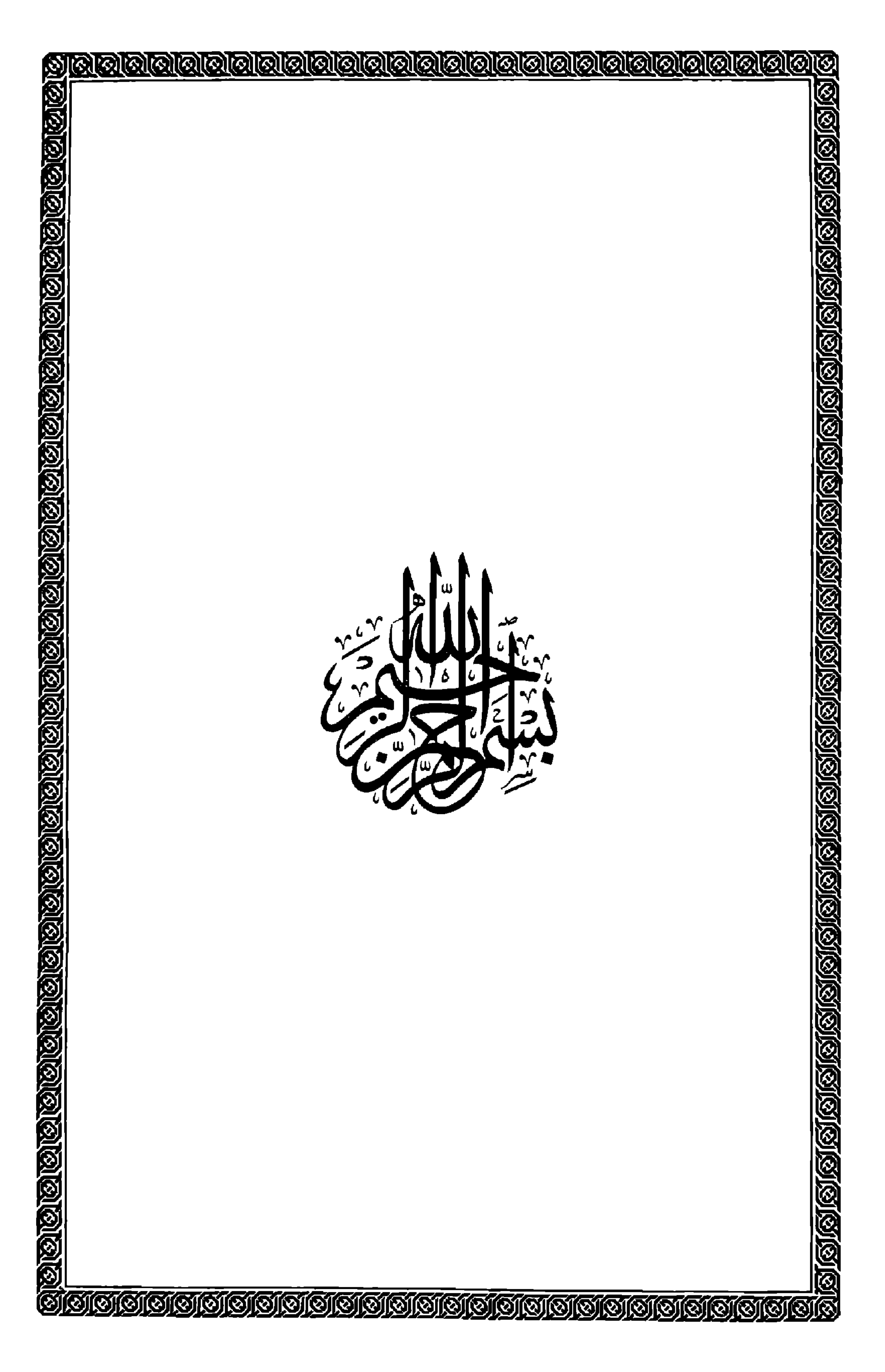
ومعه

الفهارس التفصيلية والفنية

تحقيق

محمد أديب الجادر

دار ضياء الشام


بسم الله الرحمن الرحيم

قالوا في الإمام الشعراني رحمه الله تعالى :

• قال الإمام الخطيب الشربيني في تفسيره السراج المنير :

شيخ وقته الشيخ عبد الوهاب الشعراني. (٢/٢٩٠)

وقال في موضع آخر :

وحضر عندي سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله ببركته . (٢/٥٣٦)

• وقال الإمام الغزي في الكواكب السائرة :

الشيخ الإمام العارف الشعراني ... له طبقات الأولياء ثلاث ، والعهود ، والسنن وغير ذلك ، وكتبه كلها نافعة . (٢/١٥٧)

• وقال الإمام الشرقاوي في التحفة البهية في طبقات الشافعية :

الإمام العالم العامل المعتقد العارف بالله والدال عليه . (٧٠١)

ديباجة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والتسليم علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وبعد :

فهٰذه ذيلٌ « طبقات الأولياء » لمولانا القطب الربَّاني ، والعالم الصمداني ، الشيخِ العارفِ بالله تعالىٰ سيدنا ومولانا عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالىٰ عنه ورحمه ، ونشر علىٰ أسنَّة القبول علمه ، قال[1] :

(١) أثبتت الديباجة من (ج) .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه ثقتي

القسم الثالث(1)

في ذكر مناقب العلماء الذين صحبناهم

وفيه ثلاثة أبواب

الباب الأول

في ذكر مناقب العلماء الذين قرأنا عليهم العلوم الشرعية ومتعلقاتها ؛ من نحوٍ ، وأصول ، ومعانٍ ، وبيان ، وغير ذلك .

وقد ذكرنا الكتبَ التي شرحناها عليهم في كتاب « المنن » .

الباب الثاني

في ذكر مناقب من صحبناه ، ولم نقرأ عليه ؛ إمَّا لاستغنائنا عنه بأقرانه أو بأشياخه ، أو لمخالفته لنا في المذهب .

الباب الثالث

في ذكر مناقب من صحبناه من الأقران المدرِّسين [والمفتين](2) إلىٰ ختام سنة ستين

---

(1) تفردت النسخة (أ) بذكر هذا القسم حتى نهاية ترجمة الشمس الدواخلي (ص ٢٩) ، وقد تقدم هذا القسم برمته في « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٥ـ ٣٧٩) .

(2) ما بين معقوفين مثبت من « الطبقات الوسطى » (٣/ ٣٦٥) .

وتسع مئة ، ولم نلتزم فيه تقديمَ الأفضل على غيره ؛ لجهلنا بمراتبهم الآن ، وبما ينتهي أمرُهم إليه عند طلوع الروح .

وقد سبقني إلىٰ نحو ذلك سيدي عبدُ العزيز[1] الديريني رضي الله عنه ، فذكر مشايخَهُ في العلم في أرجوزةٍ ، وهـٰأنا ملخِّصٌ لك بالمعنى عيونَها ؛ تبرُّكاً بها ، فأقول وبالله التوفيق :

قال سيدي عبدُ العزيز وهو لسانُ حالي أيضاً بعد الحمدِ والصلاة ، وذكر بعضَ حكم وآدابٍ : [من الرجز]

وأذكرُ الآنَ رجالاً كانوا ... كأنجمٍ يزهو بها الزمانُ
مشايخاً صحبتُهمْ زماناً ... أو زرتُهم تبرُّكاً أحياناً
منهمْ سراجُ الدِّينِ عبدُ اللهِ ... كنَّا بفضلِ علمِهِ نُباهي
صحبتُهُ سبعَ سنينَ أوَّلا ... وكنتُ في خدمتِهِ تفضلا
أعني منَ اللهِ عليَّ فضلا ... ما كنتُ في القدرِ [لذاكَ] أهلا[2]
وكان [بحراً][3] في علومِ النظرِ ... والفقهِ والتحقيقِ ذا تَبَحُّرِ
والزهدِ والفتوةِ المذكورهْ ... والصدقِ والعبارةِ المشهورهْ
والشيخُ تاجُ الدينِ بهرامُ البدلْ ... كانَ إماماً في العلومِ والعملْ
أوصافُهُ في فضلِهِ مشهورهْ ... وكمْ لهُ كرامةٌ مأثورهْ
صحبتُهُ خمساً وعشرينَ سَنَهْ ... كأنَّها مِنْ طيبِها كانتْ سِنَهْ
والشيخُ زينُ الدِّينِ بالمحلَّهْ ... أعني أبا بكرٍ فما أَجَلَّهْ
وعلمُهُ وزهدُهُ معروفُ ... ونسكُهُ بينَ الورىٰ مَوصوفُ
قدْ نلتُ منهُ دعوةً مُجابَهْ ... وصحبةً لي معَهَا قرابَهْ

(١) في (أ) : (عبد الله) .
(٢) في (أ) : (ولذلك) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٦) .
(٣) في (أ) : (بحر) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٦) .

وشيخُنا عبدُ الوهابِ بنُ خلفْ كانَ شبيهاً في السُّلوكِ بالسلفْ
لهُ علومٌ جمَّةٌ وزهدُ وورعٌ وخشيةٌ وقصدُ
والشيخُ مجدُ الدِّينِ ذو الفنونِ هوَ ابنُ عبدِ الصَّمدِ الأمينِ
محمدُ المنتسبُ الأنصاري كالبحرِ في معرفةِ الآثارِ
رويتُ عنهُ كلَّ ما يَرويهِ منْ سائرِ العلومِ أو يُمليهِ
وقدْ صحبتُ الشرفَ ابنَ ثعلبِ ونلتُ منْ جَدواهُ أيَّ مطلبِ[1]
صحبتُهُ عامَ بلوغي طالبا مهاجراً إلى حماهُ راغبا
وجامعُ الفضلينِ عبدُ المعطي أنفاسُهُ كأسهمٍ لا تُخطي
أفادني في مدَّةٍ قليلهْ فوائداً[2] عظيمةً جليلهْ
والشيخُ عزُّ الدِّينِ تاجُ العُلما[3] بدرُ الزمانِ قال ذاكَ العلما
لاحتْ لنا منْ نحوهِ المسرَّهْ طُوبى لعينٍ نظرتْهُ مرَّهْ
والعالمُ الكاملُ إبراهيمُ[4] ابنُ خليلٍ فضلُهُ معلومُ
عاشَ سليماً منْ جميعِ الرِّقِّ مُستغنياً باللهِ لا بالخلقِ
ذو الخُلُقِ المُستحسنِ الرَّضيِّ والمنظرِ المُستعظمِ البهيِّ
عُمِّرَ في نزاهةٍ وطاعهْ وعفَّةٍ يزينُها قناعهْ
والشيخُ إسماعيلُ منْ قطورِ راوي شفاء علَّة الصدورِ
وقدْ صحبتُ العالمَ الصَّفراوي ثم الزكيَّ العالمَ المنشاوي[5]
[كذا الإمامُ الظَّاهرُ المحلِّي][6] خطيبُ مصرَ الطاهرِ المحلِّ

---

(١) في (أ) : (ابن تغلبا، مطلبا) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٦) .
(٢) في (أ) : (فوائد) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٦) .
(٣) في (أ) : (ملح العلماء) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٦) .
(٤) في « الطبقات الوسطى » : (العامل) بدل (الكامل) .
(٥) في (أ) : (ثم العالم الزكي المنشاوي) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٦) ، وفيها هنا زيادة بيت ؛ وهو :
كذلكَ البرهانُ بالمحلَّهْ وبعدَ داودَ ارتقى مَحلَّهْ
(٦) في (أ): (كذلك الإمام ظاهر المحلي) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٧).

[وصهرُه][1] المجدُ هوَ الإخميمي لقيتُهُ بمصرَ للتسليمِ
فهؤلاءِ كلُّهمْ أبرارُ أئمةٌ لدينِنا أخيارُ
[غطَّاهمُ][2] العلمُ فهمْ في سترِ والنَّجمُ لا يَظهرُ وقتَ الظهرِ
لأنَّ نورَ علمِهمْ كالشَّمسِ فزهدُهمْ مُستترٌ في طمسِ
وفضلهمْ يُغني الورَىٰ عنْ شاهدِ فليسَ يُخفيهِ سوىٰ معاندِ
وإنما يحتاجُ للكرامهْ مَنْ لمْ يكنْ لفضلِهِ علامهْ

وأطال في ذلك ثم قال :

وعلمُ تفسيرِ الكتابِ أعلىٰ ما يَعتني المرءُ بهِ [وأَغلىٰ][3]
لأنَّهُ فهمُ خطابِ المولىٰ فكانَ [أَوفىٰ][4] مطلبٍ وأولىٰ
وكلُّ علمٍ فمِنَ القُرآنِ وفيهِ أصلُ سائرِ المعاني
ثمَّ حديثِ المصطفىٰ محمَّدِ فإنَّهُ نورٌ لكلِّ مُقتدي
والفقه في معرفةِ الأحكامِ والفصلِ بينَ الحِلِّ والحرامِ

وأطال في ذلك ثم قال :

ثم العلومُ ليس يُحصىٰ حدُّها [ولا يُطاقُ حصرُها][5] وعدُّها
وعمرُ كلِّ واحدٍ يَضيقُ عنْ كلِّ علمٍ رامَهُ الفريقُ
وكانتِ الرِّجالُ منْ قديمِ منْ قوَّةِ الهمَّةِ والتعليمِ
ليسَ لهمْ علاقةٌ [دنيَّهْ][6] تشغلُهمْ بلْ همَّةٌ عليَّهْ
[وصار][7] أهلُ عصرِنا في غمرهْ وغفلةٍ طويلةٍ وسكرهْ

---

(1) (أ): (وصهر) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٧) .
(2) في (أ) : (أعطاهم) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٧) .
(3) في (أ) : (وأولى) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٧) .
(4) (أ) : (أولى) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٧) .
(5) في (أ) : (وليس يحصى حصرها) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٧) .
(6) في (أ) : (بنية) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٧) .
(7) في (أ) : (بل صار) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٧) .

فقــدِّمِ الأهــمَّ ثــمَّ الأَحسنــا مِــنْ كــلِّ علــمٍ حَسَــنٍ إنْ أَمكنــا
لكــنْ أُنــاسٌ عكسُــوا التَّــرتيبــا فــأهملــوا الأَهــمَّ والمطلــوبــا
وكــلُّ علــمٍ حسنُــهُ فــي مطلبِــهْ معتبــرٌ بقــدرِ قبــحِ الجهــلِ بــه
والعلــمُ زادٌ للسُّلــوكِ والعمــلْ ومــا رأينــا بــالكــلامِ مَــنْ وصــلْ
كــواصــفِ الأطعمــةِ الــرَّفيعــهْ [واللبــسِ][1] والأبنيــةِ المنيعــهْ
وهوَ منَ الجوعِ [وتضييعِ الفرصْ][2] والفكــرِ والهــمِّ العظيــمِ فــي غُصــصْ
وآخــرونَ حُــرمــوا الإخــلاصــا فمــا رأوا مــنَ الهــوىٰ خــلاصــا
والعــالــمُ المخصــوص[3] بــالتــوفيــقِ مَــنْ جــرَّهُ العلــمُ إلــى التَّحقيــقِ
فجــاهــدَ النَّفــسَ وســلَّ السيفــا ولَــمْ يُعلِّــلْ بعســىٰ وســوفــا
ولا تــذوقُ النَّفــسُ طعــمَ التقــوىٰ إلا إذا منعتَهــا مــا تهــوىٰ
والشهــواتُ كــالسِّبــاعِ الكــاســرهْ وصفقــةُ الهــالــكِ منهــا خــاســرهْ
والعبــدُ لا يَصيــرُ حــرّاً عنهــا وقلبُــهُ فــي [أَســرِ][4] شــيءٍ منهــا
ومَــنْ نفــى المــذمــومَ بــالــرِّيــاضــهْ [طهَّــرَ مِــنْ أســرارِهِ رِيــاضــهْ][5]
وصــار مَــوطنــاً لكــلِّ [غــرسِ][6] [ولاجتنــاءِ] ثمــراتِ الغَــرْسِ[7]
إذا بــدا بــادٍ مــنَ [الحقــائــقِ][8] لســالــكٍ فــرَّ مــنَ العــلائــقِ
وصــارَ مــا يقصــدُ بــالمجــاهــدهْ ميسَّــراً سهــلاً بــلا مكــابــدهْ

---

(١) في (أ) : (في اللبس) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٧) .
(٢) في (أ) : (ومفسح الغوص) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٧) .
(٣) في « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٧) : (والعالم المحفوف) .
(٤) في (أ) : (إثر) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٨) .
(٥) في (أ) : (ظهر سر سرائر رياضه) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٨) .
(٦) في (أ) : (عرش) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٨) .
(٧) في (أ) : (ولا اجتنى) بدل (ولاجتناء) .
(٨) في (أ) : (الخلائق) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٨)

مثلُ الملوكِ نزلوا ببقعةْ ... فارتحلتْ منها الرعاع سُرْعَةْ[1]

وجِيئتِ الجنودُ والعساكرُ ... في الأرضِ واستقامتِ الأوامرُ

وجاءَ جيشُ العزمِ والإنابةْ ... [والصدقِ والتوبةِ والإجابةْ][2]

والذِّكرِ والقرانِ والزهادةْ ... والخوفِ والخشوعِ والإرادةْ

[والصبرِ][3] والرِّضا وشكرِ النعمةْ ... وخشيةِ اللهِ وحفظِ الحرمةْ[4]

والقصدِ والهيبةِ والحياءِ ... والأُنسِ بالمحبوبِ والرجاءِ

وصحَّةِ الإخلاصِ والتوكُّلِ ... والشوقِ والتسليمِ والتبتُّلِ

والجمعِ والفرقانِ والمحبَّةْ ... ثمَّ الفنا عنْ سائرِ الأحبَّةْ

ثمَّ الغنى عنْ رؤيةِ الغناءِ[5] ... والشُّغلِ بالمعطي عنِ العطاءِ

وصحةِ التجريدِ والتفريدِ ... والفَرَقِ الدائمِ والتوحيدِ

فهٰذهِ معالمُ الطريقةْ ... والجمع بينَ العلمِ والحقيقةْ

ولا تُنالُ دونَ بذلِ الرُّوحِ ... فٱغنَ عنِ التصريحِ بالتلويحِ

والحمدُ للهِ على التَّحقيقِ ... فهوَ غياثِي وبهِ توفيقِي

انتهىٰ كلام سيدي عبد العزيز رضي الله عنه ملخَّصاً .

ولنشرع الآن في مقصود الكتاب ، فنقول وبالله التوفيق :

---

(١) في « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٨) : (الرعاة) بدل (الرعاع) .

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٨) .

(٣) في (أ) : (والشكر) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٨) .

(٤) في (أ) : (الرحمة) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٨) .

(٥) في « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٨) : (ثم الفنا عن رؤية الفناء) .

البَاب الأوَّل

في ذكر جماعة أدركناهم وقرأنا عليهم

الباب الأول

في ذكر جملة من مشايخ الإسلام الذين أدركناهم وأخذنا عنهم العلوم من فقهاء ومحدثين ، ونحاة وأصوليين ، ونحوهم رضي الله عنهم أجمعين

وقد حُبِّبَ لي أن أصدِّرَ هـٰذا الباب بذكر سندنا بالفقه إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ [ليعرف الطالب أباه][1] في العلم ، فقلَّ من الطلبة من يعرفُ ذلك ، **فأقول وبالله التوفيق** :

أخذتُ علم الفقه والتفسير والحديث وغير ذلك عن جماعةٍ بأسانيد مختلفة ، أخصرُها طريقُ شيخ الإسلام زكريا رضي الله عنه ، وقد خدمتُهُ وقرأتُ عليه مدة عشرين سنة[2] ، وقد ذكرتُ في كتاب « المنن » عدَّة الكتبِ التي قرأتُها عليه ، فراجعْهُ .

وقد أخبرنا بلفظه : أنه أخذَ علمَ الفقه عن شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني ، والحافظ ابن حجر ، والشيخ جلال الدين المحلِّي .

وأخذ هـٰؤلاء الثلاثةُ الفقهَ عن [الشيخ عبد الرحيم العراقي ، عن][3] الشيخ علاء الدين بن العطار ، عن محقِّق المذهب ومرجِّحِه العالمِ الصالح يحيى بن شرف النووي ، عن الشيخ الإمام كمال سلار الإربلي ، عن الشيخ محمد بن محمد صاحب « الشامل الصغير »[4] ، عن الشيخ عبد الغفار القزويني صاحب « الحاوي » ، عن

---

(١) في (أ) : (لنعرِّف الطالب إياه) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤ / ٣٦٩) .

(٢) في « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٩) : (مدة عشر سنين) .

(٣) ما بين معقوفين مستدرك من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٩) .

(٤) في (أ) : (الكبير) .

أبي القاسم الرافعي شيخ المذهب ، عن الإمام محمد أبي الفضل ، عن محمد بن يحيىٰ ، عن حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، عن [أبي][(١)] المعالي محمد إمام الحرمين ، عن والده الشيخ أبي محمد الجُويني ، عن أبي بكر القفَّال المروزي ، [عن أبي زيد المروزي][(٢)] ، عن أبي العباس بن سريج ، عن أبي سعيد الأنماطي ، عن أبي إسحاق إبراهيم المزني ، عن الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعي ، عن الإمام مسلم بن خالد [الزَّنْجي] ، عن محمد بن [جُريج][(٣)] ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلىٰ سائر الأنبياء والمرسلين وعلىٰ آلهم وصحبهم أجمعين .

ولم أذكرْ من أشياخي إلا من كان جامعاً بين العلم والعمل .

* * *

فأولهم :

(١) والدي ، الشيخُ الإمام ، العالم العلامة الفقيه المحدِّث ، النحوي المقرئ ، الورع الزاهد الشيخُ شهابُ الدين أحمد الشعراني رضي الله تعالىٰ عنه[(٤)]

قرأتُ عليه النِّصفَ الأخير من القرآن ، وسمعتُ منه الحديثَ .

وسأل لي الإجازةَ من الشيخ جلال الدِّين السُّيوطي ، فأجازني بجميع مروياته وعمري عشر سنين .

كان رضي الله عنه قوَّاماً بالليل ، صواماً بالنهار ، ولا يأكلُ طعاماً لأحدٍ من الولاة وأعوانهم .

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٩) .

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٩) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ) : (جرير) والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٦٩) .

(٤) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٠) (٥٠٩) .

وسمعتُهُ مرَّةً يقول : (قد جمعتُ بحمدِ الله من العلومِ ما لو اجتمعَ سائرُ علماء الجامع الأزهر ، لقطعتُهم بالحجج) .

مات رضي الله عنه سنة سبعٍ وتسع مئة ، ودفن بجانب قبر والده بزاويته في ناحية ساقية أبي شعرة ، رضي الله عنه .

وكان إذا صلىٰ بالليل وقرأ القرآنَ يُبكي الناسَ من الخشوع ، ويخرُّ بعضُهم إلى الأرض .

فصلَّىٰ خلفه الشيخ كمالُ الدين الطويل فكاد أن يخرَّ إلى الأرض ، فقال له : أنت لا يُناسبك إلا إمامة الجامع الأزهر[١]

وكان له الباعُ الطويل في إنشاء الخطب ، والنظم ، وفي علم الفلك ، والفرائض .

وكان يعملُ الدوائر ، ويشدُّ المناكيب ، وهو مع ذلك لا يخلُّ[٢] بأمرِ معاشه ؛ من حرثٍ ، وحصادٍ ، ودياس ، وشهادة بين الناس في ضبط خراجهم احتساباً .

وكان ينشئ الخطبةَ حالَ صعوده المنبر .

وبلغه أنَّ الإمامَ عليَّ بن أبي طالب خطَبَ بخطبة لا ألفَ فيها ، [حين تذاكرَ عنده العرب][٣] أنَّ الألفَ أدخل الحروف في الكلام ، فأنشأ خطبةً ليس فيها حرفُ الألف ، وجمع فيها الأركان .

أولها : (حمدتُ ربِّي وربَّ كلِّ مخلوق ، بحمد عظيم من قلب مؤمنٍ صدوق ، يُسبِّحُ بحمده شجرٌ ومدرٌ ونجوم وغيوب وبروقٌ ، وشمس وقمر وبحر وبرٌّ في غروب وشروق)[٤]

---

(١) في « الطبقات الوسطى » : زيادة : (لا بالريف) .
(٢) في (أ) : (لا يخلو) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧١) .
(٣) في (أ) : (حين تواتر عن العرب) .
(٤) في (أ) : (مع شروق) .

ومن جملة وعظها : (عليكم بتطهير قلبٍ شُغف بحبِّ كلِّ فسوق ، ومسودٌ من غلٍّ وحقد وحسد ودنسٍ به معلوق ، فقد علمتُم سيركم للمحشر ودموعُكم دلوق ، مع كلِّ شخصٍ منكم شهيدٌ يشهدُ عليه وحثيث له يسوق ، فيومئذٍ تُعرضون [ثم تتميَّزون][١] فمؤمنٌ مع نبيِّهِ ومجرمٌ مع يغوث ويعوق. . .) إلىٰ آخر ما قال .

وكان له توجُّهٌ صادق في قضاء حوائج الناس ، وقيامٌ طويل في الليل بثلث القرآن وأكثر في كلِّ ليلةٍ .

وأتاه مرَّةً شخصٌ من العصاة الذين يقطعون الطريق ، فقال : اكتبْ في ورقة بأنَّ لي عند فلانٍ ثمنَ ثور ، فقال : حتىٰ [يأتي] أحدٌ يشهد لك ، فغضب العاصي وتَوعَّدَهُ بالقتل ، وصار يكمنُ لقتله كلَّ ليلةٍ ، فقال له أخي الشيخ عبد القادر : يا سيدي ؛ ادعُ علىٰ هـٰذا المنافق ، فقال : يا ولدي ؛ في الله كفايةٌ ، ثم نام تلك الليلة ، فرأىٰ هاتفاً يقول له : بعد غدٍ يقطعُ رأسُ عدوِّك في ساحل البحر قبل طلوع الشمس ، فكان الأمرُ كذلك ، فبينما نحن راجعون من الجامع بعد صلاة الصبح إذ وجدَه حسامُ الدين بن بغداد فقطعَ رأسَهُ .

وكان اشتغالهُ بالعلوم علىٰ والدِهِ ، ووالدُهُ أخذ العلم عن شيخ الإسلام صالح البلقيني ، وعن الشيخ يحيى المناوي ، وعن الحافظ ابن حجر .

وقد كنتُ أقرأُ عليه مرَّةً في سورة (الصافات) ، فلما بلغتُ قوله تعالىٰ : ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۞ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾ [٥٥ـ ٥٦] فبكىٰ حتىٰ أُغمي عليه ، وصار يتمرَّغُ في الأرض كالطير المذبوح ، وكان عمري إذ ذاك ثمان سنين .

وصنَّف عدَّةَ مؤلفات في علم الحديث والنحو والأصول والمعاني والبيان ، [فنُهبتْ][٢] مؤلفاته كلُّها فلم يتغير وقال : قد ألَّفناها لله تعالى ؛ فلا علينا أن يَنسبَها الناسُ إلينا [أم لا][٣] ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧١) .

(٢) في (أ) : (فذهبت) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٢) .

(٣) ما بين معقوفين مستدرك من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٢) .

ومنهم :

(٢) شيخُنا العالم الصالح ، المفنن في العلوم والمعدُّ لحلِّ المشكلات سيدي علي النَّبْتِيتي الضرير رضي الله عنه[١]

كان له مكاشفاتٌ عجيبة ، وأخلاق شريفة ، وخوفٌ عظيم من الله تعالىٰ حتىٰ كأنَّ النارَ لم تُخلق إلا له وحده .

وكان علىٰ قدمٍ عظيم في العلم والعمل ، جبلاً في العلوم الظاهرة والباطنة والأخلاق المرضية .

وكان مخصوصاً في عصره بالاجتماع بالخضرِ عليه السلام من بين العلماء ، وذلك من علامة كماله وتمكُّنِهِ في مقام الولاية ؛ فإن أشياخَ الطريق أجمعوا على أنه لا يقدرُ علىٰ صحبة الخضر عليه السلام في اليقظة إلا من كان له قدمُ الولاية في الكبرىٰ[٢] ؛ لعزَّةِ اجتماعه ، وعزَّة شرائطه في (صحة الاجتماع به)[٣] ، وكيف لأحدٍ أن يصحبَهُ وقد وقعَ له مع السيد موسىٰ ما وقع ، وكان آخرُ أمره أن قال : ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف : ٧٨] ؟! لـٰكنْ يراه بعضُ المريدين في المنام ؛ لعجزهم عن مجالسته في اليقظة .

وقد رأيتُه عليه السلام في بداية أمري ، وعلَّمني ميزاناً في العقائد ، وميزاناً في الشريعة يردَّانِ جميعَ أقوال العلماء إلىٰ مرتبتين :

أما ميزان العقائد في الله تعالىٰ فقال : كلُّها ترجعُ إلى الإطلاق والتقييد ؛ أي : التنزيه والتشبيه ؛ فالتنزيه : علمُ الله تعالىٰ بنفسه ، والتشبيهُ علمُ الخلق بربِّهم ؛ فكلُّ ما جاء في الكتاب والسنة وأقوال الأئمة ممّا يعطي ظاهره التشبيه ، فرجِّعه إلىٰ علم الخلق ، وكلُّ ما جاء من التنزيه رجِّعه إلىٰ معرفة الحقِّ تعالىٰ بنفسه ، ولا تحتاجُ مع ذلك إلىٰ تأويلٍ أبداً .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٣٥٣) (٣٤٧) ، و« الوسطى » (٤/ ٣٧٢) (٥١٠) .

(٢) في « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٢) : (من حق له مقام الولاية الكبرى) .

(٣) في (أ) : (صحبة الاجتماع) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٢) .

وأما ميزان الشريعة : فكلُّها ترجعُ إلىٰ مرتبتين ؛ تخفيفٍ ، وتشديدٍ ؛ أي : عزيمةٍ ورخصةٍ ، فمن قَوِيَ من الخلقِ خُوطب بالعزائم ، ومن ضعفَ منهم خُوطب بالرخصة [بشرطها][١] المعروف عند العلماء .

ثم قال لي : امتحنْ ذلك بمذهبك مع غيره ، أو بالقول الأصحِّ في مذهبك ، مع مقابله يتَّضحْ لك ذلك ؛ لأنَّ أحدَ القولين لا بدَّ أن يكونَ مائلاً إلى التشديد ، والآخرَ إلى التخفيف ، فمن ذاقَ ذلك لم يرَ في الشريعة المطهَّرةِ تناقضاً أبداً . انتهىٰ .

وقد شرحتُ هـٰذين الميزانين بنحو كرَّاستين ، وكتبَ عليهما علماءُ مصر ، وأذعنوا لهما تسليماً وتقليداً ، لا ذوقاً ، فالحمدُ لله ربِّ العالمين .

وكان أول اجتماعي بسيدي علي في المدرسة الكاملية بخطٍّ بين القصرين ، وأملاني حديثَ عائشةَ رضي الله عنها الذي رواه الطبراني وغيرُهُ مرفوعاً ، « مَنْ أرضى الناسَ بسخطِ اللهِ سخطَ اللهُ عليهِ ، وأَسخطَ عليهِ الناسَ ، ومَنْ أرضى اللهَ بسخطِ الناسِ رضيَ اللهُ عنه ، وأرضىٰ عنهُ الناسَ »[٢]

ثم قرأتُ [عليه][٣] بعضَ دروسٍ من كتاب « المنهاج » في الفقه ، لتكون له شياخةٌ عليَّ .

وسألتُهُ عن شروط الاجتماع بالخضر عليه السلام ، فقال لي : (هي ثلاثةُ شروط :

الأولىٰ : أن يكونَ علىٰ سُنةٍ في جميع أحواله .

والثاني : ألاَّ يكونَ له حرصٌ على الدنيا ، ولا يبيتَ علىٰ دينارٍ ولا درهم إلا الدين .

والثالث : أن يكونَ سليمَ الصدر[٤] ، ليس في قلبه غلٌّ ، ولا حقدٌ ، ولا حسدٌ لأحد منهم .

---

(١) في (أ) : (بشروطها) .

(٢) المعجم الكبير (١١/ ٢٦٨) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » : (١٠/ ٣٨٦) : (رجاله رجال الصحيح) ، ورواه عن السيدة عائشة الترمذي (٢٤١٤) بلفظ مقارب .

(٣) ما بين معقوفين مستدرك من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٣) .

(٤) في « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٤) زيادة : (لأهل الإسلام) .

فمن لم تجتمع فيه هـٰذه الشروطُ لا يجتمعُ بالخضرُ ، ولو كان علىٰ عبادةِ الثقلين)
انتهىٰ .

وقد رأيتُ في « رسالة القشيري »[١] ما يؤيِّدُ الشرطَ الثاني ، وذلك أنَّ [أبا عُبيدِ الله البُسري][٢] رضي الله عنه كان يجتمع بالخضر عليه السلام يقظةً ، ويحادثُهُ كثيراً ، ثم انقطعَ عنه الخضرُ ، فصار يراه في المنام دون اليقظة ، فقال في نفسه : لابدَّ أن يكون سبقَ منكِ هفوةٌ ، ثم إنه رأى الخضر ، فسأله عن سبب انقطاعه عنه في اليقظة ، فقال : أَتَذْكُرُ يوماً قلتَ فيه لزوجتك : ضعي هـٰذا الدرهمَ على الرفِّ إلىٰ بكرةِ النهار ؟ [فقال : نعم][٣] ، فقال : نحن لا نصحبُ من يدَّخرُ قوتَ غدٍ ، ثم [لم يزل][٤] يراه في المنام دون اليقظة إلىٰ أن مات [البُسريُّ][٥] رحمه الله تعالى .

وسيأتي في ترجمة شيخ الإسلام زكريا رضي الله عنه[٦] : أن سيدي عليّاً سأل الخضرَ عليه السلام عن حال الشيخ زكريا ، فقال : نعم منه ، إلا أن عنده نُفيسةً تزولُ إن شاء الله تعالىٰ ، فلما أعلمه سيدي عليٌّ ، بذلك ، تكدَّرَ وصار كلُّ ناقصةٍ وقعَ فيها يقول : لعلَّ هـٰذه مرادُ الخضر عليه السلام ، فأرسلَ يسألُ سيدي عليّاً أن يسأل له الخضرَ عن تلك النفيسة ، فرآه بعد [سبعة] شهور[٧] ، فقال : إنه يرسلُ قاصدَهُ إلى الأمراء ويقول لأحدهم : قل للأمير : يقولُ لك الشيخُ زكريا : كذا وكذا ، ويُسمي نفسَهُ شيخاً ، [فقال الشيخ زكريا : صدق عليه السلام ، ومن ذلك اليوم صار يقولُ : زكريا][٨] من غير لفظ شيخ . انتهى .

---

(١) لم أجده في المطبوع من « الرسالة القشيرية » .
(٢) في (أ) : (أبا عبد الله القشيري) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٤) .
(٣) ما بين معقوفين مستدرك من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٤) .
(٤) ما بين معقوفين مستدرك من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٤) .
(٥) ما بين معقوفين مستدرك من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٤) .
(٦) انظر (٥/ ٥٢) .
(٧) في (أ) : (سبع) .
(٨) ما بين معقوفين مستدرك من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٤) .

وأخبرني الشيخ عمرُ المفتي ولدُ سيدي عليٍّ : أن يدَ [والده][١] لم تزل ممدودةً نحو السماء ؛ إذا جلس ، وإذا مشىٰ ، وإذا اضطجع ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن الحقَّ تعالىٰ عطاؤه فيَّاضٌ في الليل والنهار علىٰ عباده ، وأنا أتعرَّضُ لذلك في كلِّ وقت من الأوقات ، فكما لا يملُّ تعالىٰ من العطاء ، فكذلك العبدُ من شدَّةِ فاقته لا يملُّ من الأخذ . انتهىٰ .

وعارضه السلطانُ قايتباي في طاحونه بالخانقاه السرياقوسية ، وأراد هدمَها ، وأعطاه رزقة مكانها ، وكان صوتُها يشوِّشُ على السلطانُ وهو جالسٌ في [قصره] الذي بناه عند [البحرة][٢] بالخانقاه ، فقال له سيدي علي : يا قايتباي ؛ ليس لك قدرةٌ علىٰ توجُّه الفقراء إلى الله فيك ، فاكفهم شرَّك ، فارتعدَ السُّلطان من كلامه ، ورجع عما كان أراده ، وقال : هـٰذا نَفَسُ من لا يخاف [إلا] الله تعالى[٣]

وكانت إقامةُ الشيخ رضي الله عنه بناحية نبتيت ، والناسُ يقصدونه للعلم والاستفتاء والتبرُّك من سائر الآفاق .

وكانت الأسئلةُ تأتيه من مصر والشام والحجاز في المشكلات ، فيجيبُ عنها نظماً ونثراً بأوضح جواب .

وكان رضي الله عنه إذا دخلَ مصرَ تفزعُ إليه الخلائقُ [من العلماء][٤] والأكابر يزورونه .

وكان يجلس في الصُّفَّة التي علىٰ يسار الداخل للإيوان الذي فيه المحراب من المدرسة الكاملية ؛ لكونه كان مجلسَ شيخه الشيخِ كمالِ الدين إمامِ الكاملية ، رضي الله تعالى عنه .

وكانت نصوصُ الإمام الشافعي وأقوالُ مقلِّديه من المتقدِّمين والمتأخِّرين كأنها نصبُ عينيه .

---

(١) في (أ) : (ولده) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٤) .
(٢) في (أ) : (عند الشجرة) ، وما بين معقوفين مستدرك من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٥) .
(٣) ما بين معقوفين مستدرك من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٥) .
(٤) ما بين معقوفين مستدرك من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٥) .

وكان إذا سُئل عن مسألة يقول للطالب : افتح الكتاب الفلاني ، وعدَّ كذا سطراً من الورقة الفلانية تجدِ المسألةَ ، فيجدها الطالب كما قال من شدَّة نور قلبه ، رضي الله عنه .

وكان إذا نزلَ ببلده أو إقليمه بلاءٌ يقول : (هـٰذا بذنب عليٍّ ، فلو أخرجتموه من بلادكم لخفَّ عنكم البلاء) .

وكان إذا نزلَ بالمسلمين بلاءٌ لا يأكلُ ، ولا ينام[1] ، ويقول : هـٰذا من شرط المؤمن .

وكان يفحصُ في الأرض ويبكي كالطير المذبوح في الليل .

وكان وقتُه كلُّهُ معموراً بالعبادة ليلاً ونهاراً .

وكان يقول لأصحابه : (إياكم أن تغترُّوا بطاعاتكم[2] وتقولوا : ما بقي لإبليس علينا سبيل ، فيغويكم ويأخذكم إلى النار وأنتم لا تشعرون) .

وكان يقول : (لا يكمل الرجلُ في العقل إلا إنْ كان كاتبُ الشمال لا يجدُ شيئاً من أعماله يكتبه) .

ومناقبه كثيرةٌ مشهورةٌ رضي الله عنه ، ومن نظمه رضي الله عنه : [من الوافر]

ومـا لـيْ لا أنـوحُ علـىٰ خطـائِـي ... وقـدْ بـارزتُ [جبَّـارَ] السَّمـاءِ[3]

قـرأتُ كتـابَـهُ وعصيـتُ سـرّاً ... لعظـمِ بليَّتِـي ولشـؤمِ رائـي

بـلائِـي لا يُقـايسُـهُ بـلاءٌ ... وأعمـالِـي تـدلُّ علـىٰ شقـائِـي

فيـا ذُلِّـي إذا مـا قـالَ ربِّـي ... إلى النيرانِ [سوقوا] ذا المُرائِي[4]

فهـٰـذا كـانَ يَعصينـي مـراراً ... ويـزعـمُ أنَّـهُ مـنْ أوليـائِـي

تصنَّـعَ للعبـادِ ولـمْ يُـرِدْنـي ... وكـانَ يُـريـدُ بـالمـولىٰ سـوائـي

---

(١) في « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٥) زيادة : (ولا يضحك) .

(٢) في « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٦) : (بكثرة طاعاتكم) .

(٣) في (أ) : (رب) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٦) .

(٤) ما بين معقوفين في النسخ : (حرقوا) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٦)

إلىٰ آخر ما قال رضي الله عنه .

توفي يومَ عرفة سنة سبعَ عشرةَ وتسع مئة ، ودفن ببلده ، وقبرُهُ بها ظاهرٌ يزار ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣) شيخي وقدوتي إلى الله تعالى ، الشيخُ العلامة ، الورع الزاهد الشيخ حسن الشامي الغمريُّ الضرير رضي الله تعالىٰ عنه[١]

كان عالماً عاملاً ، حافظاً لمتون الكتب الشرعية وآلاتها علىٰ ظهر قلب .

وكان حافظاً للسانه ، ملازماً لشأنه ، مواظباً على [الطهارة][٢] الظاهرة والباطنة ، غزيرَ الدمعة ، لا يسمعُ آيةً أو حديثاً أو شيئاً من أحوال السلف وأهوال يوم القيامة إلا بكىٰ حتىٰ أرحمَهُ من شدَّة البكاء .

وكان كريمَ النفس ، جميلَ المعاشرة ، أمَّاراً بالمعروف ، لا يُداهن أحداً في دين الله عز وجل .

وهو أكثرُ أشياخي نفعاً لي ، قرأتُ عليه القرآن بعد والدي تجويداً ، وقرأتُ عليه « المنهاج » و« الألفية » و« الشاطبية » و« التوضيح » و« جمع الجوامع » و« تلخيص المفتاح » و« قواعد الإعراب » ، وكنت أقرأ عليه الماضي ، ويُعْلِمني [بمتشابهاتها كأنها][٣] قرآن ، وربما ختمتُ أنا وإياه كتاب « المنهاج » في مجلس واحد .

وقد ذكرتُ عدَّةَ الكتبِ التي شرحتُها عليه في كتاب « المنن » .

وكان يُحبُّني محبَّة الوالد لولده ، ويُطعمني كلَّ ما اشتهته نفسي وأنا صغير ، ويقول : (يا ولدي ؛ مقصودي لك أن تُحيطَ علماً بكلِّ علمٍ ، وبكلِّ مطعمٍ وبكل ملبس قطعاً لخاطر النفس) .

---

(١) انظر « الكواكب السائرة » (٢/ ١٣٤) ، و« شذرات الذهب » (١٠/ ٤١٣) ، وفيهما : (حسن بن إسكندر بن حسن بدر الدين النصيبي الحلبي) ، وتقدمت ترجمته (٤/ ٣٧٦) (٥١١) .

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٦) .

(٣) في (أ) : (متشابهاتها لأنها) ، والمثبت من « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٧) .

وكان كثيراً ما يقولُ لي : مقصودي اليومَ آكلُ أنا وإياك من الحلال ، فأقول له : في أيِّ المواضع ؟ فيقول : في بركة الخازندار خارجَ مصر ، فأقودُه إليها ، فيجلس علىٰ شاطئها ويقول لي : اجمع لي من ورق الخسِّ والجزر والفجل ما تراه في جانب الشطِّ مما تساقطَ من الذين يغسلون الخضراوات من الطين ، فألتقطُ له شيئاً من ذلك ، فيأكله ، ويشربُ من البركة ويقول : الحمد لله الذي أَطعمنا هـٰذا اليوم حلالاً لا شُبهة فيه ، فلا أزال أُطالع له حتىٰ تصفرَّ الشمس ، ثم يرجعُ إلىٰ الجامع ، ربما واظبنا علىٰ ذلك الأسبوع كاملاً ، لا يذوقُ طعاماً ولا شراباً غير الورق ، والشربِ من البركة ، ولم أجد في عصره أحداً من العلماء يفعلُ مثلَ ذلك .

وكان رضي الله عنه إذا أعطاه أحدٌ شيئاً وشكَّ فيه يشتري به حطباً للطعام ، أو صابوناً لغسيل الثياب ويقول : هو أهونُ من الأكلِ والشرب من حيث الحساب .

وكان رضي الله عنه لا يتركُ قيامَ الليل في شتاءٍ ولا صيفٍ ، وكان يأمرني بذلك ، فربَّما كنتُ أقوم الليل بكلِّ القرآن في ركعةٍ .

وكان مواظباً علىٰ قراءة الأوراد والأذكار الواردة في سائر الأحوال سفراً وحضراً في أوقاتها ، لا يكاد يخلُّ منها بشيءٍ إلا لمرضٍ ، رضي الله عنه .

مات رضي الله عنه في سنة نيّفٍ وخمسين وتسع مئة[١] ، ودفناه في مقبرة الفقراء المتعلِّقة بزاويتنا خارج باب النصر رحمه الله تعالىٰ .

ومنهم :

(٤) شيخنا الإمامُ، العالمُ العلامة، المحققُ الصالح، الزاهد الصوفي المحدِّث الشيخ شمسُ الدين الدَّواخلي[٢]

نسبةً إلىٰ محلة الداخل[٣] ، قريباً من المحلة الكبرىٰ .

---

(١) ذكره ابن العماد في « الشذرات » (١٠/ ٤١٣) ضمن وفيات سنة (٩٥١هـ)

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٨) (٥١٢) .

(٣) **الداخل** : من القرى القديمة ، حسنة ، لها بساتين وجنات ، حُرِّفَ اسمها إلى الدواخلية . « قاموس رمزي » (٢/ ٢/ ١٥) .

أخذ العلم عن شيخ الإسلام زكريا ، وعن شيخ الإسلام الشيخ برهان الدين بن أبي شريف ، وعن الشيخ كمال الدين الطويل ، وعن الشيخ شمس الدين بن قاسم ، وعن الشيخ شمس الدين الجوجري ، وعن الشيخ فخر الدين المقسي ، وعن الشيخ عبد الرحيم الأَبناسي ، وعن الشيخ شمس الدين بن المغربل ، وخلائق لا يُحصون .

ودرَّس العلومَ في جامع الغَمْري وغيره ، وانتفع به خلائقُ لا يُحصون .

وكان مخصوصاً بالفصاحة في قراءة الحديث وكتب الرقائق والسير ، يقولُ سامعُهُ : ما سمعتُ أحداً ألذَّ قراءةً منه .

وكان حلوَ اللِّسان ، كثيرَ الأدب ، كريمَ النفس ، جميلَ المعاشرة ، كثيرَ العبادة وقيام الليل .

وكان لا ينامُ في شيءٍ من ليالي رمضان كلِّها .

وكان قلبُهُ خزانةً للعلوم الشرعية .

وصحب سيدي الشيخ أبا العباس الغَمْري وغيرَهُ من أولياء العصر .

وكان يُصبح كلَّ ليلة وجهُهُ كأنه قطعةُ شمس أو قمر من قيام الليل[١]

لازمتُهُ نحو عشرين سنة ، فما أظنُّ أن كاتبَ الشمال كتب عليه خطيئةً واحدةً من شدَّة ضبط لسانه .

وكان كثيرَ البكاء من خشية الله عز وجل ، يحبُّ الخمولَ وعدمَ الشهرة إلىٰ أن مات رضي الله عنه سنة تسعٍ وثلاثين وتسع مئة ، ودفن بتربة دجاجة ، خارج باب النصر ، رضي الله تعالىٰ عنه ونفعنا به ، آمين[٢]

---

(١) في « الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٧٨) : (من كثرة قيام الليل) .

(٢) هنا ينتهي القسم الذي تفردت به (أ) ، والذي بدأ من (ص ٩) من هذا المجلد .

ومنهم :

(٥) شيخُنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ جلال الدين السيوطي[١]

قد كان رضي الله تعالىٰ عنه يقول : (قد أشاعَ الناسُ عني أني ادَّعيتُ الاجتهادَ المطلق كأحدِ الأئمة الأربعة ، وذلك باطلٌ عني ، إنما مُرادي بذلك المجتهد المنتسب ؛ فإن **الاجتهادَ علىٰ نوعين** :

أحدُهما : المجتهد المطلق المستقلُّ : وهـٰذا النوع قد فقد من القرن الرابع ولا يتصوَّر وجوده الآن ، ولم يدَّعه أحدٌ بعد الإمام الشافعي إلا ابن جرير خاصة .

النوع الثاني : المجتهد المطلق المنتسب : وهـٰذا هو المستمرُّ إلىٰ أن تقوم الساعة ، وفي أصحابِ الشافعيِّ من هـٰذا النوع كثيرٌ ؛ كالمزني ، وابن سريج ، والقفَّال ، وابن خزيمة ، وابن الصباغ ، وإمام الحرمين ، وابن عبد السلام ، وتلميذِهِ ابنِ دقيق العيد ، والشيخ تقيِّ الدين السُّبكي ، وولده عبد الوهاب ؛ فإنه كتبَ مرَّةً لنائب الشام : أنا مجتهد الدنيا على الإطلاق ، لا يقدرُ أحدٌ يردَّ عليَّ هـٰذه الكلمة ، فكلُّ هـٰؤلاء مجتهدون منتسبون ، وكذلك القولُ في أصحاب الإمام مالك ؛ كابن وهب وأضرابِهِ ، بلغوا الاجتهاد المطلق علىٰ مذهب الإمام مالك ، وكذلك أبو يوسف ومُحمد بلغا الاجتهادَ المطلق) .

قال الشيخُ جلال الدين رضي الله عنه : (ومع ذلك فلم يخرج هـٰؤلاء عن تبعيتهم لإمامهم ، فمن أنكرَ الاجتهاد مُطلقاً فهو جاهل) انتهىٰ .

فنزِّل هـٰذا يا أخي علىٰ ما ينقله عنه في شأن الاجتهاد .

وقد كان الشيخُ جلال الدين رحمه الله تعالىٰ علىٰ قدم السلف الصالح من العلماء العاملين ، والأكابر من العارفين[٢] ، وكان له مكاشفاتٌ غريبة ، وخوارقُ ، وعلومٌ جمَّة ، ومصنفاتٌ جيدةٌ كثيرةُ الفوائد .

---

(١) تقدمت ترجمته مع مصادرها في « الطبقات الوسطىٰ » : (٢/٣٧٩) (٥١٤) .

(٢) في (ج) : (وكان من الصادقين) بدل (والأكابر من العارفين) ، وفي (هـ) : (وكمَّل العارفين) .

أرسل إليَّ ورقةً مع والدي بإجازتِهِ لي بجميع مروياته ومؤلفاته ، ثم لما جئتُ إلىٰ مصر قبل موته اجتمعتُ به مرةً واحدة ، فقرأتُ عليه بعضَ أحاديث من الكتب الستة ، وشيئاً من « المنهاج » في الفقه تبرُّكاً .

ثم بعد شهرٍ سمعتُ ناعيةً تنعي موتَهُ ، فحضرتُ الصلاةَ عليه عند الشيخ أحمد الأباريقي بالروضة عقب صلاة الجمعة ، وفي سبيل المؤمنين عند الجامع الجديد بمصر القديمة[١] رضي الله تعالىٰ عنه .

وقد جمع الشيخُ عبد القادر الشاذلي رضي الله عنه بعضَ مناقبه في جزء ، وهـٰأنا ملخصٌ لك عيونه ، فأقول وبالله التوفيق :

كان الشيخ جلالُ الدين رحمه الله تعالىٰ مجبولاً على الخصالِ الحميدة ؛ من صفاء الباطن ، وسلامةِ السريرة ، وحسنِ الاعتقاد ، زاهداً ، وَرِعاً ، مجتهداً في العلم والعمل ، لا يتردَّدُ إلىٰ أحد من الأمراء والملوك ، ولا إلىٰ غيرهم مدَّةَ حياته رضي الله تعالىٰ عنه .

وكان يظهرُ كلَّ ما أنعمَ الله به عليه من العلوم والأخلاق ، ولا يكتمُ منها إلا ما أُمر بكتمه ؛ عملاً بقوله تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحىٰ : ١١] .

وكان من لا يعرفُ مقصدَهُ يقول : فلان عنده دعوىٰ عظيمةٌ ، وسيأتي ما يشهدُ له أوائل خاتمة هـٰذا الكتاب إن شاء الله تعالىٰ .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يفتي بتحريم الاشتغال بعلمِ المنطق وكتبه وقام عليه جماعةٌ ، قال : (وهـٰذه الواقعةُ من أول وقائعي التي قام الناس عليَّ فيها) .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يقول : (ينبغي للمدرس أن يقرأ سورة (تبارك الذي بيده الملك) وسورة (الإخلاص) ، و(المعوذتين) ، و(فاتحة الكتاب) كلما يريدُ أن يدرِّس) ، وينقل ذلك عن شيخ الإسلام علم الدين صالح البُلقِيني رحمه الله .

وكان رضي الله عنه يقول : (أخذتُ العلمَ عن ست مئة نفس ، وقد نظمتُهم في أرجوزة) .

---

(١) في (د ، هـ) : (العتيق) بدل (القديمة) .

قال : (وهم أربعُ طبقات :

الأولىٰ : من يروي عن أصحاب الفخر بن البخاري ، والشرف الدمياطي ، ووزيره ، والحجار ، وسليمان بن حمزة ، وأبي نصر الشيرازي ، ونحوهم .

الثانية : من يروي عن السراج البلقيني ، والحافظ أبي الفضل العراقي ، ونحوهما ، وهي دون التي قبلها في العلوِّ .

الثالثة : من يروي عن الشرف ابن الكويك والجمال [الحنبلي][(١)] ونحوهما ، وهي دون الثانية .

الرابعة : من يروي عن أبي زرعة العراقي ، وابن الجزري ، ونحوهما ، وهٰذه لتكثيرِ العدة ، وتكبير المعجم[(٢)]

وصنف رحمه الله تعالىٰ لما حجَّ وجاور كُرَّاسة علىٰ نمط « عنوان الشرف » في يوم واحد تحتوي علىٰ نحوٍ ، ومعانٍ ، وبديع ، وعروض ، وتاريخ .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يقول : (لما حججتُ شربتَ ماء زمزم علىٰ نية أن أكونَ في الفقه كالشيخ سراج الدين البُلقيني ، وفي الحفظ للحديث كالحافظِ ابن حجر) .

وكان يقول : (انقطعَ إملاءُ الحديث بالديار المصرية بعد الحافظ ابن حجر عشرين سنة ، فابتدأتُ في إملاء الحديث مستهلَّ سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة في جامع ابن طولون) .

قال : (وأول من أملى الحديثَ فيه الربيعُ بن سليمان صاحبُ الإمام الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه) .

قال : (وإنما اخترتُ الإملاءَ يومَ الجمعة بعد الصلاة اتِّباعاً للحُفَّاظ المتقدِّمين ؛ كالخطيب البغدادي ، وابن السمعاني ، وابن عساكر ، خلاف ما كان عليه العراقي ، وولده ، وابن حجر ؛ فإنهم كانوا يُملون يومَ الثلاثاء) .

---

(١) في (أ ، ج): (الجيلي)، وفي (ب) : (الحيلي) ، وفي (د) : (الجنبلي)، وفي (هـ ، و): (البجيلي) ، والمثبت من كتب التراجم .

(٢) في (ج) : (وتكبير الحجم) بدل (تكبير المعجم)

قال : (وكان بدايةُ إفتائي سنة إحدىٰ وسبعين وثمان مئة ، وخالفت أهلَ عصري في خمسين مسألة[١] ، فألَّفتُ في كلِّ مسألة مؤلفاً بيَّنتُ فيه وجهَ الحق) .

قال : (ولما بلغتُ مرتبةَ الترجيح لم أخرج في الإفتاء عن ترجيح النووي ، وإن كان الراجحُ عندي خلافَهُ .

ولما بلغتُ مرتبةَ الاجتهاد المطلق لم أخرج في الإفتاء عن مذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه ، كما كان القفَّال يفتي بعد بلوغه درجةَ الاجتهاد المطلق بمذهب الإمام الشافعي ، لا باختياره) .

وكان ويقول : (السائل : إنما سألني عن مذهب الإمام الشافعي ، لا عما عندي أنا من العلم ، مع أني لم أختر شيئاً خارجاً عن المذهب إلا شيئاً يسيراً جداً ، وبقية ما اخترتُهُ هو من المذهب ؛ إما قولٌ آخرُ للشافعي قديم أو جديد ، أو وجهٌ في المذهب لبعض أصحابه ، وكلُّ ذلك راجعٌ إلى المذهب ، وليس بخارجٍ عنه) .

وله من المؤلفات أربع مئة وستون مؤلفاً مذكورةٍ في كتاب فهرسة كتبه من عشر مجلدات إلىٰ ما دونها ، وانتشرت مؤلفاته في البلاد الحجازية والشامية والحلبية وبصرىٰ والروم وبلاد التكرور والمغرب والهند واليمن ، وغيرها

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يقول : مما أنعمَ اللهُ به عليَّ : هو أنَّ الجماعة الذين انتصبوا لعداوتي وآذوني ، وذلك ليكون لي أسوةٌ بالأنبياء والمرسلين .

وقد كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول : (لما علمَ الله تعالىٰ ما سيُقال في أنبيائه وأصفيائه من الزور والبهتان قضىٰ علىٰ قوم بالشقاء ، فنَسَبوا له زوجةً وولداً ، ونسبوا الأنبياء إلى السحر والجنون ، حتىٰ إذا ضاقَ ذرعُ الولي من كلامٍ قيل فيه نادته هواتفُ الحقِّ : أما ترضىٰ أن تكونَ لك أسوةٌ بأنبيائي فيما نُسبَ إليَّ وإليهم من البهتان ، فهنالك يسكنُ قلبُ الولي ، فالحمد لله رب العالمين) .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يقول : (رزقني اللهُ تعالى التبحُّرَ في سبعة علوم : التفسيرِ ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع علىٰ طريقة

---

(١) في (أ ، هـ ، و) : (وخالفني) بدل (وخالفت) .

العرب والبلغاء ، لا على طريقة المتأخرين العجم وأهل الفلسفات ، ودون هـٰذه السبعة في المعرفة : أصول الفقه ، والحديث ، والتصريف ، والإنشاء ، والترسل ، والقراءات ، والطب ، والحساب) .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يقول : (قد بلغتُ مقام الكمال في جمعي آلات الاجتهاد المطلق المنتسب ، وصرتُ بذلك متحدِّثاً بالنعمة ، لا فخراً بالدنيا ، وأيُّ قدرٍ للدنيا حتىٰ يُطلب تحصيلُه بالفخر ؟! وقد أزفَ الرحيلُ ، وبدأ الشيبُ ، وذهب العمر ، ولو أني أردتُ أن أكتب في كلِّ مسألة مصنَّفاً يحتوي علىٰ أدلَّتها وتفاصيلِها وفروعِها لفعلتُ ذلك كلَّه بفضل الله تعالىٰ ، لا بحولي ولا قوتي) .

وكان يقول : (قد استنكرَ جماعةٌ بلوغي مرتبة الاجتهاد المطلق في الحديث والفقه والعربية ؛ لظنِّهم انفرادي بذلك بعد الأئمة المجتهدين ، وغاب عنهم أنها كانت مجتمعةً في الشيخ تقي الدين السُّبكي رضي الله تعالىٰ عنه ، وقبله جماعةٌ اتَّصفوا بالاجتهاد المطلق ، لـٰكن في الفقه فقط ، وأما الجامعون بين هـٰذه الثلاثة علوم فقليلٌ ، ولم تجتمع في أحد بعد السبكي غيري) .

قال : (ولا يظنُّ من يظنُّ أن مِنْ لازمِ المجتهدِ المطلقِ أن يكون مُجتهداً في الحديث مجتهداً في العربية ؛ لأنهم قد نصَّوا علىٰ أنه لا يُشترطُ في الاجتهاد المطلق التبحُّرُ في العربية ، بل يكتفىٰ فيها بالتوسُّط ، ونصُّوا في الحديث علىٰ ما يؤدي إلىٰ مثل ذلك .

والاجتهادُ : هو الرتبة التي إذا بلغها الإنسان سُمِّي في عرف المحدِّثين بالحافظ ، وقد وُصِفَ بالاجتهاد المطلق مَنْ لم يُوصف بالحافظ ؛ كالشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وأبي نصر الصباغ ، وإمامِ الحرمين ، والغزالي .

وقد روىٰ هـٰؤلاء في مؤلفاتهم أحاديثَ احتجوا بها وهي مُنكرةٌ ، وقد نبَّه عليها ابنُ الصلاح وغيرُهُ ؛ كالنووي .

فعُلم : أن خفاء بعض الأحاديث لا يقدحُ في مقام الاجتهاد ؛ إذ ليس من شرط المجتهد أن يُحيط علماً بكلِّ حديثٍ ، وقد علَّق الإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنه الأخذَ

بعدة أحاديث خفيتْ عليه على صحتها بعده ، وقد صحَّتْ عند غيره ، بل وقع ذلك لأكابر الصحابة ؛ كعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكان يقضي بأشياء تخالفُ الحديث ، حتىٰ يُحدِّثوه بها ، فيرجع عن أقضيته) .

قال : وقد بلغَ الشيخ أبو محمد الجُويني رتبةَ الاجتهاد المُطلق ، وألَّف كتابه « المحيط »[1] والتزم فيه الوقوفَ مع الحديث ، وعدمَ التقيد بالمذهب ، فوقع للإمام البيهقي منه ثلاثةُ أجزاء في حياة المصنف ، فتعقَّبَ فيه أوهاماً حديثية ، وأرسل بذلك إلى الجويني ؛ من جملتها : الشيخُ أهلٌ أن يجتهد ويتخيَّر ، ولـٰكن يحتاج إلىٰ ثبوت الحديث الذي احتجَّ به ؛ فإنه غير ثابت ، فانظر كيف سلَّم له رتبةَ الاجتهاد ، مع خفاء أمر تلك الأحاديث عليه .

قال : (وقد كان سراجُ الدين البُلقيني مجتهداً مطلقاً ، وكان من حفَّاظ الحديث ، ووصفه تلميذه الحافظُ ابنُ حجر بالحفظ ، وذكره في « طبقات الحفاظ » ولـٰكن لم يكنْ في الرتبة العليا من الحفظ والتعديل ، بل كان معاصرُهُ الحافظ أبو الفضل العراقي أحفظَ منه ، داخلاً في فن الحديث والفقه ، وكانت عربيةُ البُلقيني وسطىٰ ، وأما بقيةُ من جاء من المجتهدين من بعد السبكي إلى اليوم فلم يكنْ فيهم من بلغَ رتبةَ البُلقيني في الحديث ، وأما قبل السُّبكي فاجتمعَ الاجتهادُ في الأحكام والحديث بخلقٍ ؛ منهم : ابنُ تيمية ، وابن دقيق العيد ، والنووي ، وقبله أبو شامة ، وقبله ابنُ الصلاح ، وأما قبله من المتقدمين فكثيرٌ جدّاً .

وأما الاجتهادُ في العربية فلم يكنْ بعد ابن هشام من يصلحُ لأن يوصف به غيري ، إلا ما بلغني عن الغماري ، وقبل ابن هشام خلائقُ لا يحصون ؛ كأبي حيان ، والأُبَّذي ، وابن الضائع[2] ، وابن مالك) .

قال : (وغالب الناس لا يَعرفونَ الاجتهاد في الحديث والعربية ، وإنما يعرفون الاجتهاد في الشريعة فقط ، وقد قال الإمام الرازي في « المحصول » ما نصُّه :

---

(١) المحيط : للإمام عبد الله بن يوسف الجويني المتوفىٰ سنة (٤٣٨هـ) ، ولم يتقيد فيه بمذهب معين . انظر « كشف الظنون » (٢/ ١٦٢١) .

(٢) تقدم التعريف بـ (الأبذي) و(ابن الضائع) في « الطبقات الوسطى » (٢/ ٣٨٥) .

« المعتبر في الإجماع وكل فنٍّ من كان من أهل الاجتهاد في ذلك ، وإن لم يكونوا من أهل الاجتهاد في غيره »)[١] انتهىٰ .

وألَّف الشيخُ كتاباً في بيان شروط الاجتهاد المطلق ؛ منها : « إرشاد المهتدين إلىٰ نصرة المجتهدين » ، ومنها : « تيسير الاجتهاد وما له من الاستناد » ، ومنها : « الرد علىٰ من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كلِّ عصر فرض » ، وأطال في ذلك .

ثم قال : (فالعبرةُ في مسائل الكلام بالمجتهد في الكلام ، وفي مسائل الفقه بالتمكُّنِ من الاجتهاد في مسائل الفقه ، فلا عبرةَ بأهل الكلام إذا تكلَّموا في الفقه ، ولا بأهل الفقه إذا تكلَّموا في علم الكلام ، بل من تمكَّنَ في الاجتهاد في الفرائض دون المناسك يعتبر وفاقه وخلافه في الفرائض دون المناسك

وقال أبو الحسين البصري[٢]: لا يجوزُ التقليدُ في أصول الفقه كما لا يجوزُ في أصول الدين، ولا يكونُ كلُّ مجتهد فيه مصيباً، بل المصيبُ فيه واحدٌ بخلاف الفقه في الأمرين.

قال : والمخطئ في أصول الفقه معذور غيرُ ملوم ، فهـٰذه ثلاثُ قواعد خالفَ فيها الفقه ؛ لأن أصول الفقه ملحقٌ بأصول الدين ، ومطالبه قطعية) انتهىٰ .

فانظرْ يا أخي إلىٰ كلام الإمام وأبي الحسين البصري كيف أطلقا الاجتهاد والمجتهد في أصول الفقه وسائر الفنون .

قال : (ويشكل علىٰ هـٰذه الاجتهادات الثلاثة ؛ فأما الاجتهادُ في العربية : فهو أن يحيط بنصوص أئمة الفن من سيبويه إلىٰ زمانه هـٰذا[٣] ، ويحفظ غالب شعر العرب الذين يحتجُّ بأشعارهم في العربية ، ولا يضرُّ خفاء بعض ذلك عليه ، وليس المرادُ حفظُها عن ظهر قلب ، وإنما المرادُ أن يكون له اطِّلاعٌ علىٰ دَوَاوينهم، بحيث يعرفُ محلَّ الاستدلال بذلك من الكتب، ويكون مع ذلك محيطاً بقواعد النحاة التي بنوا تصرُّفاتهم عليها غير القواعد المذكورة في واضحات الكتب؛ فإن تلك كالأصول لهـٰذه القواعد، وهـٰذا لا يعرفه الآن إلا متبحِّرٌ في الفن).

---

(١) المحصول (٤/ ١٩٨) .

(٢) في النسخ: (أبو الحسن البصيري)، والمثبت من «الطبقات الوسطى» (٤/ ٣٨٥)، و«البحر المحيط» للزركشي (٤/ ٥٢٧)، و«التحبير شرح التحرير» للعلاء المرداوي (٨/ ٤٠١٧).

(٣) في (ج) وحدها : (زماننا هـٰذا)

قال : وقد بالغت في هـٰذه القواعد ، كما يجمع قواعد أصول النحو علىٰ مصطلح قواعد الفقه[١]

وأما الاجتهادُ في الحديث فقال الحافظ المزيُّ : (أقلُّ مراتب الحافظ : أن يكونَ الرجالُ الذين يعرفهم ويعرف تراجمَهم وأحوالَهم وبلدانهم أكثرَ من الذين لا يعرفهم ؛ ليكون الحكم للغالب ، وأما ما يُحكىٰ عن المتقدمين من قولهم : كنَّا لا نعدُّ صاحبَ حديثٍ مَنْ لم يكتب عشرين ألف حديث فهو بحسب زمانهم) .

وكان الحافظُ ابنُ حجر يقول : (الشروط التي إذا اجتمعت في الإنسان يسمىٰ حافظاً[٢] ؛ هي الشهرة بالطلب ، والأخذ من أقوال الرجال[٣] ، والمعرفة بالجرح والتعديل ، والمعرفة بطبقات الرواة ومراتبهم ، وتمييز الصحيح من السقيم حتىٰ يكون ما يستحضرُهُ من ذلك أكثرَ مما لا يستحضره ، مع استحضار الكثير من المتون ، فهـٰذه الشروط مَنْ جمعها فهو حافظٌ) .

قال : (وكان الحافظُ ابنُ حجر يحفظُ ما ينوف علىٰ مئتي ألف حديث ، وكان الشيخ عثمان الديمي يحفظُ عشرينَ ألف حديث) ، قال : (وأما أنا فأحفظُ مئتي ألف حديث ، ولو وجدتُ أكثرَ لحفظتُه ، ولعله لا يوجدُ علىٰ وجه الأرض الآن أكثرُ من ذلك ، وأما الاجتهادُ في الفقه : فقد ألَّفتُ فيه كتباً) .

وله رضي الله تعالىٰ عنه سبعُ سؤالات أوردها علىٰ علماء العصر ، ولم يُجَبْ عليها ، وهي : ما يقول علماءُ العصر المدَّعون بالعلم والفقه في هـٰذه الأسئلة : ألف ، باء ، تاء ، ثاء . . . إلىٰ آخرها[٤] ، وما هي الأسماء ؟ وما اسمها ؟ وهل هي أسماء

---

(١) في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٣٨٦) : (وقد ألفت في هـٰذه القواعد كتاباً يجمع أصول النحو علىٰ مصطلح قواعد الفقه) .

(٢) كذا العبارة في (أ) ، وفي باقي النسخ : (الشروط التي اجتمعت فيَّ الآن أسمى حافظاً) ، وإنما هي في « النكت علىٰ كتاب ابن الصلاح » (١/ ٢٦٨) : (فللحافظ في عرف المحدثين شروط إذا اجتمعت في الراوي سموه حافظاً) .

(٣) في « النكت على ابن الصلاح » (١/ ٢٦٨) (أفواه) بدل (أقوال) .

(٤) في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٣٨٦ـ ٣٨٧) : (في هـٰذه الأسئلة المتعلقة بألف باء تاء ثاء . . . إلىٰ آخرها) .

أجناس أو أسماء أعلام ؟ فإن كان الأول ، فمن أي الأجناس هي ؟ وإن كان الثاني فهل هي شخصيةٌ أو جنسية ؟ فإن كان الأول فهل هي منقولة أم مرتجلة ؟ وإن كان الأول فممَّ نُقلت ، من حروفٍ أم أفعال ، أم أسماء ، أم أعيان ، أم مصادر ، أم صفات ؟ وإن كانت جنسيةً فهل هي من أسماء أعلام الأعيان أو المعاني ؟

السؤال الثاني : من وضعَ هٰذه الحروف ؟ وفي أي زمن وضعت ؟ وما مستند واضعها : هل هو العقل أو النقل ؟

السؤال الثالث : هل هٰذه الحروفُ مختصةٌ باللغة العربية ، أم عامَّةٌ في جميع اللغات ؟

السؤال الرابع : هل الألفُ والهمزة مترادفان أو لا[1] ؟ وعلى الثاني ، فما الفرقُ ؟ وأيهما الأصل ؟

السؤال الخامس : لِمَ أجمعَ علماءُ اللغة والعدد وغيرُهم من المتكلمين على المفردات على الابتداء بحرف الهمزة ؟ وهل هو أمرٌ اتفاقيٌّ أم لحكمة ؟

السؤال السادس : كلماتُ أبجد هوز . . . إلىٰ آخرها : هل هي مهملةٌ أم مستعملة ؟ وما عُني بها ؟ وما أصلها ؟ وكيف نُقلت إلى المراد بها ؟ وما ضبط ألفاظها ؟

السؤال السابع : ما حكمُها في الابتداء والوقف ، والمنع والصرف ، والتذكير والتأنيث ، والإعراب ، واللفظ ، والرسم ، وعند التسمية بها ؟ وما حكمُها شرعاً عند نقشها علىٰ ثوب أو بساط أو حائط أو سقف ؟ وهل لها مِنَ الحرمةِ ما للحروف المجتمعة أم لا ؟ فمن أجاب عن هٰذه الأسئلة فهو من الرجال ، وإلا فلا مزيةَ له على الأطفال ، ومن عجزَ عن ألف باء ، تاء ، ثاء فلا ينبغي أن يقرر أبحاثاً . انتهىٰ ما نقلته من خطه رحمه الله تعالىٰ .

وكان الشيخ العلامة شمس الدين الداودي يقول : (عاينت الشيخ وقد كتبَ في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً ، وكان مع ذلك يُملي الحديث ، ويجيبُ عن المتعارض منه بأجوبة حسنة ، من غير تكلُّفٍ) .

---

(١) في (ج) وحدها : (مترادفات) .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يقول : (ما أجبتُ قطُّ عن مسألة جواباً إلا وأعددت جوابها بين يدي الله تعالىٰ إنْ سُئلت عنه) .

وكان إذا عارضَهُ أحدٌ في أجوبته يردفها بأجوبة غيرها حتىٰ يبهرَ العقول .

وغسلَ قُبيل موته عدَّة كتب لا يعلمُ أهلُ عصره لها نظيراً .

وسرقَ بعضُ المعاصرين له كتاباً ونسبَهُ لنفسه ، ولم يكن عند الشيخ غيرُهُ ، فألَّف كتاباً في ذلك سمَّاه : « البارق في قطع يد السارق » ، ثم قال : ولعمري ؛ إن المؤلف إنما يطلبُ أجرَهُ علىٰ ما من الله تعالىٰ في تأليفه ، فكيف يطلبُ أجره على ما لم يعلمه[١] ؟!

وكان رضي الله تعالىٰ عنه أعلمَ أهل زمانه بعلوم الحديث وفنونه ، حافظاً متقناً ، يعرفُ غريبَ ألفاظه واستنباط الأحكام .

وقد بيَّض ابنُ حجر عدَّةَ أحاديث لا يعرفُ من خرَّجها ، ولا مرتبتَها ، فخرَّجها الشيخُ ، وبيَّنَ مرتبتَها من حسنٍ وضعف ، وغير ذلك .

وأخبرني الشيخ سليمان الخضيري الصوفي رضي الله تعالىٰ عنه قال : أرسلَ شيخُ الإسلام الأوجاقي معي عدَّةَ أحاديث بيَّض لها الحفاظُ ولم يعرفوا مرتبتَها إلى الشيخ جلال الدين قلب رواتها ، فردَّهم الشيخُ إلىٰ من لهم روايةٌ عنه ، وبيَّن مرتبتَها ، فذهب شيخ الإسلام إليه ، وقبَّل يده وقال : والله ؛ ما كنتُ أظنُّكَ تعرفُ شيئاً من هـٰذا ، فاجعلني في حلٍّ ، فطالما تغدَّيتُ وتعشَّيت بلحمك ودمك .

وأخبرني الشيخ سليمان أيضاً قال : بينما أنا جالسٌ في الخضيرية علىٰ باب الإمام الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه إذ رأيتُ جماعةً عليهم بياضٌ ، وعلىٰ رؤوسهم غمامةٌ من نور يقصدوني من ناحية الجبل ، فلما قربوا مني فإذا هو النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابُهُ رضي الله تعالىٰ عنهم ، فقبَّلتُ يده ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : امضِ معنا إلى الروضة ، فذهبتُ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم إلىٰ بيت الشيخ جلال الدين ، فخرج إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم وقبَّل يده ، وسلَّم علىٰ أصحابه ، ثم أدخله الدار وجلس بين يديه ، فصار الشيخُ جلال الدين يسألُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن بعض

---

(١) في (أ ، ب ، ج ، د) : (يتعلمه) .

الأحاديث ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول له : هات يا شيخَ السنة . انتهىٰ .

وذكر الشيخ عبد القادر الشاذلي رحمه الله تعالىٰ عن الشيخ رضي الله عنه : أنه رأىٰ هـٰذه الرؤيا بعينها ، وقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم : هاتِ يا شيخَ الحديثِ ، كما سيأتي .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه كثيراً ما يُجيبُ السائل على البديهة ، ثم يقول : الذهنُ خوان ، افتحِ الكتابَ الفلاني وعدَّ من الصفحة الفلانية كذا كذا سطراً تجدِ المسألةَ إن شاء الله تعالىٰ كما قلتُ ، فيفتحُ الكتابَ ، فيجدُ الأمر كذلك .

وكان رضي الله عنه يقولُ بنجاة أبوي النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وإنهما في الجنة ، ووافقه علىٰ ذلك جماعةٌ من الحفَّاظ .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يجتمعُ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم يقظةً .

وأخبرني الشيخ عبدُ القادر الشاذلي : أنه رأىٰ بخطِّ الشيخ جلال الدين ورقةً كتبها لبعض أصحابه حين سأله أن يقضي له حاجةً عند السلطان الغوري : يا أخي ؛ إني أرى النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقظةً ، وأخافُ أن أُجالسَ الغوري فيحتجب عني عقوبةً لي ، ولـٰكنْ أسألُ لك النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا سيدي ؛ فكم رأيت النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقظةً ؟ فقال : بضعاً وسبعين مرةً ، قال : وقد ألَّف الشيخُ كتاباً في ذلك سمَّاه : « تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والمَلَك » ، وذكرَ فيه من كان يجتمعُ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم وبالمَلَكِ في اليقظة ـ لا في المنام ـ من الأولياء والصحابة والعلماء ، ولم يذكر فيه شيئاً مما ذكره في هـٰذه الورقة التي ذكرناها .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يقول : رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقظةً ، فقال لي : يا شيخ الحديث ، فقلتُ له : يا رسول الله ؛ أمنْ أهلِ الجنة أنا ؟ فقال : نعم ، فقلت : من غير عذاب يسبق ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لك ذلك .

وكان الشيخ عطيةُ الأبناسي يقول : قال لي الشيخ جلال الدين لما سألته يقضي لي حاجةً عند السلطان : يا عطية ؛ إني أجتمعُ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم يقظةً ، وأخافُ أنْ اجتمعَ به ، فيحتجب عني صلى الله عليه وسلم ، ثم قال له : اكتمْ عني ذلك ، ولا تخبرْ به إلا بعد موتي .

قال الشيخُ قاسم الإمامُ بمقام الإمام الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه : ومرادُ من قال : إنه رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقظةً انكشافُ حجاب القلب ، وليست كرؤية أحدنا صاحبه الآن ، فالله أعلم بالحال .

وأخبرني خادم الشيخ جلال الدين[1] ، وكان اسمه محمد بن علي الحباك[2] ، قال : لما وقعتْ فتنةُ الشيخ برهان الدين البِقاعي في إنكاره علىٰ سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه قال لي الشيخ جلال الدين : قمْ بنا إلىٰ زيارة سيدي عمر ، وكان وقتَ القيلولة ، فزرناه ، وطلعنا للشيخ عبد الله الجيوشي فوق الجبل ، فرأينا الظلَّ تحت حائط الزاوية نحو ذراع ، فجلسنا ساعةً، فقال لي : نريد نصلي في مكة صلاةَ العصر بشرطِ أن تكتمَ عليَّ ذلك حتىٰ أموتَ ، فقلت : نعم ، فأخذ بيدي وقال : غمِّض عينيك ، فغمَّضْتُهما ، فرملَ بي نحو سبع وعشرين خطوة ، ثم قال لي : افتح عينيك ، فإذا نحن بباب المعلىٰ ، فزرنا أمَّنا خديجة ، والفضيلَ بن عياض ، وسفيان بنَ عيينة ، وغيرَهم ، ودخلنا الحرمَ ، فطفنا وشربنا من ماء زمزم .

ثم قال لي : يا فلان ؛ ليس العجبُ من طيِّ الأرض لنا ، وإنما العجبُ من كون واحدٍ من أهل مصر المجاورين لم يعرفنا ، ثم قال : إن شئتَ تمضي معي ، وإن شئتَ تقيم حتىٰ تأتي مع الحجاج ؟ فقلتُ : بل أذهبُ معك يا سيدي ، فمشينا إلىٰ باب المعلىٰ ، وقال لي : غمِّض عينيك ، فغمَّضتُهما ، فهرول بي سبعَ خطوات ، ثم قال لي : افتح عينيك ، ففتحتُهما ، فإذا نحن بالقرب من الجيوشي ، فنزلنا إلىٰ سيدي عمر ، فركب الشيخُ حمارتَهُ ، وذهبنا إلىٰ بيته في جامع طولون . انتهىٰ .

قلتُ : ورأيتُ الشيخَ مرَّةً ومعه مفاتيحُ كثيرةٌ ، فأعطاها لي وقال لي : هٰذه مفاتيحُ علومي ، فخذْها لك .

وأخبرني شيخُنا الشيخ أمينُ الدين الإمامُ بجامع الغمري قال : سمعتُ الشيخ جلال الدين يقول في سنة عشر وتسع مئة : اسمعْ مني هٰذا الكلام ، ولا تُخبر بذلك أحداً حتىٰ أموتَ : يدخل سليمُ بن عثمان مصر افتتاحَ عام سنة ثلاثٍ وعشرين وتسع مئة ،

---

(١) كذا في (أ) و« الطبقات الوسطى » (٤/ ٣٩٠)، وفي باقي النسخ: (وأخبرني خادمه أنه رأى خادم الشيخ جلال الدين) .

(٢) في (أ ، هـ ، و) : (الحبال) .

ويبدأ خراب مصر ، وتنقرضُ بياضاتها من ذوي البيوت سنة ثلاث وثلاثين ، فلا يصيرُ أحدٌ يُشار إليه منهم ، وتخربُ خراباً وسطاً سنة سبعٍ وخمسين ، ويقفُ خراجُ غالب رزقها ، وتخربُ خراباً شديداً أشدَّ من ذلك سنة سبع وستين . انتهىٰ .

قلت : وسمعتُ أنا هـٰذا الكلام من الشيخ أمينِ الدين سنةَ خروج السلطان الغوري لقتال السُّلطان سليم ، فأخبرتُ بذلك بعضَ العلماء الذين يُنكرون على الشيخ جلال الدين ، فقال : هـٰذا أمرٌ لا يجوزُ تصديقه ، فلما قُتل الغوري ، ودخل عسكرُ السلطان سليم افتتاح عام سنة ثلاث وعشرين ، وصاروا يحرقونَ أبواب بيوت الجراكسة ، ويقتلونهم ، ويسبون حريمَهم ، فقال الشيخ أمينُ الدين : اذهبْ إلىٰ ذلك المنكِر ، فقل له : انظر إلىٰ صدق ما أخبرَ به الشيخُ ، لم يخط يوماً واحداً ، فقال بكلِّ شيءٍ يرعد فيه : هـٰذا موافقةُ قدرٍ ، فرددتُ جوابَهُ على الشيخ أمينِ الدين ، فتبسَّم ، فقال : وانشقاق القمرِ للنبي صلى الله عليه وسلم بقدرِ الله عز وجل أيضاً ، وإنما المعجزةُ فيه إجابةُ الحقِّ تعالىٰ سؤالَهُ ، والانتصار له ، وكذلك القول في كرامات الأولياء ، ثم قال : يا سبحان الله ! والحسدُ يؤدِّي إلىٰ هـٰذا كلِّه ؟!

قلت : وقد صدقَ الشيخُ في العلامة الثانية والثالثة أيضاً ، ووقفَ غالب خراج رزق مصر في سنة سبعٍ وخمسين ، وبقي العلامة الرابعة ، والله تعالىٰ أعلم .

وأخبرني الشيخُ عبد القادر الشاذلي : لما بلغ الشيخُ جلال الدين أربعين سنةً أخذ في التجرُّدِ للعبادة والانقطاع إلى الله عزَّ وجل وبالاشتغال به صرفاً ، والإعراض عن الدنيا وأهلها ، حتىٰ كأنه لم يعرفْ أحداً منهم ، وشرع في تحرير مؤلفاته ، وتركَ الإفتاء والتدريس ، وألَّف كتاباً سمَّاه : « التنفيس في الاعتذار عن ترك الإفتاء والتدريس » ، وأقام في روضة المقياس ، فلم يتحوَّلْ منها إلىٰ أن مات .

وبلغنا : أنه لم يفتحْ طاقَات بيته التي علىٰ بحر النيل مدَّةَ سكناه .

وكانتِ الأمراء والأغنياء يأتون إلىٰ زيارته ، ويعرضون عليه الأموالَ النفيسة ، فيردُّها .

وأرسل له السلطان الغوري خصياً وألف دينار ، فردَّ الألفَ ، وأخذ الخصيَّ ،

فأعتقه ، وجعله خادماً في الحجرة النبوية ، وقال لقاصده : لا تعدْ تأتينا قطُّ بهدية ؛ فإنَّ الله تعالىٰ أغنانا عن مثل ذلك .

وقال له مرَّةً[١] : إنَّ بعضَ الأولياء كان يتردَّد على الملوك والأمراء في حوائج الناس ، فقال : اتباعُ السلف الصالح في عدم تردُّدهم أسلمُ لدين المسلم ، وكذلك في ردِّ أموالهم عليهم .

وأخبرني الشيخ أمينُ الدين : أنَّ الشيخ جلال الدين طلع مرَّةً للسلطان قايِتْباي في حادثةٍ وعلىٰ رأسه الطيلسانُ ، فقال له السلطان : أنت مالكيٌّ حتىٰ تلبسَ الطيلسان ؟ لظنِّه أنَّه خاصٌّ بالمالكية فقط ، فقال له الشيخ : هـٰذه عادةٌ قد حدثتْ قريباً ، وكان في الزمن الماضي الطيلسانُ خاصّاً بالشافعية إلىٰ زمن الشيخ تقيِّ الدين السُّبكي ، فطالَ بينهما الكلام ، فقال الشيخ للسُّلطان : الطيلسان سُنَّةٌ في كلِّ مذهبٍ ، لا يختصُّ بالمالكية ، فقال : هـٰذا تكبُّرٌ وتجبُّرٌ ، وبالغ في النكير ، فقال له الشيخ : معاذ الله ، بل هو سُنَّةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ولم أؤاخذِ السلطان علىٰ ذلك ؛ لكونه كان محذوفاً عليَّ من بعض القضاة[٢] ، ثم إنه تأدَّبَ معه في آخر المجلس وانصرف

فلما كان بعد أيام بلغ الشيخَ أن إمامَهُ ابنَ الكركي[٣] قال له : ليس الطيلسانُ سُنَّةً ، ولو كنتُ حاضراً عند قوله : (سنة) لقلتُ له : يعني : سنة اليهود ، فقال الشيخ : بل هو يكفرُ ؛ لكونه ردَّ سُنةً ثابتةً عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم .

ثم إنَّ الشيخَ جلال الدين صنَّفَ كتاباً حافلاً سمَّاه : « الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان » .

ثم إن السلطانَ مرضَ مرضاً شديداً أشرف فيه على الموت ، وطلعَ له العلماء وغيرُهم يهنِّئونه بالسلامة ، فلم يطلع الشيخُ إليه ، فأرسل له قاصدَهُ يطلبه ، فأبىٰ ، فأوقد ابن الكركي عليه النار ، وقال : هـٰذا عاصٍ لله ورسوله في عدم إجابة وليِّ الأمر .

قال الشيخ : ثم إنَّ السلطانَ أرسلَ إليَّ قاصدَهُ يُخوِّفني بأمورٍ يوقعها فيَّ ، فقلت

---

(١) في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٣٩٢) (وقالوا) بدل (وقال) .

(٢) **الحذف** : الرمي والقذف .

(٣) في «الطبقات الوسطى» (٤/ ٣٩٢) : (إبراهيم بن الكركي) .

لقاصده : قل له : إنَّ لك سلطاناً نيِّفاً وعشرين سنة ، ما رأينا منك سُوءاً ، فإن لم ترجع عني وإلا توجَّهتُ فيك إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكمُ بيني وبينك .

فصبر حتىٰ طلعَ مشايخُ الإسلام يهنئونه بالشهر ، فاستفتاهم في عدم طلوعي له لسلوكي طريق السلف في ذلك ، فما منهم أحدٌ نصرَ الحقَّ ، ولا قال بما يلزمُهُ من أن عدمَ دخول العلماء للملوك سنة ، ولا قال : هو سنةُ السلف الصالح ، فعزلتُ نفسي من سائر الوظائف التي لهم عليها ولاية ، وألَّفتُ في ذلك كتاباً سمَّيته : « ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين » .

فلما بلغ السلطانَ ذلك شقَّ عليه ، وأرسل إليَّ أمير آخوركبير وتمراز أميركبير والإمام الذي يُصلِّي بالسلطان بكلامٍ طيب ، يطلبون مني الطلوع ، فلم أُجبْهم إلىٰ ذلك ، وأرسلتُ للسلطان رسالةً سمَّيتها : « الرسالة السلطانية » فيها جملةُ الأحاديث الواردة في منع العلماء من التردُّد للسلاطين ، فلما قرأها عليه أمير كبير قال السلطان : واللهِ ؛ لو أنَّ الشيخ أخذَ عصاً وضربني بها لأذعنتُ له بعد هـٰذا ولم أقابله ، فساء ذلك ابنَ الكركي ، وأخذ يُغري السلطان عليَّ ، فرجع إلىٰ قوله الأول ، وصار يتوعَّدني بالقتل ، فقال لي شيخُ الإسلام الشافعي : لا بأسَ عليك أن تتلافىٰ خاطر السلطان بإرسال كلامٍ طيِّبٍ علىٰ لسان أميركبير ؛ فإنَّنا نخافُ عليك من السلطان ، فقلتُ له : إني متمسكٌ بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرينَ على الحقِّ حتىٰ يأتي أمرُ الله ، لا يضرُّهم من خذلهم »[1] ، ثم إني توجَّهت فيه إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمرض بعد يومين ، واشتدَّ به المرض إلىٰ أن مات بعد أيام . انتهىٰ .

قلت : ولما عمَّر السُّلطان الغوري مدرستَهُ ومدفنه بالقبَّة الزرقاء بعث للشيخ بمشيختها ، فلم يقبلْ ، فقال : نرتِّب لك جوالي كلَّ شهرٍ[2] ، فلم يقبل ، وكان يعتقدُهُ اعتقاداً عظيماً .

---

(١) رواه البخاري (٣٦٤٠) دون لفظ : « لا يضرهم من خذلهم » عن سيدنا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، ورواه بتمامه مسلم (١٩٢٠) عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه ، وتقدم الحديث وتخريجه (٤/ ٣٩٣) .

(٢) **الجوالي**: الراتب الشهري.

ولما قام عليه صوفيةُ الخانقاه والبيبرسية ، وكان قد قال لهم : لستم بصوفية ، وإنما الصوفيُّ من تخلَّق بأخلاق الأولياء ، كما يشهدُ لذلك كتاب « الحلية » لأبي نُعيم ، و« رسالة القشيري » وغيرهما من الكتب ، ومَنْ يأكلُ المعلومَ من غير تخلُّقٍ بأخلاقهم أكلَ حراماً .

فلما اشتدَّ الأمرُ ، وسعوا في قتله عند السلطان قال الشيخ : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخبرني أني منصورٌ عليهم ، ولم يتغيَّرْ منه شعرةٌ واحدة

ثم إنَّ جميعَ من قام على الشيخ حصلَ له مقتٌ بين العباد ، وماتَ علىٰ أسوء حالٍ .

وقد رأيتُ أنا بعيني من صار ينصبُ علىٰ من يبيعُ الدجاج والمآكل ، ويدخلُ بها بيتَهُ ، فلا يعودُ يخرجُ حتىٰ يتعبَ صاحبُها ، وييئسَ من ثمنها ، ويأكلُ حراماً سحتاً .

وبعضهم ابتُليَ بالإنكار على العلماء والأولياء ، حتىٰ ظهرتْ عليه أماراتُ الشقاء عند الموت : من عقد اللسان عند الشهادتين ، وزرقة العينين ، وسواد جبهته ، نسألُ الله تعالى العافية .

ولما أَجَّجوا النارَ على الشيخ عند السلطان العادل ، وقالوا له : إنه يحطُّ عليك كثيراً ، فقال : لئن رأيتُه لأقطعنَّه قطعاً قطعاً ، فقال الشيخ : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخبرني أنَّ رأسه تقطعُ في يوم كذا وكذا ، فكان الأمر كما قال لم يتخلَّف يوماً واحداً ، وصدق الشيخ .

قال الشيخ عبد القادر : وامتُحنَ الشيخُ المحنَ الكثيرة ، وما سمعته يوماً واحداً يدعو علىٰ من آذاه من الحسدة ، ولا يقابلُهُ بسوء ، وإنما يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وصنَّف في ذلك كتاباً وسمَّاه : « تأخير الظلامة إلىٰ يوم القيامة » .

وأخبرني الشيخ بدرُ الدين ابن الطباخ نفعَ اللهُ تعالىٰ به لما قام صوفية البيبرسية على الشيخ جلال الدين ، وصنَّفَ فيهم كتاباً سألوني أن أُعارضَهُ بكتاب ، فشرعتُ تلك الليلة فيه ، وإذا بورقة نزلت في حِجْري في الليل مكتوبٌ فيها : عبدي يا مؤمن ، لا تؤذِ أحداً ممَّنْ حمل علْمَ نبيي ، فرجعتُ عن التأليف ، وعلمتُ أنَّ الشيخ جلال الدين على الحقِّ .

وكان الشيخ تقيُّ الدين الأوجاقي يحطُّ على الشيخ جلال الدين ، فاعترف بفضله ، واستغفر ، وقال : إن الأمورَ كلَّها لله تعالىٰ ، يُعطي العلمَ لمن يشاء ، لا تحجير عليه ، ولم يزل يعترفُ بفضله إلىٰ أن مات .

ومناقب الشيخ كثيرةٌ مشهورة ، ولو لم يكن له من الكراماتِ إلا إقبالُ الناس في سائر الأقطار علىٰ كتابةِ مؤلفاته ومطالعتها لكان في ذلك كفايةً ؛ لما اشتملتْ عليه من العلوم والمعارف .

فمما انفردَ به من المؤلفات ولم يَسبق إليه أحدٌ كتاب : « المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة » ، و« أُنموذج اللبيب في خصائص الحبيب » ، وكتاب « تزيين الأرائك في إرسال نبينا إلى الملائك » ، وكتاب « نشر العلمَيْن في إحياء الأبوين » ، وكتبٌ كثيرة تُعلم من كتاب « الفهرسة » .

مات رضي الله تعالىٰ عنه في سحرِ ليلة الجمعة تاسع عشر جُمادى الأولىٰ سنة إحدىٰ عشرة وتسع مئة .

وكان مرضُه سبعةَ أيام بورمٍ شديد في ذراعه اليسار ، يقال : إنه خلط الجدار ، وقد استكملَ من العمر إحدىٰ وستين سنة ، وعشرة أشهر ، وثمانية عشر يوماً .

وكان له مشهدٌ عظيم ، ودفن في حوش قوصون خارج باب القَرَافة رضي الله تعالىٰ عنه ، وقبره ظاهرٌ ، وعليه قبّةٌ ، نفعنا الله تعالىٰ والمسلمين ببركته ، آمين .

ومنهم :

(٦) شيخُنا وقدوتُنا إلى الله تعالىٰ شيخُ مشايخ الإسلام الشيخُ زكريا الأنصاري[١]

شارح « البهجة » و« الروض » ، وغير ذلك .

انتهت إليه الرياسة في مصر ، حتىٰ إنه لم يبقَ في مصرَ أواخر عمره إلا طلبتُهُ أو طلبةُ طلبته .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في الطبقات الكبرىٰ (٢/٣٤٨) (٣٤٦) و« الوسطىٰ » (٤/٣٩٦) (٥١٤) .

وقرئ عليه « شرح البهجة » سبعاً وخمسين مرة ، حتىٰ حرَّرها أتمَّ تحرير ، ولم يُنقلْ ذلك عن أحد من المؤلفين ، وغالبهم يموتُ عقبَ مؤلفاته من غير تحرير .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه مهيبَ المنظر ، مع أنه إذا رآه الإنسانُ امتلأ أنساً ، وذلك من علامة ولايته ؛ فإن الهيبة قلَّما تجتمعُ مع الأُنس في شخص واحد .

وكان يدرس في علم الفقه والتصوف .

ولازمته لما كُفَّ بصرُهُ مدَّة عشرَ سنين[1] ، كأنها من طيبها كانت سِنَةً ؛ لكوني ما كنتُ أجدُ عند غيره ما كنتُ أجد عنده ، بل أقولُ : طوبىٰ لعين نظرته مرةً واحدة .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه مُقبلاً علىٰ ربِّه على الدوام ، لا تكادُ تجدُهُ غافلاً عن عبادة ربِّهِ لحظةً واحدة .

وكنتُ إذا أصلحتُ شيئاً في الكتاب الذي أقرأه عليه يصيرُ يقولُ بخفض صوتٍ : (الله الله) ، ولا يمكثُ غافلاً عن الذكر لحظةً .

وكان يشرحُ كلام أهل الطريق علىٰ أتمِّ حال ، ويُجيب عنه الأجوبة الحسنة إذا أشكلَ على الناس شيءٌ من كلامهم .

وكان يقول : (إنَّ الفقيهَ إذا لم يكن له معرفةٌ بمصطلح ألفاظ القوم فهو كالخبز الحاف ، من غير إدم) .

ولما وقعتْ فتنةُ برهان الدين البِقاعي في شأن عمر بن الفارض رضي الله عنه أرسلَ السُّلطان إلى العلماء ، فكتبوا بحسب ما ظهر لهم ، وامتنع الشيخُ زكريا رضي الله تعالىٰ عنه ، ثم اجتمع بالشيخ محمد الإستنبولي ، فقال له : اكتبْ وانصرِ القومَ ، وبيِّن في الجواب : أنه لا يجوزُ لمن لم يعرف مصطلح القوم أن يتكلَّمَ في حقِّهم بشيءٍ آخر ؛ لأنَّ دائرة الولاية تبتدئ من وراء طور العقل ؛ لبنائها على الكشف الصحيح .

وكان يلقِّنُ الذكر ، ويُلْبسُ الخرقةَ .

---

(١) في (أ) : (وطالعت له لما كف مدة عشر سنين) ، وفي (ب ، د) : (وطالت مجالستي له لما كف مدة عشر سنين) .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه من أصحاب الهمم العالية ، ورأيته بعد بلوغ عمره أكثر من مئة سنة يُصلي النوافلَ حالَ مرضه قائماً ، فيصير يميلُ يميناً وشمالاً لا يكادُ أن يتمالَكَ أن يقفَ من غير ميلٍ ، فقلتُ له يوماً : مثلُكم لا يكلِّفُه الله تعالىٰ بالصلاة قائماً ، فقال : يا ولدي ؛ النفسُ من شأنها الكسل ، وأخاف أن تغلبني ، فأختم عمري بذلك .

وكان إذا طوَّل عليه أحدٌ في الكلام يقول : عجِّلْ ؛ فقد ضيَّعتَ علينا الزمان .

ومكثتُ أتغذَّىٰ معه مدة عشر سنين ، فما كان يزيدُ علىٰ ثلث رغيف من خبز خانقاه سعيد السعداء ، وكان يقول : إنما خصصتُها بالأكل من خبزها ؛ لكون صاحبها كان رجلاً صالحاً ، وذكر أنه عمَّرها بإشارة النبيِّ صلى الله عليه وسلم .

وكان إذا حضر عنده أكابرُ العلماء يخفون في نوره ، حتىٰ كأنهم أطفال بين يديه ، وكانت هيبتُهُ فوق هيبة السلطان ، وقد جالستُ السلطان الغوري ، والسلطان طومان باي بعد الغوري ، فكانت هيبة الشيخ ترجحُ علىٰ هيبتهما .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه كثيرَ الكشف ، لا يكاد يخطرُ في قلبي شيءٌ بين يديه إلا قال لي : قلْ ما في قلبك .

وكنت إذا حصل عندي صداعٌ في رأسي ، وتأوَّهْتُ وأنا أطالع يقول لي : انوِ الاستشفاءَ بالعلم يذهب ، فإذا نويتُ ذلك شُفيتُ ببركة إشارته ، لا ببركة إخلاصي ، وهٰذا دليلٌ علىٰ إخلاص الشيخ في العلم ؛ فإنَّ الإنسان لا ينوي الشفاء بعمل لا إخلاص فيه ؛ بدليل الثلاثة الذين دعوا الله بصالح أعمالهم لما انحدرتْ عليهم الصخرةُ ، فسدَّت عليهم فمَ الغار[1]

وأخبرني بأنه من حين كان شاباً وهو يحبُّ الصوفية ، ويحضرُ مجالسَ ذكرهم ، حتىٰ كان الأقران يقولون : زكريا لا يجيءُ منه شيءٌ في طريق الفقهاء ؛ لكوني كنتُ مكبّاً علىٰ مطالعة رسائل القوم ، مواظباً علىٰ مجالس الذكر ، بحيث كان يذهبُ غالبُ الوقت في ذلك .

---

(١) حديث أصحاب الغار رواه البخاري (٢٢١٥) ، ومسلم (٢٧٤٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه .

وأخبرني أنه سافر من مصر إلىٰ سيدي محمد الغمري بالمحلَّة الكبرىٰ ، وتلقَّن عليه ، وأقام عنده أربعين يوماً ، وقرأ عليه كتاب « قواعد الصوفية » له كاملاً ، ثم رجع إلىٰ مصر رضي الله عنه .

وأخبرني رضي الله تعالىٰ عنه : أنه دخل مرَّةً علىٰ سيدي محمد الغمري الخلوةَ علىٰ غفلة ، فرأىٰ له سبعَ عيون ، قال : فلما بهتُّ فيه قال لي : يا زكريا ؛ إنَّ الرجلَ إذا كمل صار له سبعُ عيون بعدد أقاليم الدنيا

قال : ودخلت عليه مرَّةً أخرىٰ فرأيته في الهواء ، قريباً من سقف الخلوة .

قال : ولما اشتغلتُ بالعلم وبرعت فيه بحمد الله شرحتُ « البهجة » ، فلما أتممتُ شرحَها غارَ بعضُ الأقران ، فكتبَ علىٰ بعض نُسَخِ الشرح : (كتاب الأعمىٰ والبصير) تعريضاً بأني لا أقدرُ أشرحُ « البهجة » وحدي ، وإنما ساعدني فيه رفيقٌ أعمىٰ كنتُ أُطالع أنا وإياه ، فاحتسبتُ بالله ، ولم ألتفتْ إلىٰ مثل ذلك ؛ اقتداءً بإمامي الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه في قوله : أحب أن تُقرأ هـٰذه العلوم ولا يُنسب إليَّ منها شيء .

قال : وكان تأليفي لـ« شرح البهجة » في يوم الاثنين والخميس ؛ لكونهما تُرفعُ فيهما الأعمال ، كما ورد في الحديث[1] ، وكان تأليفي له فوق سطح الجامع الأزهر .

قال : (وكان وقتي رائقاً من الكدورات النفسانية ؛ لقلَّة علائقي في الدنيا ، وكان ظاهري بحمد الله تعالىٰ محفوظاً من الأعمال الرديئة ، وكنتُ قليلَ اللهو واللعب ، قليل الذهاب إلىٰ مواضع التنزهات ، وما سكنتُ قطُّ علىٰ بحر النيل أو خليج ، ولـٰكن كان الطلبةُ إذا أرادوا رؤيةَ البحر أذهبُ بهم إلىٰ ناحية مسجد الآثار ببركة الحبش ، ويقرؤون دروسَهم هناك .

---

(١) روىٰ الحديث مسلم في « صحيحه » (٢٥٦٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « تُعرض الأعمال في كل يوم خميس واثنين ، فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً ، إلا امرأً كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال : ارْكُوا هـٰذين حتىٰ يصطلحا ، ارْكُوا هـٰذين حتىٰ يصطلحا » ، ومعنى اركُوا : أخِّروا .

وكنتُ أعوم البحر كلَّ سنةٍ مرَّةً ؛ خوفاً أن ينفكَّ إدماني من العوم ؛ فإنه كمالٌ في الرجل والمرأة) .

قال رضي الله تعالىٰ عنه : (وكنتُ مجابَ الدعوة ، لا أكادُ أدعو علىٰ من ظلمني إلا ويقصمه الله تعالىٰ ، ولا لمريضٍ إلا شفاه الله عز وجل ، فلما اشتَهر ذلك عني أشارَ عليَّ بعضُ الفقراء بستر حالي) .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه كثيراً ما يحكي لي شيئاً من أحواله ، ثم يقول : يا ولدي ؛ اكتمْ ذلك أيام حياتي ؛ فإني لم أنطق بذلك إلا لك ، فيحصلُ لي بذلك غايةُ السرور ، حيث جعلني محلاً لموضع أسراره .

وقال لي مرَّةً : هل هنا أحدٌ غيرك ؟ فقلت : لا ، فقال : أريدُ أن أذكرَ لك بدايةَ أمري ؛ لتحيط بذلك علماً ، فقلت : نعم ، فقال : جئتُ من البلاد إلىٰ جامع الأزهر وأنا شابٌ ، فلم أعكف على الاشتغال بشيء من أمور الدنيا ، وكنتُ إذا جعتُ في الجامع ، واشتدَّ عليَّ الجوعُ أخرج في الليل إلى الميضأة ، فأغسل قُشيراتِ البطيخ التي حول الميضأة وآكلها ، وأقنع بها عن الخبز ، فأقمتُ علىٰ ذلك الحال سنين .

ثم إن اللهَ تعالىٰ قيَّضَ لي شخصاً من أولياء الله تعالىٰ كان يعملُ في الطواحين في غربلة القمح ، فكان يتفقَّدني ، ويشتري لي ما أحتاجُ إليه من الأكل والشرب ، والكسوة ، والكتب ، ويقول لي : يا زكريا ؛ لا تُخْفِ عني شيئاً ، فلم يزل معي كذلك عدَّةَ سنين ، فلما كان ليلة من الليالي أخذَ بيدي ، وأتىٰ بي إلىٰ سلَّم الوقاد الذي في صحن جامع الأزهر ، فقال لي : اصعدْ هـٰذا الكرسيَّ ، فصعدتُ ، فلا زالَ يقولُ : اصعد حتىٰ صعدت إلىٰ آخر درجة ، ثم قال لي : انزل ، فنزلت ، ثم قال لي : يا زكريا ؛ إنك تعيشُ حتىٰ يموتَ جميعُ أقرانك ، ويرتفع شأنك ، وتتولَّىٰ شيخَ الإسلام مدَّةً طويلة ، ثم انقطع عني ، فلم أرَهُ إلىٰ يومي هـٰذا . انتهىٰ .

وكانت أولُ شهرةِ الشيخ أيام السُّلطان خُشْقَدَم ؛ وذلك أنه كان في باب النصر رجلٌ مشهور بالصلاح ، فمرَّ عليه السلطان خُشْقَدَم ، فوقف عليه يزوره ، فقال للسلطان : إذا كان لك حاجةٌ فاسأل فيها الشيخ زكريا ، فركب السلطانُ ، فزاره ، فأسرعتِ الناسُ إليه ، فمن ذلك اليوم اشتهر بالصلاح .

وقال لي مرة : إنها كانتْ غلطةً ، فقلت له : ما هي ؟ فقال : توليتي للقضاء صيَّرني وراءَ الناس ، مع أني كنتُ مستوراً من أيام السلطان قَايِتْباي ، فقلت له : يا سيدي ؛ إني سمعتُ بعض الأولياء يقول : كانتْ ولايةُ الشيخ للقضاء ستراً لحاله ؛ ولما شاعَ عند الناس من زهده وورعه ومكاشفاته ، فقال : الحمدُ لله ، خفَّفتَ عني يا ولدي .

وقال لي مرةً : لما سألني السلطان في القضاء أبيتُ ، فغمز النقيبَ ، وأُخرجَ لي الخلعةَ ، ووضعها علىٰ ظهري مفاجأةً ، وطلبَ لي بغلةً أركبها ، فقلت : لا أُغيِّرُ حمارتي ، فركبتُ الحمارة وأنا لابسُ الخلعة ، فجاؤوني بالبغلة في أثناء الطريق ، وغلبوني علىٰ ركوبها ، فركبتُها إلى البيت .

وقال لي السلطان مرةً : (لقد شاورتُ نفسي أني آخذُ بلجام بغلتك ، وأمشي معك إلىٰ بيتك ، وليَ الشرف بذلك) .

قال : (ولم يكنْ أحدٌ يحملُ نصحي بالكلام الجافي الخالي من المداهنة مثلَ السلطان قايِتْباي ، لو قلتُ لأحد من العلماء في هـٰذا الزمان لعاداني طولَ عمره) .

قال : وكنتُ إذا تعذَّر عليَّ مُشافهتُهُ بالنصح أتعرَّضُ في الخطبة لذلك الأمر خطاباً عاماً للحاضرين ، فيلحق هو بذلك ، فإذا سلَّمتُ من صلاة الجمعة قام لي وسلَّم ، وقال : جزاك اللهُ عنَّا خيراً في هـٰذا النصح .

ثم لم تزلِ الحسدةُ يُوحون إلى السلطان ويُظهرون له المحبة والتأثير من وعظي هـٰذا له ، وأنه يرسل يمنعني من التعرُّض له في الخطبة ، حتىٰ قال لهم : ماذا أفعل ، أقولُ لشخصٍ يُبصِّرني بعيوبي : لا تعد تنصحني ؟! .

قال : (ثم إني أغلظتُ عليه يوماً في النصيحة بحضرة بعض الأمراء الأكابر ، فتطوَّرَ مني ، فتقدَّمت إليه ، ثم مسكتُ يدَهُ وقلت : يا مولانا السلطان ؛ إنما أعظك بأمور أعرف أنها تُغطَّىٰ عليك ، وأخاف علىٰ جسمك هـٰذا أن يصيرَ فحماً من فحم جهنم ، فصار السلطان ينتفضُ ويبكي) .

وقلت له مرةً في الخطبة : (تَنَبَّه لنفسك يا من ولاَّه الله أمورَ العباد ، وتفكَّر بدايةَ

أمرك وما كنتَ فيه ، وحالك اليوم ، قد كنت عدماً فصرت وجوداً ، وكنتَ كافراً فصرتَ مُسلماً ، وكنت رقيقاً فصرتَ حرّاً ، وكنت مأموراً فصرت أميراً ، وكنت أميراً فصرت سلطاناً ، فلا تقابلْ هٰذه النعمةَ بالتجبُّر والتكبُّر ، وتنسىٰ مبتداك ومنتهاك ، ووضع أنفك في التراب حين تموت ، ثم يأكلُكَ الدُّودُ ، وتصير تراباً) ، فبكى السلطان ، ثم قال لمن حوله من الأمراء : إذا أبعدتُ هٰذا فمن يقولُ لي هٰذا الوعظ .

وأخبرني يوماً أن الخَضِرَ عليه الصلاة والسلام كان يجتمعُ بسيدي علي الضرير النبتيتي ، فسأله يوماً عن أحوال علماء العصر ، فصار يقولُ : ونِعْمَ منهم ، فسأله عني ، فقال : ونِعْمَ منه إلا أن عنده نفيسة ، فقال : يتوبُ منها ، ولم يبيِّن له الخضرُ ذلك ، فتنكَّرتْ عليَّ أفعالي ، وصار عندي تَطيُّرٌ من جميع أفعالي ، فأرسلت أقول لسيدي عليٍّ : إذا رأيتَهُ مرَّةً أخرىٰ فاسأله يبيِّن لي النفيسة لأتوبَ منها ، فرآه ، فأخبره وقال له : إنه إذا كاتبَ الأمراء في حاجة يقول لقاصدِهِ : قلْ له : هٰذا الكتاب من الشيخ زكريا ، فيُسمِّي نفسَهُ شيخاً ، قال : فمن ذلك اليوم ما تلفَّظْتُ بهٰذه الكلمة .

وقال لي مرةً : كنتُ كثير الاعتكاف في خلوتي فوق سطح الجامع الأزهر ، فدقَّ عليَّ رجلٌ الباب ، ففتحتُ له ، فقلت له : ما حاجتك ؟ فقال : قد كُفَّ بصري ، فدلُّوني الناسُ علىٰ فضلك تدعو لي بالشفاء ، فيردُّ اللهُ عليَّ بصري ، قال : وكان لي علامةٌ في إجابة الدعاء المجاب وغير المجاب ، فتوجَّهت إلى الله تعالىٰ ، فرأيتُ علامةَ الإجابة وخفتُ من الشهرة ، فقلتُ : خذْ هٰذا الدرهم ، وامضِ به إلى العجمي الذي تحت البرقوقية ، فقل له : بعثني زكريا إليك لتعطيني بهٰذا الدرهم توتياء حاف ، قال : فمضى الرجلُ ، وأخذ التوتياء ، ورجع إليَّ ، فقلت له : لا يردُّ اللهُ عليك بصرَكَ في مصر ، وإنما يردُّهُ عليك في قطية ، فسافرْ ، وإذا رجعَ إليك بصرُكَ فلا ترجعْ إلىٰ مصرَ في هٰذه السنة ، قال الشيخ : فوصلَ إلى القدس بصيراً ، ومكثَ يكتبُ مصاحفَ وكُتُبَ علمٍ ، وأرسل لي كذا كذا كتاباً بخطِّه ، ولم يزل بصيراً إلىٰ أن مات .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه كثيرَ الصدقة سرّاً وجهراً ، ولٰكن كانتْ صدقتُهُ سرّاً أكثرَ ، وما رأيت في العلماء والصالحين أكثرَ صدقةً منه .

كان له جماعةٌ يتصدَّق عليهم كفايتَهم من يومٍ ، أو جمعةٍ ، أو شهرٍ

وكان كثيراً ما يُعطي كلَّ واردٍ عليه يوم تهنئته بالشهر ، ولكلِّ واحدٍ مقامٌ عنده في العطاء من القضاة ، والعلماء ، وطلبة العلم ، والمساكين ؛ فمنهم من له كلَّ شهرٍ عشرةُ أنصاف ، ومنهم من له خمسةُ أنصاف ، إلىٰ نصفٍ ، إلىٰ عثماني[1]

وكان غالبُ الناس يعتقدُ في الشيخ قلَّةَ الصدقة من كثرة إخفائها .

وكان إذا جاءه فقيرٌ يطلبُ شيئاً يقول لي : هل هنا أحدٌ ؟ فإن قلتُ له : نعم قال : قل له يأتينا في غير هٰذا الوقت .

وكان فقيرٌ من الصعيد له عليه مرتَّبٌ كلَّ يوم[2] ، فيقول : زرتُ سيدي عبد القادر الكيلاني البارحة ، زرتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم البارحة ، زرتُ سيدي أبا الحجَّاج الأقصري والشيخُ ساكتٌ ، فقلتُ له يوماً : إنه لم يلحقْ إلىٰ هٰذه الأماكن ! فقال الشيخ : يحتملُ أن يكون صادقاً ؛ فإن الأمرَ ممكن ؛ فإن الدنيا خطوةُ مؤمنٍ .

ورأيتُ له مرةً رؤيا حسنة ، ولم أذكرْها له ، فلما جلستُ بين يديه للمطالعة في « شرح البخاري » قال لي من ذات نفسه : قفْ واذكر لي ما رأيتَ الليلة ، فقلت : رأيتُ أني معكم في مركبٍ ، وأنت جالسٌ عن يسار الإمام الشافعي ، فقلتَ لي : سلِّم على الإمام ، فسلَّمتُ عليه ، ودعا لي ، والمركب مقلعة في بحر مثل عباب النيل[3] ، ورأيتُ المركبَ كلَّها مفروشةً بالسندس الأخضر ، وكذلك القلع ، وحباله كلُّها حريرٌ أخضرُ ، ومتكآتٌ خضر ، فلا زلنا مقلعين حتى انتهينا إلىٰ جنينة عظيمة ؛ أصولُها في ساحل البحر ، وثمارها مدلاةٌ من شراريف الحائط ، فطلعتُ أنا من المركب إلى البستان ، فرأيتُ حوراً حساناً يجنين من الزعفران ، في قفافٍ بيضٍ علىٰ رؤوسهنَّ ، كلُّ قنبعة من الزعفران قدرُها في الجرم قدر إسباطة البلح ، فاستيقظتُ ، فقال لي الشيخ :

---

(١) **النصف** : عملة مصرية صغيرة مسبوكة من خليط من الفضة والنحاس ، كانت تساوي قديماً نصف درهم من دراهم السلطان المؤيد « تكملة المعاجم » (١٠/ ٢٣٥) ، **والعثماني** : قطعة نقدية تركية تساوي ثلث البارة ، **والبارة** : نصف فضة « تكملة المعاجم » (٧/ ١٤٣) .

(٢) في (هـ ، و) : (الفقراء) بدل (الصعيد) .

(٣) في (أ ، ج) : (معلقة) بدل (مقلعة) .

إن صدق منامك سوف أدفن بالقرب من الإمام الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه ؛ لكون المركب جمعتني أنا وإياه .

وكان حاضراً عندنا الشيخ جمالُ الدين الصاني ، والشيخ أبو بكر الظاهري ، فلما توفي الشيخُ فتحوا له فسقيةً في باب النصر ، فقال لي الشيخ جمال الدين : أين رؤياك ؟ فقلت له : إن الشيخ قال : إنْ صحَّتْ رؤياك ، فبينما نحن كذلك وقد كُفِّنَ الشيخُ ، وما بقي إلا الحمل ، جاء قاصد خاير بك ملك الأمراء ، فقال : إن ملك الأمراء ضعيفٌ ، ولا يستطيع أن يأتي إلىٰ باب النصر ، ومقصودُهُ من فضلكم أن تحملوه إلىٰ سبيل المؤمنين ليُصلي عليه ، فحملوه للرميلة ، فلما صلّىٰ عليه ملك الأمراء قال : ادفنوه عند الإمام الشافعي تجاه قبر الشيخ نجم الدين الخبوشاني المطلِّ عليه الشباك ، قبالة وجه الإمام الشافعي ، فكان الأمر كذلك .

وكانت جنازتُهُ مشهورةً ، ما رأيتُ أكثر خلقاً منها .

وقد أَلبسني الخرقةَ الصوفية ، وأَرخىٰ لي العَذَبَةَ ، ولقَّنني الذكر ، فبيني وبين سيدي أحمد الزاهد رجلان ؛ لأن الشيخَ أخذ عن سيدي محمد الغمري ، عن سيدي أحمد ، ولا أعلم الآن في مصرَ أعلا من هـٰذا السند ؛ فإنَّ غالب الناس بينه وبين أحمد الزاهد أربعُ رجال ، أو ثلاثة .

ولما توفي رضي الله تعالىٰ عنه أظلمتْ مصرُ ، فكان فيها كالشمس ، فطوبىٰ لعين رأته مرةً .

مات رضي الله تعالىٰ عنه في ذي الحجة عام سنة نيِّفٍ وعشرين وتسع مئة[1]

(١) وقع في هامش (ب) : (توفي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري السنيكي الشافعي في ذي الحجة سنة ست وعشرين وتسع مئة بالقاهرة. . . سنة تغمده الله تعالىٰ برحمته ، آمين . انتهىٰ عثمان) ، **وعثمان هـٰذا** : هو عثمان بن أحمد بن محمد الدميري نسباً المالكي مذهباً ، كما جاء في خاتمة هـٰذه النسخة .

ومنهم :

(٧) شيخُنا وقدوتنا إلى الله تعالىٰ

شيخُ الإسلام برهان الدين بن أبي شريف الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه[(١)]

كان شيخاً عالماً صالحاً ، ورعاً زاهداً ، متمكِّناً في علوم الظاهر والباطن .

صحبته رضي الله تعالىٰ عنه نحو خمس سنين ، وكان من المُقبلين على الله عز وجل ليلاً ونهاراً ، لا تكادُ تسمعُ منه كلمةً يكتبُها عليه كاتبُ الشمال .

وكان لا يتردَّدُ لأحد من الولاة أبداً .

وكان الإنسانُ إذا عرضَ عليه بعضَ محفوظاته يتلجلجُ من شدَّة هيبته ، فيباسطُ الصغيرَ حتىٰ يسكنَ روعُهُ .

وكان له صبَّانةٌ في القدس يعمل فيها الصابون ، ويتقوَّتُ منها ، وكان لا يأكلُ من معاليم مشيخة الإسلام شيئاً .

وكان قوَّالاً بالحقِّ أمَّاراً بالمعروف ، لا يخاف في الله لومة لائم .

وعارضه السلطان الغوري في واقعةٍ ، فما أفلحَ بعدها أبداً ، وسُلب ملكُهُ ، فكان الناسُ يقولون : جميع ما وقع للغوري ببركة الشيخ برهان الدين .

توفي سنة نيِّفٍ وعشرين وتسع مئة رضي الله تعالىٰ عنه[(٢)]

ومنهم :

(٨) شيخُنا الشيخُ كمال الدين الطويل رضي الله تعالىٰ عنه[(٣)]

كانت الأنوارُ تخفقُ علىٰ وجهه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصدرها في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٠٤) (٥١٥) .

(٢) وقع في هامش (ب) : (توفي البرهان بن أبي شريف المقدسي الشافعي بمصر عاشر شهر محرم الحرام من شهور سنة ثلاث وعشرين وتسع مئة ، تغمده الله تعالىٰ برحمته آمين ، انتهىٰ عثمان) .

(٣) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٠٥) (٥١٦) .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه إماماً في العلوم والمعارف ، متواضعاً ، عفيفاً ، ظريفاً ، لا يكادُ جليسُهُ يملُّ من المجالسة .

انتهت إليه الرئاسةُ في العلم ، ووقف الناسُ عند فتاويه .

وكانت كتبُ مذهب الشافعي كأنها نصبَ عينيه ، لا سيما كتب الأذرعي ، والزركشي .

وكان من أولاد الترك .

وبلغنا : أنه كان في صباه يلعبُ بالحمام في الريدانية ، فمرَّ عليه سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله تعالىٰ عنه وهو ذاهبٌ إلىٰ بركة الحاج ، فقال له : مرحباً بالشيخ كمال الدين شيخِ الإسلام ، فاعتقد الفقراءُ أنَّ الشيخَ يمزحُ معه ؛ إذ لم يكن عليه أمارةُ الفقهاء ، فمن ذلك اليوم تركَ لعبَ الحمام ، واشتغلَ بالقرآن والعلم ، وعاش جماعةُ سيدي إبراهيم الذين ظنُّوا أن الشيخ يمزح معه حين لقَّبه بشيخ الإسلام حتىٰ رأوه تولَّىٰ مشيخة الإسلام ، فظهرَ لهم صدقُ كلام الشيخ .

ولما دنتْ وفاةُ الشيخ كمال الدين رأيتُ سيدي إبراهيم في المنام ، فقال لي : قل للشيخ كمال الدين يتهيَّأ للموت ، ويكثرُ من الاستغفار ، فقد دنا أجله ، فأعلمته بذلك ، فقال : سمعاً وطاعة ، فعاش بعد ذلك شهراً ونصفَ شهر .

فانظر يا أخي ملاحظةَ سيدي إبراهيم له أوَّلَ أمره وآخره[١]

ومناقبه كثيرةٌ .

توفي بعد دخول ابن عثمان مصرَ ، ودفن بتربته خارج باب النصر قريباً من المدرسة الحاجبية رضي الله تعالىٰ عنه .

---

(١) في (هـ ، و) : (عمره) بدل (أمره) .

ومنهم :

(٩) شيخُنا شيخُ الإسلام برهان الدين القلقشندي رضي الله تعالىٰ عنه(١)

كان عالماً صالحاً زاهداً ، قليل اللهو والمزح ، مقبلاً علىٰ أعمال الآخرة ، حتىٰ إنه ربما يمكثُ اليومين والثلاثة لا يأكل .

انتهت إليه الرئاسة في علو السند في الكتب الستة ، والمسانيد ، والأجزاء .

وسمعتُ عليه بقراءة الشيخ شمسِ الدين المظفري « الغيلانيات »(٢) ، و« مسند عبد بن حميد » ، وأجازني بروايتها كلِّها .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه لا يخرجُ من دارِه إلا لضرورةٍ شرعية ، وليس له تردُّدٌ إلىٰ أحد من الأكابر .

وكان إذا ركبَ بغلته وتطيلسَ يصيرُ الناس كلُّهم ينظرون إليه من شدَّةِ الهيبة التي عليه

مات رضي الله عنه قبل دخول السلطان سليم إلىٰ مصر ، وكأنَّ الشمسَ كانت في مصر فغربت ، رضي الله تعالىٰ عنه .

وكانت جنازته حافلةً خاصَّةً بالأمراء والصالحين رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين(٣)

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٠٦) (٥١٧) .

(٢) **الأجزاء الغيلانيات** : هي أحد عشر جزءاً ، تخريج الدارقطني من حديث أبي بكر محمد بن عبد الله ابن إبراهيم البزار ، وهو القدر المسموع لأبي طالب محمد بن إبراهيم بن غيلان البزار المتوفىٰ سنة (٤٤٠هـ) من أبي بكر المذكور ، وهي من أعلى الحديث وأحسنه . انظر « الرسالة المستطرفة » (ص ٩٢) .

(٣) وقع في هامش (ب) : (توفي البرهان القلقشندي الشافعي المذكور ليلة الثلاثاء عاشر جمادى الأولىٰ سنة اثنين وعشرين وتسع مئة . . . بحارة بهاء الدين بالقاهرة ، تغمده الله تعالىٰ برحمته ، آمين . انتهىٰ عثمان) .

ومنهم :

(١٠) شيخُنا وقدوتنا إلى الله تعالىٰ شيخُ مشايخ الإسلام الشيخ شهاب الدين الشيشيني الحنبلي رضي الله تعالىٰ عنه[١]

كان عالماً زاهداً ، تقياً نقياً ، عفيفاً متواضعاً .

طالما رأيتُهُ يدرس العلم علىٰ نَخٍّ حلفاء ليس فوقه شيءٌ .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه إماماً في التفسير والمذهب .

وكان إذا دخل جامعاً وقت صلاة العصر مثلاً يصعدُ الكرسيَّ بعد الصلاة ، ويتكلَّم علىٰ تفسير آيةٍ أو آيتين بكلامٍ مشحون بالزواجر حتىٰ يُبكي الناس ، ثم يدعو وينزل .

وكان لا يأكلُ من معاليم مشيخة الإسلام شيئاً .

ودخلت له مرةً فرأيتُهُ يدوِّر مواسير الغزل للحياكين في حارته ، ويتقوَّتُ منها ، وكذلك كان ولده الشيخ عز الدين يفعلُ لمَّا تولىٰ بعد والده مشيخة الإسلام .

ترك ذريةً طاهرة طيبة ، رضي الله تعالىٰ عنهم .

مات سنة تسع عشرة وتسع مئة رضي الله تعالىٰ عنه .

ومنهم :

(١١) شيخُنا وقدوتنا الإمام العالم الصالحُ الورع الزاهد نور الدين الأشموني الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه[٢]

كان متقشِّفاً في مأكله وملبسه وفرشه .

صحبته نحو ثلاث سنين كأنها كانت سِنَةً من حُسنِ سمته ، وحلاوة لفظه ، وقلَّةِ كلامه ، ولم يزل علىٰ ذلك حتىٰ مات ، رضي الله تعالىٰ عنه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٠٧) (٥١٨) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٠٨) (٥١٩) .

نظم « المنهاج » في الفقه وشَرَحَه ، ونظم « جمع الجوامع » في الأصول وشَرَحَه[١] ، وشرح « ألفية ابن مالك » شرحاً عظيماً ، رضي الله تعالىٰ عنه[٢]

ومنهم :

(١٢) شيخُ الإسلام والمسلمين ابنُ النقيب رحمه الله تعالىٰ[٣]

هو الشيخ محيي الدين ، واسمه عبد القادر .

قرأ العلمَ علىٰ جماعةٍ من الأعلام ؛ منهم : الشيخ كمال الدين بن أبي شريف ، والشيخ زكريا ، وأضرابهما .

تولَّىٰ قاضي القضاة مرات .

وكان لا يُصلِّي الصُّبحَ صيفاً ولا شتاءً إلا في الجامع الأزهر ، يمشي كلَّ يوم من المدرسة الناصرية إليه .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه متواضعاً ، كثيرَ البكاء من خشية الله تعالىٰ ، رضي الله تعالىٰ عنه ورحمه[٤]

ومنهم :

(١٣) شيخُنا وقدوتنا إلى الله تعالى ، العالمُ الصالح ، الورع الزاهد الشيخ سعد الدين الذهبي الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه[٥]

كان وِردُه كلَّ يومٍ ختماً ، شتاءً وصيفاً .

---

(١) قوله : (ونظم « جمع الجوامع » في الأصول وشرحه) ليست في : (ج ، د ، هـ ، و) .

(٢) في هامش (ب) : (قلت : توفي صاحب الترجمة الشيخ نور الدين الأشموني في سابع عشر ذي الحجة الحرام ختام شهور سنة سبع عشرة وتسع مئة ، تغمده الله تعالىٰ برحمته ، آمين . انتهىٰ عثمان) .

(٣) تقدمت ترجمته ومصادرها في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/٤٠٨) (٥٢٠) .

(٤) في هامش (ب) : (توفي المحيوي عبد القادر ابن النقيب قاضي القضاة الشافعي بمصر يوم الخميس تاسع ربيع الأول سنة اثنين وعشرين وتسع مئة ، تغمده الله تعالىٰ برحمته ، آمين) .

(٥) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/٤٠٩) (٥٢١) .

وكان خُلُقُه واسعاً ؛ إذا تجادل عنده الطلبةُ يشتغلُ هو بتلاوة القرآن حتىٰ يفرغَ جدالهم .

وكان يقضي جميعَ حوائجه من السوق ويحملها ، ولا يُمكِّنُ أحداً يحملها معه ، ولم تزلِ القفَّةُ بيده إذا مشىٰ ، وهو يتلو القرآن سراً .

وكان لا يقبلُ من أحد صدقةً علىٰ خلاف ما عليه الفقهاء .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه كثيرَ الصدقة ، وأوصىٰ بمال جزيل للفقراء والمساكين رضي الله تعالىٰ عنه .

مات سنة نيِّفٍ وعشرين وتسع مئة ، ودفن خارج باب النصر رضي الله تعالىٰ عنه .

ومنهم :

(١٤) شيخُنا الإمامُ ، العالم الصالحُ
الشيخ عبدُ الحقِّ السنباطي الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه[1]

كان صالحاً عابداً متواضعاً طارحاً للتكلف .

انتهتْ إليه الرئاسة في الفقه والأصول وغيرهما من العلوم .

وكنتَ إذا رأيتَهُ شهدتَ له بالصلاح قبل أن تُخاطبه .

مات رضي الله عنه بمكة المشرفة ، ودفن بباب المعلاة ، رضي الله تعالىٰ عنه[2]

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤١٠) (٥٢٢) .

(٢) وقع في هامش (ب) : (توفي الشيخ عبد الحق السنباطي الشافعي المذكور فجر ليلة الجمعة مستهل شهر رمضان سنة إحدىٰ وثلاثين وتسع مئة بمكة المشرفة ، تغمده الله تعالىٰ برحمته ، آمين . انتهىٰ عثمان) ، وذكره في « شذرات الذهب » (١٠/ ٢٤٨) ضمن وفيات (٩٣١هـ) ، وقال : (توفي عند طلوع فجر يوم الجمعة مستهل شهر رمضان) .

ومنهم :

(١٥) الشيخُ الإمام ، العالم العامل ، الورع الزاهد ، جامع أشتات الفضائل الشيخُ جلالُ الدين البكري والد الشيخ أبي الحسن رضي الله تعالىٰ عنهما[١]

كان من العلماء الصالحين العاملين ، وله القدمُ الراسخة في علم التصوف ، والفقه ، والأصول ، وغير ذلك .

وقد أخذَ العلم عن جماعةٍ ؛ منهم : الشيخ العلامة جلال الدين الكبير البكري ، وشيخ الإسلام الشيخ كمال الدين بن أبي شريف ، وشيخ الإسلام يحيى المناوي ، وأضرابهم .

وأجازوه بالفتوىٰ والتدريس وهو ببلاد الفيوم ، فأفتىٰ بها ، ودرَّسَ العلوم ، وانتفع به خلائقُ لا يُحصون ، ثم رحل إلىٰ مصر بأولاده وعياله ، بإشارة الشيخ العارف بالله تعالىٰ سيدي عبد القادر الدشطوطي رضي الله تعالىٰ عنه ، فاستخلفه علىٰ عمارة الجوامع التي عمَّرها بمصر وغيرها ، فعمَّرها كلَّها من فيض فضل الله تعالىٰ من حيث لا يحتسب ، واشترىٰ لها أوقافاً ، وأقام بها الشعائر ، ولم يشاركْه أحدٌ في ذلك إلا من كان من طلبته وتحت تربيته ، فكلُّ الأماكن المنسوبة لسيدي عبد القادر عمارةُ الشيخ جلال الدين ؛ لأنها من كسبه واجتهاده .

وكان الشيخُ عبد القادر غارقاً فيما هو فيه من الجذب ، لا يفيقُ إلا قليلاً ، فالاسمُ له والمعنىٰ للشيخ جلال الدين .

وسمعته رضي الله تعالىٰ عنه يقولُ مرةً للشيخ جلال الدين : (إياك أن تُدْخِلَ في المقام أحداً من أبناء الدنيا ، واجعل جميعَ وظائفه وخبزه وطعامِهِ للفقراء والمساكين ، و[مقشفي] الركب[٢] ، والواردين) ، فامتثلَ الشيخ جلال الدين ذلك ، وسار في المقام سيرةً عظيمة .

---

(١) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤١٠) (٥٢٣) .

(٢) في النسخ : (مقشفين) بدل (مقشفي) ، وفي (أ) ، و« الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤١١) : (مكشفي الركب) بدل (مقشفي الركب) .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يكرمُ كلَّ واردٍ عليه ؛ من أميرٍ ، أو فقيرٍ ، أو غني ، أو صغيرٍ ، ويقدِّمُ لكل واحد ما يناسبه .

وكان كثيرَ الأدب والحياء ، كريم النفس ، جميلَ المعاشرة ، حلوَ الكلام ؛ كأنَّ اللهَ تعالىٰ عجن طينةَ جسده من سائر المحاسن .

وكان يتفقَّدُ كلَّ من نام في المقام ، ويسألُ عن القيام بواجبه وإكرامه .

فبات عنده جماعةٌ مرةً ، واشتروا عشاءهم ، فتكدَّرَ لذلك غايةَ التكدير ، وكان علىٰ طريقة العرب في الكرم والنخوة والمروءة .

وكان كثيرَ الشفاعات عند الأمراء وغيرهم ، وكانوا يَهابونه ، ويجلُّونه ، وكان مهيبَ المنظر ، عليه خفرُ العلماء العاملين والأولياء والصالحين ، كثير الصيام والقيام ، زاهداً ورعاً ، عفيفاً ، متقشِّفاً في ملبسه ومأكله ، لا يدَّخرُ شيئاً من الدنيا ، ولا يبيتُ علىٰ دينار ولا درهم ، يكسو الفقراء والمساكين ويفتقد الأيتامَ والأرامل ، وكثيراً ما يغرف الماجورَ من الطعام[1] ، ويضعه علىٰ باب الزاوية بعد المغرب ؛ فكلُّ من رآه من الفقراء ذاهباً إلى السوق يشتري عشاءه يقول له : تعال ، فيغرف له ما يكفيه ويكفي عياله ، ويقولُ له : توسَّع بما كنت عازماً علىٰ شراء عشائك به .

وأوصافه الحسنة تجلُّ عن تأليفي ، فأسألُ الله تعالىٰ أن ينفعنا ببركاته وبركات أسلافه الطاهرين ، آمين .

مات رضي الله تعالىٰ عنه ودفن في القبة الكبيرة التي في الجامع الأبيض ، وكانت جنازتُهُ مشهورةً .

ورأيته بعد موته بشهور وهو في نعشه طائراً في الهواء ، حتىٰ جاء إلىٰ مقام سيدي عبد القادر ، فدخل من شباك القبة ، فقلت له : يا سيدي ؛ ما لَكَ انتقلت ؟ فقال : إن الفسقيةَ التي أنا فيها يدخلُها الماء من بركة القرع ، فقلت ذلك لولده الشيخ أبي الحسن ، فقال لي : لعلَّ منامَك صحيح ، ثم فتحَ الفسقيةَ ،

---

(١) **الماجور** : إناء من خزف يطبخ فيه اللحم .

فوجد الشيخَ عائماً بكفنه ، فعمل للشيخ دكَّةَ خشبٍ معلقة ، ووضعه عليها ، رضي الله تعالىٰ عنه .

ومنهم :

(١٦) الشيخ الصالح العالمُ الشيخ شمس الدين الدمياطي[١]

المقيمُ بخانقاه سعيد السعداء ، كان محققاً للعلوم ، كثير البكاء من خشية الله تعالىٰ ، زاهداً ، ورعاً ، عابداً ، لا يكادُ ينام من الليل إلا قليلاً .

أخذ العلم عن جماعة ؛ منهم الشيخُ زكريا ، والشيخ برهان الدين بن أبي شريف ، والشيخ كمال الدين الطويل ، والشيخ عبد الحق السنباطي .

وأخذ التصوف عن سيدي محمد الإستنبولي ، وعن الشيخ نور الدين الحسني .

وكان سمتُهُ سمتَ الصالحين ، وأعمالُهُ أعمالَ المتَّقين .

وكان يعيب على الفقهاء الذي يتوسوسون في ماء الطهارة ، ولا يتوسوسون في اللقمة ، ويقول لهم : لو عكستم الأمرَ لأفلحتم .

صحبته نحو خمس سنين ، ثم مات ، وكانت جنازته مشهودة .

وكان عازباً ما تزوَّج قطُّ ، وكان يطبخُ بنفسه ، ويفرِّق علىٰ جيرانه ، ويطعم طلبته ، ويقول : (ما أحوجني الله تعالىٰ إلى النساء ، كابدتُ العزوبيةَ سنةً ، ثم ذهبت عني شهوةُ الوطء) .

وكان كثير الذكر لله تعالىٰ ، لا يكاد يغفُلُ عن قول : (الله ، الله) في حالِ درسِهِ ، وفي حالِ عمله الشغل .

[ولما مات أخبر عنه جماعةٌ كثيرة أنَّه كان يعولُهم ، فيحمل إليهم بالليل ما يأكلون

---

(١) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤١٤) (٥٢٦) .

وما يلبسون][1] ، ويأمرهم بكتمان ذلك ، فلم يظهر الأمرُ إلا بعد موته ، رضي الله تعالىٰ عنه[2]

ومنهم :

(١٧) الشيخُ الإمام ، الفقيه الصوفيُّ النحوي الشيخ شهابُ الدين الحسامي رضي الله تعالىٰ عنه[3]

صحبته نحو عشر سنين ، فما رأيتُ وقتاً دخلَ عليه وهو مُحدِثٌ ، وكان دائمَ الطهارة ، كثيرَ الصمت والحياء والأدب ، يمكث اليومين وأكثر لا يتكلم كلمةَ لغو .

وكان زاهداً ورعاً ، كثيرَ الصيام ، طويل القيام ، ويقوم للتهجد من أول النصف الثاني من الليل .

وكان نهارُهُ كله في طاعة ؛ إما في علم ، أو قراءة قرآن ، أو قراءةِ أوراد ، يقولُ من عاشره : ما ضبطنا عليه قطُّ ساعةً هو فيها غافلٌ عن مصالح دنياه أو آخرته .

وكان لا يأكلُ شيئاً من صدقات الناس ، ولا يقبلُ هديةَ أحدٍ من الولاة والقضاة ، أو المباشرين ، أو التجار الذين لا يتورَّعون في كسبهم .

أخذ طريقَ التصوفِ عن جماعة ؛ منهم : الشيخ علي المرصفي رضي الله تعالىٰ عنه ، وكان يذهبُ إلىٰ مجلسه كلَّ يوم جمعة .

وكان رجلاً مهيبَ المنظر يتعمَّمُ بالقطن من غير قصارة ، وثيابه قصيرةٌ على السُّنة المحمدية .

وكان يخدمُ نفسه ، ويشتري حوائجه من السوق بنفسه ، ولا يُمكِّن أحداً يحملها معه .

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من « الطبقات الوسطىٰ » .

(٢) وقع في هامش (ب) : (قلت : توفي الشيخ شمس الدين الدمياطي المذكور في يوم الاثنين خامس شهر رجب سنة سبع وعشرين وتسع مئة ، تغمده الله تعالىٰ برحمته ، آمين . انتهىٰ عثمان) .

(٣) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤١٣) (٥٢٤) .

وكان العلماءُ يرجعون إليه في المعقولات ، ويعدلونه بابن هشام وابن مالك رضي الله تعالىٰ عنه .

مات سنة نيّفٍ وعشرين وتسع مئة ، رحمه الله تعالىٰ .

ومنهم :

(١٨) الشيخُ الإمام ، العالم المحقِّق ، الورع الزاهد الشيخُ صلاح الدين القليوبي الشافعي رضي الله عنه(١)

صحبته نحو عشر سنين ، وقرأت عليه كتباً ، وكان رضي الله عنه حسنَ الخلق ، كريمَ النفس ، يتفقَّدُ جيرانَهُ كلَّ ليلة بالطعام ، ويقوم بأيتام حارته وأراملها خارج باب النصر .

وكان رضي الله عنه من أجلِّ جماعة مولانا الشيخ زكريا ، وشيخ الإسلام ابن أبي شريف ، وشيخ الإسلام الشيخ كمال الدين الطويل .

وكان رضي الله عنه مهيبَ المنظر ، عليه خفرُ أهل العلم الأكابر .

وكان رضي الله عنه إذا خرج من بيته للصلاة يزدحمُ الناسُ عليه يتبرَّكون به .

وكان رضي الله عنه يباشر وظائفَهُ من تدريس علمٍ وغيرها ، ويتصدَّقُ بمعلومها على الفقراء ، ويحسبُ الأيام التي لم يباشرها يوفِّرُها للوقف ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٩) الشيخُ الصالح ، الإمام العالم الشيخ عبدُ الخالق الميقاتي الحنفي رضي الله تعالىٰ عنه(٢)

صحبته نحو خمس عشرة سنة .

وكان عالماً بمذهب الإمام أبي حنيفة ، وله الباعُ الطويل في علم المعقولات ، وعلم الهيئة ، وعلم التصوف .

---

(١) انفردت النسخة (أ) بهذه الترجمة ، وتقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطى » (٤/ ٤١٤) (٥٢٥) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤١٥) (٥٢٧) .

وكان وقتُهُ كلُّهُ معموراً بذكر الله عز وجل وغيره من الطاعات .

وكان كريمَ النفس ، لا ينقطعُ عنه الواردون في ليلةٍ من الليالي .

وكان للفقراء عنده في الجمعة ليلةٌ يتذاكرون عنده في أحوال الطريق إلى الصباح .

وله سماطٌ من أول شهر رمضان إلىٰ آخره .

وكان دائمَ الصمت ، لا يتكلم إلا لضرورةٍ ، يأمر بالمعروف ، وينهىٰ عن المنكر ، لم تأخذْهُ في الله لومةُ لائم .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه علىٰ طريقة الفقراء الأقدمين ، لا يُعجبُهُ أحدٌ من فقراء الزمان وعلمائه ، ويقول : إنه لا ينبغي لأحدٍ أن يتظاهرَ أنه من القوم إلا إنْ صدقَ في طريقهم .

وكان يكره لبس الزِّي ، ويقول : ليستِ الطريقُ بمثل ذلك ، وإنما كان السَّلفُ يلبسون الصوفَ والمرقَّعات ؛ لقلة الحلال المناسب لمقامهم ، ثم يقول : وماذا يُغني لبسُ مئزر الصوف والجبة وصاحبُهما ينامُ الليلَ ويُفطرَ النهار ، ولو أنه عكسَ الأمر لكان خيراً له .

مات رضي الله تعالىٰ عنه ودُفن قريباً من جامع الملك ، وكانت جنازته مشهودة ، رحمة الله تعالىٰ عليه .

ومنهم :

(٢٠) الشيخُ الصالح ، العالمُ الزاهد
الشيخ شمس الدين الجزيري الشافعي الغمري رضي الله تعالىٰ عنه[١]

كان علىٰ قدم عظيم في حفظ اللسان والجوارح ، لا يكادُ كاتبُ الشمال يجدُ شيئاً يكتبُهُ عليه الجمعةَ وأكثر .

وكان وقتُهُ معموراً بالعلم والعمل والأوراد ، وما سمعتُهُ قطُّ يذكرُ أحداً بسوء ، ولا يأكلُ لأحدٍ من غير المتورعين في مكاسبهم طعاماً .

وكان يحسُبُ مالَهُ ، ويخرجُ زكاتَه على التمام والكمال .

وكان كثيرَ الصدقة سرّاً ، ويتفقَّدُ جيرانه بالطبيخ بالطعام كلَّ ليلةٍ .

---

(١) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/٤١٦) (٥٢٨) .

وكان حلوَ اللسان ، كثيرَ الحياء ، كثير الأدب ، كثير الحلم والعلم .

وبالجملة : فقد كانت أوصافُهُ الجميلةُ كثيرةً ، رضي الله تعالىٰ عنه ورحمه .

ومنهم :

(٢١) شيخُنا العالم العلامة ، حافظُ العصر الشيخ نورُ الدين بنُ ناصر الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه(١)

كان يحفظُ نصوصَ الشافعي وأقوالَ مقلِّديه عن ظهر قلب ، لا يحتاج إلىٰ نظرٍ في كراس .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه حسنَ المعاشرة والشيم ، لا تكادُ تجدُهُ إلا متبسِّماً .

وكان النورُ يخفقُ علىٰ وجهه ، يدركُهُ كلُّ المؤمنين(٢)

وكان محفوظُهُ أكثرَ من « الروضة »(٣)

وكان في تدريسه كالبحرِ الهدَّار في العلم رضي الله تعالىٰ عنه .

مات سنة نيّفٍ وعشرين وتسع مئة رحمه الله تعالىٰ .

ومنهم :

(٢٢) شيخُنا العالم العلامة الشيخ مجلي(٤) الشافعي رضي الله عنه(٥)

كان يُجيبُ عن المسائلَ التي يُسأل فيها ، فكان قلَّ أن يُكشف ؛ لأن مذهبَ الشافعي كان نصبَ عينه .

---

(١) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤١٧) (٥٢٩) .

(٢) في (هـ ، و) : (أكثر) بدل (كل) ، وفي (أ) : (كل مؤمن)

(٣) في « الطبقات الوسطىٰ » : (وكان أكثر محفوظِهِ) .

(٤) في (ب ، د) : (نجل) ، وفي (ج) : (علي) والترجمة ساقطة من (د ، هـ) ، والمثبت من (أ) و « الطبقات الوسطىٰ » .

(٥) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤١٧) (٥٣٠) .

ومكث يُفتي الناسَ أكثر من خمسين سنة كما أخبرني بذلك في مرض موته .

وكان ورعاً زاهداً ، قليلَ الكلام ، ربَّما يمكث اليومَ كاملاً لا يتكلمُ بكلمة لغو .

وكان يشهد في الصالحية ، ولا يقضي ، وسألوه بالقضاء ، فأبىٰ .

وكان بيتُهُ خالياً من أمتعة الدنيا ، لا تكادُ تجدُ فيه غيرَ الإبريق ونخاً حلفاء مفروشاً تحته ، وكان ملبسُهُ إذا دخلَ مبيته هُديماتٍ ، وعِمامتُهُ شراميط .

ودخلتُ عليه في مرض موته ، فقال : يا ولدي ؛ خيرُ الناس من خرجَ من الدنيا لم يأخذ من أجرِ عمله شيئاً ، لي خمسون سنةً أُفتي في هٰذه البلدة ومع ذلك لم يفتقدني أحدٌ في هٰذه الضعفة برغيفٍ واحد ، ولا بجديدٍ[1] ، ولا بقطعةِ سكر ، فالحمدُ لله ربِّ العالمين .

مات رحمه الله تعالىٰ قريباً من سنة عشرين وتسع مئة ، رضي الله تعالىٰ عنه .

ومنهم :

(٢٣) شيخُنا العالمُ الصالح ، الشيخ عيسى الإخنائي الشافعي رضي الله عنه[2]

كان عالماً صالحاً ، ورعاً زاهداً في الدنيا ، قليلَ اللعب والغفلة وتناولِ الشهوات ، لا يبدأ أحداً بكلام إلا إن سأله عن مسألة ، وما سمعتُهُ قطُّ يغتابُ أحداً من أقرانه الذين كانوا يُؤذونه ، بل يسكتُ إذا بلغه عنهم كلامٌ ويقول : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وعرضوا عليه الدنيا فردَّها ، ورضي بأكلِ الكِسَر اليابسة ، رضي الله تعالىٰ عنه ورحمه ، ونفعنا ببركاته .

---

(١) **الجديد** : قطعة نقدية .

(٢) انفردت النسخة (أ) بهذه الترجمة ، وتقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الوسطى » (٤/٤١٨) (٥٣١) .

ومنهم :

(٢٤) شيخُنا الشيخ الصالحُ ، الشيخ شهاب الدين القسطلاني[١]

كان عالماً صالحاً مُحدِّثاً مقرئاً ، وكان من أهل الإنصاف ، كلُّ من ردَّ عليه سهواً أو غلطاً يزيدُ فيه محبةً وتعظيماً .

ولمَّا طالعتُ « شرحه للبخاري » سألني بالله أن أنبِّهَهُ على كلِّ موضع وقفت فيه .

ولمَّا وضع شيخُ الإسلام زكريا « شرحاً للبخاري » أخبرته بذلك ، فسألني أن أحضر معي بشرحه ، فكلُّ شيء عدلَ عنه الشيخ زكريا من عبارته أكتبه له في ورقة ، فكنتُ أجمع له في كلِّ جمعةٍ عدةَ أوراق ؛ تارةً يأتي فيأخذها ، وتارةً يُرسل عبدَهُ فأعطيها له .

وجاءني مرَّةً إلى باب خلوتي ، فقال : بلغني أن في يدك علامةً ، فأريتها له ، وكان لإصبعي اليمين الخنصر أربعُ عقد ، وظننتُ أنه يُريد رؤيته ، فأخذ يدي وقبَّلها سبعَ مرات ، وقال : لا تَغفُلْ عن كتابة ما يُخالفني فيه الشيخ ؛ فإنه لا يحرر الكتابَ إلا الطلبةُ ، وليس لي طلبة .

وكان رضي الله تعالى عنه من أزهد الناس في الدنيا ، وأحسنهم وجهاً ، طويلَ القامة ، حسنَ الشيب ، يقرأ [بأربعَ عشرةَ] رواية[٢]

وكان رضي الله تعالى عنه صوتُهُ بالقرآن يُبكي القلب القاسي[٣] ، إذا قرأ في المحراب يتساقط الناسُ من الخشوع والبكاء .

وأقام عند النبي صلى الله عليه وسلم سنين ، فحصل له جذبٌ ، فصنف له « المواهب اللدنية » لما صحا ، وأوقف خصيّاً على خدمة الحجرة النبوية .

مات رضي الله تعالى عنه في شهر ربيع الأول قريباً من العشرين وتسع مئة ، ودفن في المدرسة العينية قريباً من الجامع الأزهر ، رحمه الله تعالى .

---

(١) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطى » (٤/ ٤١٩) (٥٣٢) .

(٢) في (أ) : (بالأربعة عشر) ، وفي باقي النسخ : (بأربعة عشر) .

(٣) في (ج) : (الناس) بدل (القلب القاسي) .

ومنهم :

(٢٥) شيخنا الإمام ، والمحدث ، الخطيب بالجامع الأزهر الشيخ شمس الدين السمنودي الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه[١]

كان عالماً ورعاً زاهداً ، لم يأكل من معلوم وظائفه الدينية شيئاً ؛ وإنما كان يُنفقه على العيال .

ومرض مرةً فلم يستنبْ في الحضور ، فردَّ معلومَ ذلك الشهر حين أتوه به .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يقول : (جهدتُ أن آكلَ من معلومٍ فلم يتيسرْ لي ، إنما آكلُ من حيث لا أحتسب) .

وانتهتْ إليه الرئاسة في الفتوىٰ بمصر مدةً طويلة .

ثم انتقل إلى المحلَّة الكبرىٰ ، فأقام بجامع السدِّ[٢] ، فلم يزل يُفتي ويدرِّس العلم بها إلىٰ أن مات سنة إحدىٰ وعشرين وتسع مئة ، ودفن بمقبرة الشيخ الطريني .

وكان لا يُفتي أبداً في الطلاق ، ويقول : إنهم يُنهون في مسائل الطلاق خلاف الواقع ، فيعملون بفتيايَ بالباطل ، رضي الله تعالىٰ عنه ورحمه .

ومنهم :

(٢٦) شيخُنا الإمام ، العلامة في فنون العلم الشيخ شمسُ الدين الغزيُّ[٣]

جعله السلطان الغُوري إماماً في مدرسته بغير سؤال منه ، وقدَّمه علىٰ سائر علماء البلد الذين طلبوا وسألوا .

وكان مُهاباً ، لا يكاد أحدٌ أن ينظرَ إليه إلا ارتعد من هيبته ، وكانوا يحذِّرون

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٢٠) (٥٣٣) .

(٢) في (أ) : (بجامع السيد) ، وفي (ب) : (بجانب) بدل (بجامع) ، وفي « الطبقات الوسطىٰ » : (بجامع سندفا) .

(٣) في (ج) : (المقرئ) ، وتقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٢١) (٥٣٥) .

الصبيانَ الذين يعرضون عليه محفوظاتهم منه ، ويقولون لهم : لا تنظروا إلىٰ وجه الشيخ تذهلوا عن حفظكم من هيبته

وكان رضي الله تعالىٰ عنه صوتُهُ في المحراب غريباً ، لا يكاد المصلون يملُّون من سماعه[1] ، ولو قرأ بنحو حزبِ قرآن .

وكان رضي الله عنه يُفتي ويدرِّس طولَ النهار علىٰ طهارةٍ كاملة ، ولم يضبطوا عليه غيبةً في حقِّ أحدٍ من أقرانه ولا غيرهم .

وسمعته مرةً يقول : جميعُ أعمال العبد إذا قبلها الله تعالىٰ يومَ القيامة ربما لا يرضىٰ بها الإنسانُ في غيبة واحدة ، فكيف يليق بعاقل أن يصنعَ بنفسه ما يؤدي إلىٰ ذلك ؟! رضي الله تعالىٰ عنه .

ومنهم :

(٢٧) شيخُنا الإمام ، العالمُ العلامة ، المحقق الشيخ جمال الدين الصاني الشافعي المدرِّس والمفتي بجامع الأزهر رضي الله تعالىٰ عنه[2]

كان عالماً صالحاً ، مهاباً ، قرأت عليه نحو خمس سنين ، ثم مات رضي الله تعالىٰ عنه .

وكان لم يزل يفتي ويدرِّس بالجامع الأزهر حتىٰ مات رحمه الله تعالىٰ .

وتخرج به جماعةٌ كثيرة .

وهو من أجلاء طلبة شيخنا شيخِ الإسلام زكريا رضي الله تعالىٰ عنه .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه قوّالاً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، يواجه بذلك الملوكَ فمن دونهم ، حتىٰ أدّاه ذلك إلى الحبسِ المضيق ، وهو مصممٌ على الحقِّ رضي الله تعالىٰ عنه

(١) في (ج) : (المقتدون) بدل (المصلون) .
(٢) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٢١) (٥٣٤) .

ومنهم :

(٢٨) الشيخُ الإمام ، العالم العلامة ، المحدِّث ، الفقيه المقرئ ، الأصولي ، النحوي ، الصوفي ، الشيخ أمين الدين الإمام بجامع الغمري بالقاهرة رضي الله تعالىٰ عنه[١]

كان زاهداً ، كريماً ، ورعاً ، واسطةَ خيرٍ للناس في قضاء الحوائج بالبر والإكرام .

وكان يتفقَّدُ الأرامل والمساكين بالبرِّ والإكرام .

وكان لا يدخلُ أحدٌ مصرَ من الأولياء والعلماء إلا وردَ عليه ، ويُكرمه ، ويجلُّه ؛ كسيدي محمد بن عنان ، وسيدي محمد المنير ، وسيدي محمد بن داود ، وسيدي أبو بكر الحديدي[٢] ، وسيدي محمد الشناوي ، وسيدي عبد الحليم ، وسيدي علي بن الجمال ، وأضرابهم .

وهو أولُ من أخذتُ عنه الفقه ، والحديث ، والتفسير ، والأصول ، والنحو ، والسند بكتب الحديث .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه كثير الكشف والكرامات والاعتقاد التامِّ من الخاص والعام .

وكان وقته محفوظاً من تضييعه فيما لا ينبغي ، لا تكادُ تجدُهُ قطُّ في ليلٍ ولا نهار إلا في طاعة .

ومما رأيتُهُ من كراماته : أني كنتُ أطالع معه في « شرح البخاري » للقسطلاني في باب جزاء الصيد[٣] ، فمررت : (وفي التَيْتَلِ عنزٌ) ، فقلتُ له : ما صفة التَيْتَل ؟ فقال : إن شاء الله تعالىٰ تراهُ في هـٰذا الوقت ، فما مضىٰ نحوُ درجةٍ إلا والتيتلُ خارجٌ

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/٤١١) (٣٨٥) و« الطبقات الوسطىٰ » (٤/٢١٦ ، ٤٠٥ ، ٤٢٢) .

(٢) في (ب) : (محمد الحديدي) .

(٣) في (ج) : (أقرأ عليه) بدل (أطالع معه) ، وفي « الوسطىٰ » (أعارض) .

من حائطٍ حتىٰ وضع فمَهُ علىٰ كتفي ، فرأيتُهُ ، ثم خرج التَيْتَلُ من باب جامع الغمري والناس ينتظرون صلاة العصر ، فلما انقضتِ الصلاةُ قلت لجماعةٍ كانوا هناك : أرأيتم التَيْتَل الذي خرج من المحراب ؟ فأنكروا ذلك وضحكوا ، فقصصتُ عليهم القصة مع الشيخ ، فقالوا : هـٰذه كرامة له .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يقرأُ بالسبع في المحراب بصوتٍ حسن ما سمع السامعون بمصر مثله .

ولما ورد قرقط أخو السلطان سليم إلىٰ مصر[1] طلبوا له إماماً يؤمُّ به في الجمعة ، فاتَّفقَ أهلُ مصر على الشيخ أمين الدين ، فشاوروا السلطان الغوري عليه ، فأجازه بذلك إلىٰ أن رجع إلى الروم .

وسمع قراءتَهُ في صلاة الصبح نصرانيٌّ من مباشري القلعة ، فأسلم ، ورقَّ قلبُهُ للإسلام من حسنِ صوت الشيخ .

ورأيته يُصلي خلفه إلىٰ أن مات .

وكان الشيخ أبو العباس الغمري يقول : (جامعُنا هـٰذا جثةٌ وروحُهُ الشيخ أمين الدين) .

ومكث الشيخ فيه إماماً سبعاً وخمسين سنة ما ضبطوا عليه أنَّ الوقتَ دخلَ وهو علىٰ غير طهارة ، وما ضبطوا عليه أنَّه نام عن قيام الليل في صيف ولا شتاء .

ورأيت جماعةً يأتونه من بولاق يصلون خلفه الصبح ويرجعون .

وكذلك جماعة من الخرَّاطين بالقرب من الجامع الأزهر

وكان يقرأُ بالأنغام المختلفة في الصلاة ، لا يتكلَّف لها .

وكان جماعةُ السلطان الغوري الذين ينشدون عنده يأتونَ إليه فيتعلَّمون .

وكان إذا مرض يتكلَّفُ الوضوء .

ورأيته ليلةَ تُوفي زحفَ إلىٰ ميضأة الجامع وتوضأ ، فغلب عليه المرض ، فوقع في

(١) في (ج) : (فرقد) بدل (قرقط) والمثبت موافق لـ « الوسطى » (٢/ ٤٢٣) .

الميضأة بثيابه وعمامته ، فطلعَ وثيابُهُ تقطر ماءً ، فأحرم بالناس في صلاة المغرب ، وصلَّىٰ بهم كذلك ، ولم يترك صلاةَ الجماعة ، ثم مات بعد صلاة العشاء تلك الليلة ، رضي الله تعالىٰ عنه .

وكان ملبسُهُ الثيابَ الشمط الزرق[1] ، والعمامة القطن بلا قصارة .

وله هيبةٌ تؤثِّرُ في قلوب الأكابر[2] ، ومع ذلك كان في غاية التواضع مع العميان ، والأرامل ، والمساكين ، ويقضي حاجتَهم من السوق ، ويحملُ الخبزَ علىٰ رأسه في الفرن ، ولا يُمكِّن أحداً يحملُ عنه ذلك

وكان كلُّ من رآه من الأكابر وهو حاملٌ طبقَ الخبز ينزلُ من علىٰ فرسِهِ ، ويقبِّلُ يده ، ويُسايره ، ولا يقدرُ على الركوب حتىٰ يفارقَهُ الشيخ .

وكان يجمعُ الزكاة ويفرِّقها على المحاويج ، حتىٰ كان يرسل لأهلي صُريراتٍ إلىٰ بلاد الريف ، ولم يأكل منها شيئاً .

وكان إذا مقتَ إنساناً لا يُفلحُ بعدها أبداً ، مقت نحو سبعةَ عشرَ نفساً ، فرأوا في أنفسهم العبرَ ، ولم يُفلحوا لا في أعمال الدنيا ، ولا في أعمال الآخرة .

وكان كلَّ يوم يفتُّ الخبزَ اليابس ، ويسقيه بالشوربة ، ويجمع العميان والأيتامَ ، ويتغدَّىٰ معهم ، ولا يأكل وحدَه إلا لضرورة .

وكان إذا قلَّ المرقُ عن تسقية الخبز يصبَّ عليه من الإبريق ماءً ويأكله .

ومناقبه رضي الله تعالىٰ عنه كثيرةٌ مشهورة .

مات رضي الله تعالىٰ عنه في ذي القعدة الحرام سنة تسع وعشرين وتسع مئة ، ودفنَ بتربته خارج باب النصر رضي الله تعالىٰ عنه .

ورأيته بعد موته روىٰ لي حديثاً بالسريانية ، ففهمتُ معناه ، وهو قوله : روىٰ أنس بنُ مالك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : من واظبَ على النوم بعد صلاة

---

(١) **الشمط** : أي : المخرقة ، قال ابن السكيت في « كتاب الألفاظ » (ص ١٦٠) : (قد صار شماطيط ؛ أي : قد تخرق) .

(٢) في (ج) : (في القلوب) بدل (في قلوب الأكابر) .

الصبح ابتلاه اللهُ تعالىٰ بوجع الجنب ، وكان بي وجعُ الجنب قبل ذلك ، وما كنتُ أعرفُ سببه ، فتركتُ النومَ بعد الصبح ، فزال عني الوجع ، مع أني ما كنت أنام بعد الصبح إلا يوم الجمعة ؛ لكونها ليلةَ سهرٍ من العشاء إلى الفجر .

ورأيته مرةً أُخرىٰ ثاني ليلة من دفنه ، وجبهتُهُ تقطرُ دماً ، حتىٰ ظهر لونُهُ من الكفن ، فقلت ذلك لولد ابنته الشيخ أبو اللطف ، فقال : رؤياك صحيحة ، فإننا لمَّا أنزلناه القبرَ صدمَ جبهتَهُ حجرٌ ، فخرج منه الدم رضي الله تعالىٰ عنه .

وإلىٰ وقتي هـٰذا ما كنتُ في شدَّةٍ إلا ورأيته في منامي ، وحصلَ لي الفرجُ ، والحمد لله رب العالمين .

ومنهم :

(٢٩) الشيخُ الإمام ، العالم العامل ، الزاهد الصالح نورُ الدين السنهوري الضرير إمام جامع الأقمر رضي الله تعالىٰ عنه[١]

قرأتُ عليه عدة كتب في النحو والفقه وعلم الحديث .

وكان الخلائقُ مقبلين عليه ، لا تقومُ طائفةٌ إلا وتدخل عليه أخرىٰ ، حتىٰ إنَّ بعضَهم يُكمل درسه على السراج .

وألَّفَ عدَّةَ مؤلفات في القراءات ، وفي النحو ، ونظم « الآجرومية » علىٰ رَوي « الشاطبية » وشرحها .

ورأيته مراتٍ وهو يأكلُ والناس يقرؤون عليه ، لا يجدُ وقتاً خالياً للأكل من كثرة اشتغال الناس عليه .

وكان له فروةُ كبشٍ مغشَّاةٌ بثوب طرح ، يلبسها صيفاً وشتاءً ، وكانت عمامته من غليظ المحلاوي ، يغسلُها مرةً في السنة .

وكنتُ إذا دخلتُ بيته أتذكر أحوالَ السلف ، وليس فيه طرَّاحةٌ ، ولا صندوق ، ولا شيءٌ من أمتعة أهل الدنيا .

---

(١) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٢٥) (٥٣٧) .

وكان كثيرَ الصمت والخشية لله تعالىٰ ، لا تزالُ عيناه تهملان من الدموع .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يقول : ما بقي للفقيه في هـٰذا الزمان أحسنُ من الوحدة ، وعدم التردُّدِ للناس ، وما دام الناسُ غافلين عنه فهو بخير ، والفتنةُ كلُّها في الشهرة .

وكان يديم التدفِّي بالنار في الشتاء ، حتىٰ صارتْ أوراكه سوداء من ذلك ، وطلبوا أن يشتروا له شيئاً يدفئه ، فقال : ما لي وللدنيا ، ما بقي إلا القليلُ ونقدمُ على الله تعالىٰ ويكسىٰ كل مؤمن في الدنيا[١]

مات رضي الله تعالىٰ عنه ورحمه سنة ثلاث وعشرين وتسع مئة .

ومنهم :

(٣٠) الشيخُ الصالحُ ، العلامة المحقق ، الصوفي الفقيه المفنن في العلوم ، الشيخ ملا علي العجمي[٢]

الذي كان مُقيماً بتربة نائب جدِّه خارجَ باب القَرَافة رضي الله تعالىٰ عنه .

كان إماماً في الفقه ، والتفسير ، والمعقولات ، والتصوف .

قرأتُ عليه عدَّةَ كتب ، وانتفعتُ بصحبته .

وكان كثيرَ الأدب والحياء ، كثير الصمت ، لا يكادُ يتكلَّمُ كلمةً واحدة إلا إن كلَّمه أحد .

وكنت أشبِّهُهُ بسيدي علي المرصفي رضي الله تعالىٰ عنه في الهيبة والوقار .

وكان حسنَ الاعتقاد ، تابعاً هدي أهل السنة والجماعة ، محبّاً لجميع الصحابة ، عابداً ناسكاً ، خاشعاً خائفاً ، مجلسُهُ كلُّهُ مجلسُ علمٍ وأدب ، وحياء ووقار ، ويُجيب عن الأئمة المخالفين لإمام مذهبه بأحسن جواب .

مات رضي الله تعالىٰ عنه ودفن في محلِّ إقامته خارجَ باب القرافة ، وكانتْ جنازتُهُ مشهودةً رضي الله تعالىٰ عنه ورحمه .

---

(١) في « الطبقات الوسطىٰ » : (وننسىٰ كل بؤس) .

(٢) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٢٦) (٥٣٨) .

ومنهم :

(٣١) الشيخُ العلامة المحدِّثُ ، الفقيه الصوفي الشيخ بدر الدين المشهدي رضي الله تعالىٰ عنه[١]

كان عالماً صالحاً ، كثيرَ العبادة ؛ من صيامٍ وقيامٍ ، وكفِّ لسانٍ ، محبّاً للخمول وعدم نشر الصيت ؛ إن رأىٰ أحداً يقرأ عليه فتحَ له ، وإلا أغلقَ باب داره ، فقلت له يوماً : ما أصبرَك يا سيدي على الوحدة ؟! فقال : من كان مجالساً لله تعالىٰ فما ثَمَّ وحدةٌ ، وقد جاوزت الأربعين سنة ، وما بقي يُناسبنا إلا الجدُّ والاجتهاد ، وعدمُ الغفلة عن الله تعالىٰ .

ثم قال لي : هٰكذا أدركنا الأشياخَ ، خلافَ ما عليه أهلُ هٰذا الزمان ، يتعلَّمُ أحدُهم بعضَ مسائل ، فيودُّ أن لو عرفَ بها جميعُ أهل الأرض .

ثم قال لي : يا ولدي ؛ واللهِ ؛ إني الآن في غمٍّ شديد ؛ لفقد تلك الأشياخ ، كانتْ رؤيتُهم عبادةً .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يقول : (مدحُ الناس للعبدِ قبل مجاوزته الصراط كلُّه غرر ، فلا حولَ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) .

ومنهم :

(٣٢) الشيخ العالمُ العلامة ، محقِّقُ الديار المصرية الشيخ نورُ الدين المحلي الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه[٢]

كان كالجبل الراسي في كمالِ العقل والهيبة والوقار ، غزيرُ الدمعة إذا ذُكرتْ أحوالُ السلف .

وكان مشهوراً في مصر بحلِّ مشكلات العبارات في الأصول ، والفقه ، والمعاني ، والبيان ، وغير ذلك .

---

(١) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٢٧) (٥٣٩) .

(٢) ستأتي ترجمة في « ذيل الطبقات » (٥/ ١٤٨) لعَلَمٍ نُعت بـ (نور الدين المحلي) أيضاً ، فتأمل ، وتقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٢٨) (٥٤٠) .

وتفقَّه عليه خلائقُ لا يحصون ؛ منهم : الشيخ شهاب الدين عميرة ، والشيخ عبد الحميد السمهودي رضي الله تعالىٰ عنهما .

ولم يزل علىٰ نعت الاستقامة ؛ من الزهد في الدنيا ، والاعتقاد الحسن في طائفة الصوفية ، عكس ما كان عليه شيخُه الشيخ برهان الدين البِقاعي .

وأخبرني مرةً : أن شيخَهُ قال له : يا ولدي ؛ إنما أُنكر علىٰ هـٰؤلاء القوم ؛ خوفاً علىٰ عقائد الناس أن تُتلفَ بعدم سلوكهم الطريق ، وتعذُّر معرفة كلٍّ باصطلاحهم في ألفاظهم ، فرأيتُ التنفيرَ عن كلامهم أحسنَ للناس وأصلحَ ، وإلا فأنا بحمد الله معتقدٌ في الشيخ محيي الدين بن العربي ، وفي سيدي عمر بن الفارض ، وبتقدير عدم الاعتقاد فيهما ، فإنما أنكرتُ على العبارة التي نُسبت إليهما ، وقد لا يكون ذلك كلامَهما ، وقد دسَّ الملاحدةُ شيئاً كثيراً في كلام الأئمة بغير علمهم . انتهىٰ .

ولما وقعتِ المحنةُ أيام السلطان الغوري في أمر الرَّجلِ الذي اعترف بالزنا ثم رجعَ ، وعزل القضاة الأربع ، أرسل يسألُه أن يتولَّىٰ قاضي القضاة في مذهب الإمام الشافعي بغيرِ سؤالٍ ، عَبَسَ في وجه قاصدِ السلطان ، فقال له : قل للسلطان : إنْ كانَ عليُّ المحلي ضيَّق عليك في مصر فهو يرحلُ عنك إلىٰ بلاد التكرور ، ولم يُجبِ السلطان إلىٰ ذلك ، رضي الله تعالىٰ عنه[1]

ومنهم :

(٣٣) الشيخ الإمامُ العالم ، الزاهد الصالحُ
الشيخ شهاب الدين المسيري الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه[2]

كان جبلاً راسخاً في العلوم الشرعية والعقلية ، وهو مع ذلك لا يغفُلُ عن قضاء حوائج الناس عند الأمراء والأكابر ، وكانوا كلُّهم منقادين له ؛ لعفَّته وزهده فيما في أيديهم ، فكم أطعمَ جائعاً ! وكم كسا عارياً ! وكم وزن مهرَ فقير ! وكم أوفىٰ ديناً !

---

(١) وقع في هامش (ب) : (توفي النور المحلي المذكور ليلة الخميس ثاني عشري شهر صفر سنة اثنان وعشرين وتسع مئة ، تغمده الله تعالىٰ برحمته ، آمين . انتهىٰ عثمان) .

(٢) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٢٩) (٥٤١) .

وكان كثيراً ما يأتيه الفقيرُ يسألُه الشفاعة وهو يدرِّسُ ، فيتركُ الدرسَ ، ويقومُ معه ، ويقول : هٰذه ضرورةٌ ناجزة ، وضرورةُ الحاجة إلىٰ هٰذا العلم متراخيةٌ ، وقد لا يحتاجُ أحدٌ إلىٰ تلك المسائل التي نبحثُ فيها .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه قوَّاماً بالليل ، صوَّاماً بالنهار ، رثَّ الهيئة في الثياب مع الهيبة والوقار ، صغيرَ العمامة علىٰ قبع جوخ[1]

لا تكادُ تجدُهُ في ليلٍ ولا نهار إلا مشغولاً في مصالح غيره ، حتىٰ كان سَدَاهُ ولُحمتُهُ خيراً ، رضي الله تعالىٰ عنه ورحمه .

ومنهم :

(٣٤) الشيخُ الإمام ، الفقيه المحدِّثُ ، الصوفي المفننُ في سائر العلوم التي بأيدي الناس اليوم أبو النجا الفُوِّيُّ رضي الله تعالىٰ عنه[2]

صحبته سبعةَ أيام ، كان جبلاً راسخاً في علم القراءات ، والحديث ، والتفسير .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يعظ الناس في الجامع الأزهر وغيره ، وحضرت مجلسه في الجامع الأزهر ، ففسَّرَ من أول (الهُمَزَةِ) إلىٰ آخر القرآن ، وتكلَّم في ذلك المجلس علىٰ أربعةَ عشرَ علماً في كلِّ آيةٍ حتىٰ بهرَ العقول .

وحَضَرتْ جميعُ المدرِّسين بالجامع الأزهر ، وكان ذلك آخرَ مجالسه بالجامع الأزهر ، ثم سافر إلىٰ بلاده ، فمات .

وكان له القبولُ التامُّ عند الخاصِّ والعام .

وكان كثيرَ الكرامات ، أخبرنا سِبطُهُ : أنَّ شخصاً عملَ له كعك العيد ، فقال للشيخ : نريد شيرجاً ، فأرسلَ ، فملأ شيرجاً ، من البحر الذي تحت بيته في مدينة فُوَّة

---

(١) القبع : الطاقية ، أو العَرَقية : تصنع من نسيج القطن ، وفي (أ) : (عرقية جوخ) .

(٢) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/٤٢٩) (٥٤٢) .

إلىٰ أن اكتفىٰ ، وقال : إني لما غرفتُ من البحر نظرتُ إلى الإناء وهو يسيل من جوانبه .

وكان إذا بلغَ أهلَ مصر أنَّ الشيخ وصلتْ مركبُهُ إلىٰ ساحل بولاق يذهبون إليه أفواجاً يتلقَّونه ؛ فرحاً به كيوم العيد .

وفي ليلةِ موته شاعَ في بلادِهِ أنه قُطِّب تلك الليلة ، فمكثَ في القطبية دون الليلة ؛ فلذلك كان هجِّيرُ أصحابه في طريق جنازته :

هـٰذه جنازةُ عاشقٍ   ليلة وصالو مات

ولم يزالوا علىٰ ذلك حتىٰ دُفن رضي الله تعالىٰ عنه .

وكان رحمه الله تعالىٰ كثير الكشف ، لا يكادُ يخطرُ علىٰ جليسه خاطرُ سوءٍ إلا قال له : الزم الأدب ، فكان لا يتجرَّأُ علىٰ مجالسته إلا قليلٌ من الناس .

قلت : وأخذَ عنه خلائقُ طريقَ القوم .

وكان رحمه الله تعالىٰ إذا لقَّنَ إنساناً يصيرُ يسمعُ نُطقَ الموجودات كلِّها من الجمادات .

وكان لطيفَ المزاج يكادُ إذا سمع صوتاً طيِّباً أن يذوبَ عشقاً ، وذلك من علامات القطب .

وله نظمٌ شائع كثير ، نظم « الروضة » في الفقه ، ونظم « المنهاج » ، وشرح « المغني » لابن هشام في ست مجلدات ، وأكثرُ مؤلفاته في التصوف .

وكان له موشحاتٌ غربية ، منها قوله :

أيُّها الناموس يَطلع كالقادوس   ملا واندقَّ روس
دخان المشعل ودقات الطبول   وافعل لا تفعل تحير فيها العقول
ما أسرع ما يعزل ومن بعد الوصول   أينو قال محبوس في قيد ويدوس
إجلِ مرآتَك ترى الحق يقين   واخرج عن ذاتك لتفرح يا حزين
تنظر ما فاتك علىٰ طول السنين   يا عبدَ الحندوس لفقدٍ وعبوس
تحمل للدبوس   وللمسكين تدوس

إلىٰ آخر ما قال .

ومناقبه مشهورةٌ بناحية فوَّة ، رضي الله تعالىٰ عنه ورحمه .

ومنهم :

(٣٥) الشيخ الإمامُ ، العالمُ العلامة ، المقرئ المحدِّث ، الفقيه النحوي الشيخ نور الدين الجارحي ، رضي الله تعالىٰ عنه[١]

كان قليلَ الضحك ، مهيبَ المنظر ، كثيرَ الصمت ، قليلَ المخالطة للناس ، ليلُهُ ونهارُهُ في طاعة ربِّه .

وكان يتهجد كلَّ ليلة بثلث القرآن .

وكان قد انفردَ في مصر بعلم القراءات هو والشيخ نور الدين السنهوري .

وكان يُقرئُ الأطفال تجاه جامع الغمري ، فكان إذا نظرَ إلى الطفل يرعدُ من هيبته .

وكان مذهبُ الإمام الشافعي كله نصبَ عينيه .

وما دخل عليه وقت إلا وهو علىٰ طهارة ، رضي الله تعالىٰ عنه .

ومنهم :

(٣٦) الشيخُ الإمام ، العالمُ العلامة القاضي شمس الدين بن عبد الكافي[٢]

كان يقضي في مجلسه خارجَ باب القوس[٣] والناس يقرؤون عليه العلم ، وكان لا يأخذ على القضاء أجراً .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٣٢) (٥٤٤) .

(٢) في هامش (ب) : (هو القاضي شمس الدين محمد بن عبد الكافي الشافعي أحد نواب الشافعية بمصر . انتهىٰ عثمان) ، وتقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٣١) (٥٤٣) .

(٣) في (أ) و« الطبقات الوسطى » : (داخل باب القوس) .

وكان طويلاً سميناً ، ومحاشمُهُ قدر بطيختين كبيرتين ، ومع ذلك كان يتوضَّأُ لكلِّ صلاةٍ من الخمس .

وكانت محاشمه دائماً مشدودةً بفوطة ، مربوطة في وسطه حتىٰ يقدر على الاستنجاء . وكنتُ أستدلُّ علىٰ شدَّة دينه ، وكثرة تقواه بذلك ؛ فإني رأيتُ من كان بحالِهِ تركَ الصلاةَ والاستنجاء في أغلب أوقاته ، رضي الله تعالىٰ عنه .

وما سمعتُه مدَّةَ قراءتي عليه يذكرُ أحداً من أقرانه الذين يَرون نفوسَهم عليه إلا بخير .

وكان كثيرَ الصمت ، كثير الصيام ؛ طلباً للهزال ، فيزيد سمنةً .

وكان حلو المنطق ، جميل المعاشرة ، كريمَ النفس ، رضي الله تعالىٰ عنه[1]

ومنهم :

(٣٧) الشيخُ الإمام ، العالمُ الصالحُ ، خاتمة المحقِّقين بمصر والحجاز والشام ، الشيخُ شهابُ الدين الرملي الأنصاري الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه[2]

وبلده قرية صغيرةٌ قريباً من البحر قريباً من منية العطار تجاه مسجد الخضر عليه السلام بالمنوفية .

كان رضي الله تعالىٰ عنه ورعاً زاهداً ، عالماً صالحاً ، حسنَ الاعتقاد للخلق ، لا سيما طائفة الصوفية ، يُجيبُ عن أقوالهم بأحسن الأجوبة ، ويذكر عنهم المُستظرفاتِ من الحكايات .

انتهت إليه الرئاسةُ في العلوم الشرعية .

وعاش حتىٰ صار علماءُ الشافعية بمصر كلُّهم تلامذته إلا النادر ، فلا يوجد الآن

---

(١) في هامش (ب) : (قلت : توفي الشمس بن عبد الكافي المذكور في يوم الثلاثاء ثاني عشري شهر رجب سنة ست وعشرين وتسع مئة ، تغمده الله تعالىٰ برحمته ، آمين . انتهىٰ عثمان) .

(٢) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٣٣) (٥٤٥) .

عالمٌ شافعي إلا وهو من طلبته أو طلبة طلبته .

وأُرسلتْ إليه الأسئلةُ من سائر الأقطار ، ووقف الناس عند قوله أكثر ممن أدركناهم من أشياخه .

وكان يخدمُ نفسَهُ ، ولا يمكِّنُ أحداً يشتري له حاجةً من السوق إلىٰ أن كبر سنه وعجز ، رضي الله تعالىٰ عنه .

وكان جميعُ علماء مصر حتى المجاذيب يعظمونه ويجلونه ، لا سيما الشيخ نور الدين المرصفي ، وسيدي علي الخواص رضي الله تعالىٰ عنهما .

ورأيت مرَّةً سيدي عليّاً الخواص رضي الله تعالىٰ عنه وهو يقولُ له : شكر الله فضلَكم ، فقلت له : ما سبب ذلك ؟ فقال : إنه سمعَ شخصاً من إخوانه يذكرني بعد موتي بسوء ، فعاداه من أجلي ، فقلت له : وهل يبلغكم ما يفعلُهُ الناسُ بعد موتكم ؟ فقال : نعم ، فقلتُ ذلك للشيخ شهاب الدين ، فقال لي : أمارة صحيحة ، وعيَّن لي ذلك الشخص[1]

ومن خصائصه : أنَّ شيخَ الإسلام زكريا أذنَ له أن يُصلحَ في مؤلفاته في حياته وبعد مماته ، ولم يأذن لأحد سواه في ذلك ، وأصلح عدَّةَ مواضعَ في « شرح البهجة » وشرح « الروض » في حياة شيخ الإسلام وأنا حاضرٌ أُطالعُ له .

يقولُ مَنْ رآه : ما رأيتُ مثلَه .

وشرح كتاب « الزبد » في الفقه شرحاً عظيماً ، وكتبوه وقرؤوه عليه ، جَمَعَ فيه غالبَ ترجيحاته وتحريراته .

وجمع الشيخ شمس الدين الخطيب فتاويه ، فصارت مجلداً .

وكان يقول : (الشيخ نور الدين الطندتائي محقق الدرس ، والشيخ شمسُ الدين الخطيب جامع المسائل النوادر في الدرس) ، سمعتُ هـٰذا القول منه مراراً .

---

(١) كذا في (أ) ، وفي باقي النسخ : (وعلق) بدل (عيَّن) .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يُحبُّني أشدَّ المحبة كمحبّةِ السيدِ لعبده .

وحصل لي مرّةً مرضٌ أشرفتُ منه على الموت ، وأوصيت ، فجاءني عائداً هو وولدُهُ سيدي محمد ، فصار الشيخُ يدعو وولده يؤَمِّنُ ، وأنا أشهد دعاءَ الشيخ صاعداً إلى السماء كالصواعق من شدَّةِ الهمة والعزم ، فما فارقني حتىٰ خلصتُ من ذلك المرض .

مات رضي الله تعالىٰ عنه في مستهلِّ جُمادى الآخرة سنة سبعٍ وخمسين وتسع مئة ، وصلُّوا عليه يومَ الجمعة في الجامع الأزهر ، وما رأيتُ في عمري جنازةً اجتمع فيها خلائق مثل جنازته ، وضاقَ الجامعُ عن صلاة الناس فيه ذلك اليوم ، حتىٰ إن بعضَهم خرج وصلىٰ في غيره ، ثم رجعَ للجنازة ، ثم دفن رضي الله تعالىٰ عنه بتربته قريباً من جامع الميدان خارجَ باب القنطرة .

وأظلمتْ مصرُ وقراها يوم موته ؛ لكونه كان مردّاً للعلماء في تحرير نقول المذهب .

وإنما ختمنا هـٰذا البابَ به لتأخُّرِ وفاته عمن ذكر قبله ، وإلا فهو أعلمُ في اعتقادنا من جميع أقرانه ، رضي الله تعالىٰ عنه ورحمه .

* *

البَابُ الثَّانِي

فِي ذِكْرِ جَمَاعَةٍ أَدْرَكْنَاهُمْ بِصُحْبَتِهِمْ وَلَمْ نَقْرَأْ عَلَيْهِمْ

الباب الثاني

في ذكر جماعة من العلماء والمجاذيب والصحاة ممن أدركناهم وفزنا بصحبتهم وانتفعنا بهم من غير أن نقرأ عليهم شيئاً من العلوم ؛ إما لاستغنائنا عن القراءة عليهم بالقراءة على مشايخهم ، وإما لكونهم مخالفين لنا في المذهب ، لكننا نراجعهم في وقائع الأحوال ، رضي الله عنهم أجمعين .

فمنهم :

(٣٨) شيخُ الإسلام ، العالم العامل ، الورعُ الزاهد الشيخ جلالُ الدين بنُ قاسم المالكي رضي الله تعالىٰ عنه[١]

صحبته سنين ، وتردَّدتُ إليه كثيراً ، وانتفعتُ بلحظه ، وحسن سمته .

وكان كثيرَ المراقبة لله تعالىٰ في أحواله

وكانتْ أوقاتُهُ كلُّها معمورةً بذكر الله عز وجل .

شرح « المختصر » و« الرسالة » ، وانتفع به خلائقُ لا يحصون .

ولاه السلطانُ الغُوري القضاء مكرهاً .

وكان حسنَ الاعتقاد في طائفة القوم ، ولما أنكرَ الشيخُ محمد التكروري المالكي علىٰ سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه قال له : يا محمد ؛ ما لك وللسمِّ تُجرِّبُهُ في نفسك ؟! فلم يرجعْ عن إنكاره ، فما مضىٰ ثلاثةُ أيام إلا وفرَّ الناسُ من هٰذا التكروري ، ولم يصرْ أحدٌ يقرأ عليه علماً .

وكان يحفظُ « مدونة الإمام مالك » وشرح مذهبه عن ظهر قلب[٢] ، وأقبل عليه أهلُ مصر إقبالاً عظيماً قبل إنكاره ، ثم إنه خرجَ إلىٰ بلاده ، فقُتل في الطريق .

---

(١) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٣٥) (٥٤٦) .

(٢) في « الطبقات الوسطىٰ » (شروح) بدل (شرح) .

وكان الشيخُ محمد[1] جلال الدين أكثر أيامه صائماً لا يُفطر من السَّنة إلا العيدين وأيام التشريق .

وكان حافظاً للسانه في حق أقرانه ، لا يسمعُ أحداً يذكرُهم إلا ويُبجِّلهم ويقول : نفعنا الله تعالىٰ ببركاتهم ، رضي الله تعالىٰ عنه ورحمه[2]

ومنهم :

(٣٩) شيخُ الإسلام ، المجمعُ علىٰ صلاحه وعلمه وزهده ، وصيامه وقيامه وضبط لسانه

الشيخُ نورُ الدين الطرابلسي الحنفي[3]

وكان مفنناً في العلوم .

وكتبَ لي علىٰ عدةٍ من مؤلفاتي ، وزارني كثيراً في بيتي لمَّا أنقطعُ عنه لعذرٍ ، فكنتُ أكادُ أذوبُ من الحياء منه .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه مُتواضعاً ، حسنَ الظنِّ بالمسلمين .

وكان يؤذِّنُ في شباك زاويته عند كلِّ وقتٍ من الخمس بصوتٍ حسنٍ ، وبخشوعٍ وتدبرٍ أيامَ ولايته وبعدها إلىٰ أن مات .

وكان لا يأكل قطُّ من معلوم محكمته شيئاً ، مع أنه ولِّي كرهاً

وكان كثيرَ الصدقة سرّاً وجهراً .

ولمَّا عزله بعضُ قضاة العساكر لم يزلْ مُلازماً بيته على النُّسك ، والعبادة ، والإفتاء ، والتدريس إلىٰ أن مات .

وأنكر عليه قضاة الأَروام بإفتائه بمذهبِهِ الراجحِ عنده ، وكاتبوا فيه السلطان ، وجرحوه بما هو بريء منه ، فأرسل السلطان يأمر بنفيه أو قتله ، فوصل المرسومُ يوم

---

(١) قوله : (محمد) ليس في « الطبقات الوسطى » .

(٢) في هامش (ب) : (توفي الجلال عبد الرحمـٰن بن قاسم المالكي قاضي القضاة المذكور في ذي الحجة سنة خمس وعشرين وتسع مئة بالقاهرة ، تغمده الله تعالىٰ برحمته ، آمين . انتهىٰ عثمان) .

(٣) في هامش (ب) : (قاضي القضاة الطربلسي) ، وتقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/٤٣٦) (٥٤٧) .

موته بعد أن دفناه ، فكانتْ هـٰذه كرامةً له ، رضي الله تعالىٰ عنه .

ولما اشتدتِ المحنة قبل موته بثلاثة أيام رأيتُ في المنام لوحاً نزل من السماء في سلسلة تجاه بيت الشيخ محب الدين ابن الدهانة[١] مكتوب فيه : أيدنا عليَّ الطرابلسي بمحبٍّ الدين ابن الدهانة ، فكان الأمرُ كذلك ، وحصل له علىٰ يديه الفرح والسرور ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٤٠) سيدُنا ومولانا ، شيخُ الإسلام

الشيخ شمسُ الدين [السَّمديسي] الحنفي رضي الله تعالىٰ عنه[٢]

صحبته نحو عشرين سنة ، فما أظنُّ أنَّ كاتبَ الشمال كتبَ عليه فيها شيئاً .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه كثير الصمت لا تكاد تسمعُ منه كلمةَ لغوٍ أبداً .

وأخبرني رضي الله عنه أنه صلى الصبحَ بوضوء العتمة أربعين سنة .

وأخبرني جماعةٌ كانوا يقرؤون عليه : أنَّ من كراماته : أنَّ الله تعالىٰ يأخذُ بسمعِهِ إذا كلَّمه أحدٌ بغيبة[٣] ، أو كلام فاحش ، حتىٰ كأنه أصمُّ ، وهـٰذا حفظٌ من الله تعالىٰ عظيم ما سمعناه إلا عن سيدي محمد بن زين بالنحارية ، رضي الله تعالىٰ عنه .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه عالماً بالقراءات السبع .

وولاه السلطان الغوري مشيخةَ الإسلام كُرهاً عليه

وكان عامَّةُ ليله بكاءٌ ومراقبةٌ ، وتهجُّد إلى الصباح ، فيكحلُ عينيه ، ويدهنُ وجهَهُ حتىٰ كأنه بات نائماً طولَ الليل .

شرح كتاب « المختار »[٤] شرحاً عظيماً .

وسافر إلىٰ مكة المشرفة ، فمات بها رضي الله تعالىٰ عنه ورحمه .

---

(١) في (ج) : (الدهينة) بدل (الدهانة) .

(٢) في النسخ (السرسي) ، والمثبت من مصادر ترجمته ، وتقدمت في « الطبقات الوسطى » (٤/ ٤٣٧) (٥٤٨) .

(٣) في (ب ، د) : (بعيب) بدل (بغيبة) .

(٤) فيض الغفار في شرح المختار .

ومنهم :

(٤١) الشيخ الإمام ، العالم العلامة شمس الدين التتائي المالكي رضي الله تعالىٰ عنه[١]

المقيم في المدرسة الشيخونية ، شرح « الرسالة » شرحاً عظيماً ، وشرح عدَّةَ كتب .

ولم يزل علىٰ قدم الزهد والورع ، ومحبةِ الخمول ، وعدمِ التردُّدِ للأكابر إلىٰ أن مات .

وكان وقتُهُ كلُّه معموراً بالعلم والعمل والأوراد ، ما زرتُهُ قطُّ إلا ورأيتُهُ مشغولاً بالله عز وجل .

وأخبرني جماعةٌ من الصوفية من جيرانه : أنه لا ينامُ من الليل إلا قليلاً على الدوام .

وكان كثيرَ الصيام ، وكان لا يأكلُ لأحد من الظلمة وأعوانهم شيئاً .

وأجمعَ الناسُ علىٰ جلالته وتحريرِهِ لنقول مذهبه ، وحفظِ جوارحه الظاهرة والباطنة ، رضي الله تعالىٰ عنه ورحمه ، آمين[٢]

ومنهم :

(٤٢) الشيخ الإمام ، العالم الصالح ، الناسكُ الزاهد ، المجمعُ علىٰ جلالته الشيخ شهاب الدين ابن الشلبي الحنفي ، رضي الله تعالىٰ عنه[٣]

كان علىٰ جانبٍ عظيمٍ من الخشية والخوف من الله عز وجل .

وحلف ألا يأتيني للزيارة إلا ماشياً ، ووفَّىٰ بذلك إلىٰ أن مات ، هٰذا مع تفتُّحِ رجليه من أثرِ الحبِّ ، رضي الله تعالىٰ عنه .

---

(١) في (أ) : (الشتائي) بدل (التتائي) ، و تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٣٨) (٥٤٩) .

(٢) وقع في هامش (ب) : (قلت : توفي قاضي القضاة محمد بن إبراهيم بن خليل التتائي المالكي بعيد الأربعين وتسع مئة ، تغمده الله تعالىٰ برحمته ، آمين . انتهىٰ عثمان) .

(٣) في (ج): (الحلبي) بدل (الشبلي) ، وتقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٣٨) (٥٥٠) .

وكان كثيرَ الصدقة على الفقراء والمساكين ، لم يكن في أقرانه أكثرُ صدقة منه .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه حسنَ الاعتقاد في طائفة الفقراء والمجاذيب وأرباب الأحوال ، كثيرَ الحياء والحلم والعفو والصفح ، لا يُجاوب أحداً بما يكره ولو فعل معه ما فعل .

ورأىٰ مرَّةً شخصاً يشتمُ آخرَ ، فوقف وقال : يا أخي ؛ تأدَّبْ مع المَلَكَيْنِ الكاتبَينِ ، أَيسرُّك أن تلقىٰ يومَ القيامة هـٰذه الألفاظَ في صحيفتك ؟! فاستغفرَ الشخصُ ، وقبَّل يدَ الشيخ .

وزرت أنا وإياه رأسَ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنهما ، وكان عنده شكٌّ أنَّ الرأسَ هناك ، فلما أخذ الشيخُ في التوجُّه إلىٰ حضرة الإمام الحسين رآه مقطوعَ الرأس ، فقال : يا إمام ؛ أين رأسُك ؟ فسمعَ الصوت من باطنه يقول : إنَّ رأسي في مصر ، وعمَّر عليها طلائع بن رزِّيك مسجداً عظيماً ، فأفاقَ من التوجُّه وأخبرني بالقصة ، ثم ثقلتْ رأسُ الشيخ ، فبينما هو بين النائم واليقظان إذ رأىٰ خادمَ الحسين خرجَ من الضريح ، ودخلَ حائط القبة ، وصار يمشي ونَظَرُ الشيخِ يتبعه إلىٰ أن دخل الحجرة النبوية ، فقال : يا رسول الله ؛ إنَّ أحمد بن الشلبي وعبد الوهاب الشعراني يزوران رأسَ الحسين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تقبَّل اللهُ منهما ، ثم أفاقَ الشيخُ ، فتواجدَ ، فوقعتْ عمامتُهُ وقال : قد تحقَّقتُ أنَّ رأسَ الإمام هنا ، وما زال يزورُها إلىٰ أن مات ، رضي الله تعالىٰ عنه .

وكتبَ علىٰ عدَّةٍ من مؤلفاتي أحسنَ كتابة .

ورأىٰ في كتاب « العهود » موضعاً لم يفهمه ، فأراد أن يُصلحه ، فنامَ ، فسمع قائلاً يقول له : إن أصلحتَ في هـٰذا الكتاب شيئاً سلبناك الإيمان ، فجاءني بكرةَ النهار وهو يرعدُ ، وحكىٰ لي القصةَ ، فقلت له : مراد القائل بسلب إيمانك بصدق عبد الوهاب ، وهـٰذا أمر لم يُكلِّفك الله به ، فقال : فرَّجتَ عني فرَّج الله تعالىٰ عنك كُرَبَ يوم القيامة ، ثم قلت له : مُرادي بهـٰذا الكلام كذا وكذا ، فكشفَ رأسَهُ واستغفر ، وقال : أنا جاهلٌ بمصطلح القوم ، رضي الله تعالىٰ عنه .

وكان مرضُهُ الذي ماتَ به حصرَ البول ، فلم يزل به إلىٰ أن مات .

وكانت جنازتُهُ حافلةً بالأمراء ، والعلماء ، والقضاة ، والتجار ، حتىٰ ما وجدَ أحدٌ في باب النصر مكاناً خالياً من الناس ، ودفن خارجَ باب النصر تجاه المدرسة الحاجبية(١) ، وقبرُهُ ظاهرٌ يُزار ، رضي الله تعالىٰ عنه ، ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة ، ورحمه ، آمين .

ومنهم :

(٤٣) السيد الشريفُ ، الشيخ شرف الدين المدرس بزاوية الحطاب رضي الله تعالىٰ عنه(٢)

صحبته نحو [خمس عشرة] سنة(٣) ، فما رأيتُ في أقرانه أكثر صمتاً منه ، ولا محبّةً لعزلته عن الناس منه .

وكان وقتُهُ كلُّه معموراً ، ومشغولاً بالعلم والعبادة ، وتلاوة القرآن .

وأخبرني الشيخ بدر الدين الشهاوي الحنفي رضي الله عنه : أنه أخبره ، أنَّ وردَه كلَّ ليلةٍ قبل النوم ربعُ القرآن ، وقال له : إني ما تركتُهُ صيفاً ولا شتاءً .

وأخبرني أيضاً : أن خادمَ حمارته كان إذا نسيها بلا علفٍ أو بلا سقي تأتي إليه في المنام وتقول له : يا سيدي ؛ إن الخادمَ نسيني بلا علفٍ ، أو بلا شربِ ماءٍ .

وكان علىٰ مجلسه الهيبةُ ، والوقارُ .

وكان إذا سمع كلامَ أحدٍ من القوم يصير يتواجد كالجمل الهائج .

وكان يحبُّني أشدَّ المحبة ، وربما أبطأتُ عن زيارته ، فيأتيني في جامع الغمري ويقول : اشتغلَ سرِّي عليك .

---

(١) في « الوسطىٰ » : (ودفن خارج باب النصر تجاه الحوارنة) .

(٢) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٤٠) (٥٥١) .

(٣) في النسخ : (خمسة عشر) .

وأوصافه الحسنة لا تُحصر .

توفي سنة أربعين وتسع مئة رضي الله تعالىٰ عنه ورحمه .

ومنهم :

(٤٤) الشيخُ الإمام ، العلامةُ ، المحقِّق الشيخُ شهاب الدين البُرُلُّسي الملقب بعميرة الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه[١]

صحبته نحو عشرين سنة .

وكان عالماً ، زاهداً ، ورعاً ، حسن الأخلاق والشيم ، وله سمتٌ حسنٌ ، وانتهت إليه الرئاسة في تحقيق المذهب .

ولم يزل يدرِّس ويُفتي الناس حتىٰ مرضَ مرضَ الموت ، وكان مرضُه بالفالج ، فأقام به نحو سنة ، ثم مات .

أخذ العلم عن جماعةٍ ؛ منهم : شيخ الإسلام الشيخ عبد الحق السنباطي ، ومنهم شيخُ الإسلام الشيخ برهان الدين بن أبي شريف ، ومنهم الشيخ نور الدين المحلي ، رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين .

وكتب علىٰ بعض مؤلفاتي أحسنَ كتابة ، رحمه الله تعالىٰ .

ومنهم :

(٤٥) الأخ الصالح ، العالمُ الزاهد ، المتمسِّك بالسنة المحمدية الشيخُ محمد الشامي نزيلُ التربة البرقوقية ، رضي الله تعالىٰ عنه[٢]

كان عالماً ، صالحاً ، مفنناً في العلوم[٣]

وألَّفَ « السيرة » النبوية المشهورة التي جمعها من ألف كتاب ، وأقبلَ الناسُ علىٰ كتابتها ، ومشىٰ فيها علىٰ أُنموذجٍ لم يُسبق إليه .

---

(١) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٤١) (٥٥٢) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٤١) (٥٥٣) .

(٣) كذا في (أ ، ج) و« الطبقات الوسطىٰ » ، وفي باقي النسخ : (مفتياً) بدل (مفنناً) .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه عزباً لم يتزوج قطُّ .

وكان رضي الله عنه إذا قدمَ عليه الضيف يُعلِّق القدرَ ، ويطبخُ له .

وكان حلوَ المنطق ، مهيبَ المنظر ، كثيرَ الصيام والقيام .

بتُّ عنده الليالي ، فما كنتُ أراه ينامُ في الليل إلا قليلاً

وكان إذا مات أحدٌ من طلبة العلم ، وخلَّفَ أولاداً قاصرين ، وله وظائف يذهب إلى القاضي ، ويتقرَّرَ فيها ، ويباشرها ، ويُعطي معلومها للأيتام حتىٰ يصلحوا للمباشرة .

وكان لا يقبلُ من مال الولاة وأعوانهم شيئاً ، ولا يأكلُ من طعامهم .

وذكر لي شخصٌ من الذين يحضرون قراءة « سيرته » في جامع الغمري : أنْ أسألَهُ في اختصارِ « السيرة » وتركِ ألفاظ غريبها ، وأن يحكي السيرة علىٰ وجهها كما فعل ابنُ سيِّد الناس ، فرأيتهُ في بين القصرين[١] ، وأخبرتُهُ الخبرَ ، فقال : قد شرعتُ في اختصارها من مدَّةِ يومين ، فرأيت ذلك هو الوقت الذي سألني فيه ذلك الرجل .

وكانت عمامتُه نحوَ سبعة أذرع علىٰ عَرَقيةٍ .

لم يزل غاضّاً طرفَهُ ، سواءً كان ماشياً أو جالساً ، رضي الله تعالىٰ عنه .

وأخلاقه الحسنةُ كثيرة مشهورة بين أصحابه ومعارفه ، رضي الله تعالىٰ عنه ، ورضي عنا به آمين .

ومنهم :

(٤٦) الشيخُ العالم ، الفقيه العلامة ، النحوي الصوفيُّ الشيخ عبد الرحمـٰن الشامي[٢]

المدرِّس بخانقاه سعيد السعداء ، كان رضي الله تعالىٰ عنه ونفعنا به في الدنيا والآخرة يتعمَّمُ بالصوف .

---

(١) بين القصرين : هو الشارع الواقع بين القصر الشرقي الكبير الذي بُني للخليفة المعز لدين الله والقصر الغربي الصغير الذي بني للخليفة العزيز بالله ابن المعز .

(٢) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٤٢) (٥٥٤) .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه أخلاقه كلها حسنة جميلة ، وله كشفٌ تامٌّ وتحقيق في العلوم الشرعية والعقلية .

وأَقبلتِ الأمراءُ ، والأكابرُ عليه ، واعتقدوه اعتقاداً تاماً .

ورأيتُ مرَّةً أمير كبير قُرْقُماس وهو جالس عنده على التراب ، والشيخ مادٌّ رجليه وهو يقول : مرحباً بقرقماس .

صحبتُهُ نحو سبع سنين حتىٰ مات ودفن قريباً من تربة السلطان إينال .

وكانتِ الوحوشُ تنزل من الجبل ، فتقف علىٰ باب تربته في الليل ، فيخرج إليها ويُكلِّمها ، فترجع ، رضي الله تعالىٰ عنه ، آمين .

ومنهم :

(٤٧) الشيخُ الإمام ، العالمُ العلامة فخرُ الدين السنباطي الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه(١)

كان عالماً ، صالحاً ، عابداً ، ورعاً ، زاهداً .

ولما ضربوا القانون على القضاة عزل نفسه من القضاء ، وكان يقضي في بلاده ؛ قياماً بفرض الكفايةِ ، لا يأخذُ علىٰ ذلك عِوضاً ، فقلتُ له : يتعيَّنُ عليك ذلك ، فرجع وطلبَ الولاية ، وكان يفصلُ بين الخصمين ويغدِّيهما ويعشِّيهما ، ويعلفُ دوابهما .

وبتُّ عنده ليالي ، فما رأيتُهُ ينامُ من الليل إلا قليلاً ، بل طولَ ليله يتهجَّد ، ويتلو القرآن ، ويبكي حتىٰ يكادَ يخرُّ من البكاء .

وكان قليلَ الكلام ، حسنَ الصمت .

أخذ العلومَ عن جماعةٍ ؛ منهم : الشيخ كمال الدين الطويل ، والشيخ برهان الدين ابن أبي شريف ، والشيخ زكريا ، وصحب شيخنا الشيخ محمد الشناوي وانتفع به ، رضي الله تعالىٰ عنهما ورحمهما .

---

(١) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٤٣) (٥٥٥) .

ومنهم :

(٤٨) الشيخُ الإمام العالمُ ، الصالح المرابط الشيخ شمس الدين الرحماني الشافعي ، رضي الله تعالىٰ عنه[١]

كان رفيقاً للشيخ فخر الدين السنباطي ، والشيخ ناصر الدين الطبلاوي .

أفتىٰ ببلاده ودرَّس ، وانتفع به خلائق .

وكان آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، حتىٰ أزال مُنكراتِ بلاده كلَّها .

وكان شجاعاً رامياً ، لا يكادُ سهمُهُ يخطئ .

وكان إذا جاء إلىٰ مصرَ يزورني تفضُّلاً منه .

صحبته عشر سنين إلىٰ أن مات رضي الله تعالىٰ عنه ورحمه .

ومنهم :

(٤٩) الشيخُ الإمام ، العالم العلامة ، العامل الورع الزاهد ، الآمرُ بالمعروف ، الناهي عن المنكر ، الشيخُ شهاب الدين بن الشيخ عبد الحق السنباطي ، الواعظ بجامع الأزهر رضي الله تعالىٰ عنه[٢]

لم نرَ أحداً من الوعَّاظ أقبل عليه الخلائقُ مثلَهُ ، وكان إذا نزلَ من فوق الكرسيِّ تقتتلُ الناسُ عليه ، ومن لا يصلُ إليه يرمي رواءه عليه[٣] ، حتىٰ يلمسَ ثيابه[٤] ، ثم يأخذُهُ ، فيمسح به وجهَه .

وكان مفنناً في العلوم الشرعية[٥] ، وله الباعُ الطويل في الخلاف العالي ومعرفة مذاهب المجتهدين .

---

(١) كذا في (أ) و« الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٤٤) (٥٥٦) ، وفي باقي النسخ : (الترجمان) بدل (الرحماني) .

(٢) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٤٤) (٥٥٧) .

(٣) في (ب ، ج) : (شده) بدل (رواءه) ، والشدُّ : الرباط واللفافة .

(٤) في (هـ ، و) : (يمسّ ثيابه) .

(٥) في (ب ، ج ، د ، و) : (مفتياً) بدل (مفنناً) .

وكان من رؤوس أهل السنة والجماعة ، ومن نسبه إلىٰ ضدِّ ذلك فقد افترىٰ إثماً عظيماً .

وطالع كتابي « العهود » من أوله إلىٰ آخره ، وأُعجبَ به ، ونقل منه على الكرسي عدَّةَ عهود وأنا أسمع ، ولما رماني بعضُ من لا يخشى الله تعالىٰ ببعض بُهتانٍ انتصرَ لي فوق الكرسي ثلاث مجالس حتىٰ رجعَ ذلك المُفتري عني .

ولما ماتَ أظلمتْ مصر لموته ، وانهدمَ ركنٌ عظيم من الدين .

وكان الشيخُ قد اشتُهر في أقطار الأرض كالشام ، والحجاز ، واليمن ، والروم ، وصاروا يضربون به المثل .

وأذعنَ له علماءُ مصر الخاصُّ منهم والعام ، وعمل الحسدةُ له مكائدَ عند نوَّاب مصر ، ونجَّاه الله تعالىٰ منهم .

وهدم كذا كذا كنيسة وبيعة رضي الله تعالىٰ عنه .

وما رأيتُ في عمري كلِّه أكثرَ خَلقاً من جنازته إلا جنازة الشيخ شهاب الدين الرملي ؛ لكونهم صلَّوا عليه يومَ الجمعة ، رضي الله تعالىٰ عنه ورحمه .

ومنهم :

(٥٠) الشيخ الإمام الفقيه ، الصوفي المحدث ، نادرةُ الزمان الشيخ أبو الحسن البكري رضي الله تعالىٰ عنه(١)

أخذَ العلم عن جماعةٍ من مشايخ الإسلام ، والتصوفَ عن الشيخ رضي الدين الغزيِّ .

وتبحَّرَ في علوم الشريعة ؛ من فقهٍ ، وتفسيرٍ ، وحديثٍ ، وغير ذلك .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه إذا تكلَّم في علم منها كأنه بحرٌ زاخر ، لا يكادُ السامعُ

---

(١) في (ج) وحدها : (البصري) بدل (البكري) ، وتقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٤٥) (٥٥٨) .

يتحصَّلُ من كلامه على شيء ينقله عنه ؛ لوسعه ، إلا إن كتبَهُ في قرطاس .

وأخبرني بلفظه ونحن بالمطاف أنه بلغَ درجة الاجتهاد المطلق[١] ، وقال لي : إنما أكتمُ ذلك عن الأقران ؛ خوفاً من الفتنة ، وسبب ذلك كما وقع للجلال السيوطي رحمه الله تعالىٰ ، هـٰذا لفظه .

وكانت مدَّةُ اشتغاله على الأشياخ سنتين ، ثم جاءه الفتح من الله تعالىٰ ، واشتغل بالتأليف ، ولم يزلْ علىٰ ذلك إلىٰ أن مات .

وهو أوَّلُ من حجَّ من علماء مصر في محفَّةٍ ، ثم تبعه الناس .

وقد عاشرتُهُ من حين كان بلا لحيةٍ ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه ، بل رُبِّي في نزاهةٍ وعفَّةٍ وطاعة ، وعزَّة نفس علىٰ أهل الدنيا ، لم يزلَّ قطُّ في تحصيل أمر معاشه كغيره[٢] ، بل كانتِ الدنيا تأتيه وهي راغمةٌ ، وذلك دليل علىٰ كمال زهده فيها .

وحججتُ معه مرةً ، فما رأيتُ أوسعَ خلقاً منه ، ولا أكثرَ صدقةً في السرِّ والعلانية ، فكان لا يُعطي أحداً شيئاً نهاراً إلا نادراً ، وأكثرُ صدقته ليلاً .

وكان له الإقبالُ العظيم من الخاصِّ والعام في مصرَ والحجاز ، وشاع ذكرُهُ في أقطار الأرض ؛ كالشام ، والروم ، واليمن ، وبلاد التكرور ، والمغرب مع صغر سِنِّه رضي الله تعالىٰ عنه .

وكانت له كراماتٌ كثيرة ، وخوارقُ وكشوفاتٌ ، فما قاله أو وعدَه لا يُخطئ .

وترجمه الناس بالقطبية العظمىٰ ، ويدلُّ علىٰ ذلك ما أخبرني به الشيخ خليل الكشكاوي قال : رأيتُ الشيخَ أبا الحسن البكري وقد تطوَّرَ ، فصار كعبةً مكان الكعبة ، ولبس سترها كما يلبس الإنسانُ القميص .

وكان له النظمُ الشائع في علوم التوحيد .

وأطلعني مرةً علىٰ تائيةٍ عملها نحو خمسة آلاف بيت أوائل دخولِهِ في طريق القوم ،

---

(١) في (هـ ، و) : (مرتبة) بدل (درجة) .

(٢) في (أ): (لم يذق) بدل (لم يزل)، وفي (د) : (لم يسع) ، وفي (هـ ، و) : (لم يهتم) ، والمثبت من (ب ، ج) ، و« الوسطىٰ » .

ثم إنه غسلها وقال : إن أهلَ زماننا لا يحتملون سماعها ؛ لقلَّةِ صدقهم في طلب الطريق .

وأوصافُهُ الحسنة تضيق عنها الدفاتر .

مات رضي الله تعالىٰ عنه سنة نيِّفٍ وخمسين وتسع مئة ، ودُفن بجوار الإمام الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه ، وكانت جنازته مشهودةً .

وكان يُحبُّني كثيراً ، وأخبرني مرةً بأنه يدعو لي في سجوده .

ولما أشاعَ بعضُ الحسدة عنه أنه يَكرهني أرسل إلي ورقةً بخطِّه يحلف فيها بالطلاق أنني عنده في منزلةِ ولده سيدي محمد[١] ، وهي عندي بخطه إلى الآن ، رضي الله تعالىٰ عنه آمين[٢]

ومنهم :

(٥١) شيخُ الإسلام ، العالم الصالح ، ذو الأخلاق الحسنة والإنصاف من نفسه ، بقيةُ السلف الصالح الشيخُ شهاب الدين الفُتوحي الحنبلي رضي الله تعالىٰ عنه[٣]

كان من العلماءِ العاملين .

ولأَّه السلطانُ الغُوري القضاء كرهاً عليه بعد أن قال للسلطان مرَّاتٍ : أنا لا أصلح للقضاء ، وتوليةُ مثلي لا تُخلِّصُ ذمَّتَكَ عند الله تعالىٰ .

---

(١) في (ج) وحدها : (بالطلاق الثلاث من زوجته) .

(٢) وقع في هامش (ب) : (توفي الشيخ أبو الحسن البكري الشافعي صاحب الترجمة سنة إحدىٰ وستين وتسع مئة بمصر ، نفعنا الله تعالىٰ به ، آمين . انتهىٰ عثمان) .

ووقع أيضاً : (توفي الشيخ أبو الحسن كما أفاده حفيده في « منته الكبرىٰ » يوم الاثنين بعد الظهيرة ثالث ربيع الأول سنة اثنين وخمسين وتسع مئة عن أربع وخمسين عاماً أو ثمان وخمسين عاماً ، وحفيده أدرىٰ بتاريخ وفاته من غيره . انتهىٰ) .

وفي « الكواكب السائرة » (٢/ ١٩٦) : (توفي في سنة اثنتين وخمسين وتسع مئة) .

(٣) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٤٧) (٥٥٩) .

أقبل على العبادة آخر عمره ، وصار كأنه لم يشتغل بعلم قطُّ ، مع أنه انتهت إليه الرئاسة في تحقيق نقول مذهبه[١] ، وفي علوِّ السند في الحديث ، وفي علم الطب ، والمعقولات رضي الله تعالىٰ عنه .

وجاءَهُ مرَّةً شخصٌ يُريدُ أن يقرأ عليه شيئاً من المنطق ، فقال له : يا ولدي ؛ قد صار الفقه ثقيلاً علىٰ قلبي ، فما بالك بعلم أفتىٰ بعض العلماء بتحريم الاشتغال به ؟ فقال له : يا مولانا ، إنَّ العلم عبادة ، فقال : صحيح ، ولـٰكن ما وجدنا به رِقَّةَ قلبٍ ، بخلاف الذكر والاستغفار ، مع أنَّ فضل العلم علىٰ غيره مشروطٌ بحصول الإخلاص فيه ، وما أظنُّ أنَّ عندي إخلاصاً . انتهىٰ .

وكان الشيخُ رضي الله تعالىٰ عنه أوَّل عمره يُنكر علىٰ طريق الصوفية ، ويقول : وهل لله تعالىٰ طريقٌ أخرىٰ تقرِّب إليه غير العلم الذي بأيدينا ؟! فلما جمعته علىٰ سيدي علي الخواص اعترف لأهلِ الطريق بالفضل وقال : هـٰؤلاء القوم قطعوا مقامَنا ، وتعدَّوه إلىٰ ما وراءه ، ويتأسَّفَ علىٰ عدم اجتماعه بالقوم رضي الله تعالىٰ عنه .

ولما أَرسلتُ له كتاب « الجواهر والدرر » الذي التقطتُهُ من مجالسة سيدي علي الخوَّاص كتبَ عليه أحسنَ كتابة ، وقال لي بصريح لفظه : واللهِ ؛ إنني طولَ عمري أطالعُ في كتبَ الشريعة ، فلم يخطر ببالي سؤالٌ منه ، ولا جواب .

وأخبرني بأنه اشتكى الشيخَ علياً مرةً للمُحتسب حين كان الشيخُ زيَّاتاً ، فضربه المحتسبُ وجرَّسه ، ثم صار يبكي ويقول : مثلي يشتكي أولياءَ الله تعالىٰ ؟! ولم يزل يزور قبرَ سيدي عليٍّ إلىٰ أن مات .

وقال لي مرَّةً : لمَّا طالعتُ قول الشيخ عليٍّ في كتاب « الجواهر » : كلُّ علمٍ استفاده صاحبُهُ من كلامِ غيره فليس ذلك في علمه هو ، إنما هو حاملٌ له فقط ، ومن أراد أن يعلمَ رتبتَهُ في العلم الذي يُبعثُ عليه يوم القيامة ، فليردَّ كلَّ قول علمه إلىٰ قائله ، وينظر بعد ذلك ، فما يبقىٰ معه فهو علمُهُ الذي يُبعث عليه . انتهىٰ .

---

(١) في (هـ ، و) : (في علم تحقيق) بدل (في تحقيق) .

قال الشيخ شهاب الدين : (ففعلتُ كما قال الشيخ ، فرأيتُ نفسي قد صرت جاهلاً ، وتسميتي شيخ الإسلام زور) انتهىٰ .

ولم يزل رضي الله تعالىٰ عنه من حين جمعته علىٰ سيدي عليٍّ الخواص يتردَّدُ إليَّ ويقول : لا يُجازيك عني إلا الله تعالىٰ ؛ فإني كنتُ تائهاً عن طريق أولياء الله تعالىٰ .

وصار له كشفٌ عظيم قبل موته ، وكاشفني بما في سرِّي مرات ، فعرفتُ حينئذ قولَ الإمام الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه : إذا لم تكنِ العلماءُ العاملون أولياءَ الله تعالىٰ فليس لله وليٌّ .

مات رضي الله عنه سنة نيّفٍ وأربعين وتسع مئة[1]

وهو آخرُ مشايخ الإسلام من أولاد العرب انقراضاً ، فأسأل اللهَ تعالىٰ أن يَجمعنا عليه يوم القيامة ، ليأخذ بيدنا في تلك الشدائد ، آمين آمين .

ومنهم :

(٥٢) الشيخ الإمام العلامة ، الشيخُ سراج الدين العبادي المقيمُ بالبرقوقية التي بالصحراء رضي الله تعالىٰ عنه[2]

صحبته رضي الله تعالىٰ عنه أربعين سنة ، فرأيتُهُ علىٰ قدمٍ عظيمٍ في العبادة ، والزهد ، والورع ، والعلم ، والخشية ، وضبط اللسان ، وسائرِ الجوارح عن المخالفات ، حتىٰ لا يكادُ يتكلَّمُ إلا نادراً لضرورةٍ شرعية .

وكانت نقولُ مذهبِ الشافعي نصبَ عينيه .

وشَرَحَ « قواعد الزركشي » شرحاً عظيماً في مجلدين ، وأتىٰ به بتحقيقات ونكتٍ وفوائد .

---

(١) وقع في هامش (ب) : (توفي شيخ الإسلام الشهاب بن النجار الفتوحي الحنبلي صاحب الترجمة ليلة الخميس عاشر ذي القعدة سنة تسع وأربعين وتسع مئة بمصر ، تغمده الله تعالىٰ برحمته ، آمين . انتهىٰ عثمان) ، وفي « الكواكب السائرة » (٢/ ١١٣) : (توفي في سنة تسع وأربعين وتسع مئة) .

(٢) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٤٩) (٥٦٠) .

أخذ رضي الله تعالىٰ عنه العلمَ عن الشيخ سراج الدين العبادي الكبير ، وعن الشيخ شمس الدين الجوجري[١] ، وعن شيخ الإسلام يحيى المناوي ، وغيرهم ، وأجازوه بالإفتاء والتدريس .

وكان صاحبَ توجُّهٍ كاملٍ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان مُجابَ الدعوة في حقِّ من يؤذيه ، أو يؤذي أحداً من المسلمين .

ولما حجَّ وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب من الخدَّام أن يفتحوا له باب مقصورة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبوا ، فلما كان الليلُ توجَّه إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم وغالبُ الناس نيام ، ففُتحتْ الأقفالُ بنفسها ، ودخل وزار ، ثم خرجَ ، وعادتِ الأقفالُ إلىٰ ما كانت عليه .

توفي رضي الله تعالىٰ عنه سنة نيِّفٍ وأربعين وتسع مئة[٢]

ومنهم :

(٥٣) الشيخُ الإمام ، العالمُ الصالح
الشيخُ شهابُ الدين بنُ الصائغ الحنفي رضي الله تعالىٰ عنه[٣]

كان حسنَ الأخلاق والشيم ، مهيبَ المنظر ، قليلَ الكلام ، كثيرَ العبادة في الليل والنهار ، حلوَ اللسان ، كثيرَ التواضع ، قليلَ التردُّدِ لأكابر الدنيا .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه عالماً بالعلوم الشرعية والطبية ، فجمع طبَّ الأديان وطبَّ الأبدان .

ولم أرَ في عصره مَنْ جمع بينهما سوى الشيخ شهاب الدين الحنبلي الفتوحي رضي الله تعالىٰ عنه .

أخذ العلوم عن الشيخ أمين الدين الأقصرائي ، وعن الشيخ تقي الدين الشمني ،

---

(١) في (أ ، هـ ، و) : (الجوهري) بدل (الجوجري) .

(٢) ذكره ابن العماد في « شذرات الذهب » (١٠/ ٣٨٥) ضمن وفيات سنة (٩٤٩هـ) .

(٣) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٥٠) (٥٦١) .

وعن الكافيجي ، وعن شيخ الإسلام الأمشاطي ، وأجازوه بالفتوىٰ والتدريس .

وحضرتُ درسه في « تفسير البيضاوي » فأبدىٰ من نُكتِهِ العجائبَ .

وكان يصبرُ علىٰ جفاء السائل ، ويوجِّهُ له السؤال .

وكان يحبُّ الخمولَ ، ويقول : (أحبُّ شيءٍ إليَّ أن يَنساني الناس ، فلا يأتوني ولا آتيهم ؛ لغلبةِ قلة نفع الاجتماع الآن) .

وما زاحمَ قطُّ علىٰ شيء من وظائف العلماء ، وعرضوا عليه عدَّةَ وظائف فلم يقبلها رضي الله تعالىٰ عنه إلىٰ أن مات سنة نيِّفٍ وثلاثين وتسع مئة[١]

ومنهم :

(٥٤) الشيخُ الإمام ، العالمُ العلامة ، الورع الزاهد ، المجمعُ علىٰ جلالته الشيخ شمسُ الدين اللَّقاني المالكي رضي الله تعالىٰ عنه[٢]

كانتْ له مكاشفاتٌ غريبة .

وكان كريماً ، سخيّاً ، مهيباً ، حافظاً لنقولِ المذهب كأنها كلَّها نصبَ عينيه .

وكان يُواجهُ الأكابرَ والأصاغر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يخافُ في الله لومةَ لائم .

وكان لا يبيتُ علىٰ درهمٍ ولا دينار .

وأخبرني من أثق به من طلبته أنَّ شخصاً أعطاه سبعة عشر ديناراً وهو في الدرس ، فقال : الهديةُ لمن حضر ، ففرَّقها على الطلبة ، فأصابَ كلُّ واحد ديناراً ، ففضل دينار ، فأرسله إلى السوق ، فاشترىٰ به موزاً ، وشوي ، وحلوىٰ ، وجمعهم عليه ، فأكلوا وانبسطوا .

وقال مُباسطاً لهم : السلطانُ إذا لم يُنفق علىٰ عسكره خرجوا عن طاعتِهِ وعصوا أمره ، ولو أنَّ أهلَ العلم فعلوا كما فعلنا لعكفَ عليهم الطلبةُ ، وحملوا عنهم العلم ،

---

(١) ذكره ابن العماد في « شذرات الذهب » (١٠/ ٢٨٠) ضمن وفيات سنة (٩٣٤هـ) .
(٢) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٥١) (٥٦٢) .

ونفعوا الناسَ وأنفسَهم وشيخَهم ، رضي الله تعالىٰ عنه .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه حزينَ القلب ، كثيرَ البكاء والخشية لله عز وجل .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه إذا سمع أحداً يذكرُ شيئاً من أهوال يوم القيامة يمكثُ الأيامَ لا ينتفعُ به أحدٌ في أمر الدنيا .

وقرأ عليه مرَّةً شخصٌ شيئاً من « تذكرة القرطبي في أحوال الموتىٰ » ، فمرض خمسين يوماً وهو مثل الموتىٰ .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه كثيراً ما يغلبُ عليه التعظيم لله عز وجل ، فيذهل عن نفسه ، وربما خرجَ من الجامع الأزهر ، فلا يهتدي إلىٰ بيته ، فيأخذُ الأطفالُ بيده ، فيُوصلونه إلىٰ بيته .

ومناقبه كثيرةٌ بين طلبته وغيرهم .

صحبته رضي الله تعالىٰ عنه نحو ثلاثين سنة ، وانتفعتُ بلحظه ، فأسأل الله أن يحشرنا في زمرته ، آمين[١]

ومنهم :

(٥٥) الشيخُ الإمام ، الورع الزاهد ، العلامةُ المجمعُ علىٰ جلالته الشيخُ ناصر الدين اللقاني المالكي ، رضي الله تعالىٰ عنه[٢]

انتهتْ إليه الرئاسة بعد أخيه الشيخ شمس الدين في العلم والعمل ، والتحقيق ، والوقوف عند قوله .

وجاءته الأسئلةُ من بلاد الغرب ، والتكرور ، واليمن ، والحجاز ، والشام ، والروم .

---

(١) وقع في هامش (ب) : (توفي الشيخ شمس الدين اللقاني المالكي صاحب الترجمة يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الثاني سنة خمس وثلاثين وتسع مئة بمصر ، تغمده الله تعالىٰ برحمته ، آمين . انتهىٰ عثمان) .

(٢) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٥٢) (٥٦٣) .

وتخرَّج به جماعةُ مذهبِهِ الموجودون الآن ، فلا يوجدُ مالكيٌّ إلا وهو من طلبته أو طلبة طلبته .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه من أعظم الناس اعتقاداً في طائفة القوم .

وما دخلتُ عليه قطُّ وهو جالسٌ علىٰ فروته إلا قامَ وأجلسني عليها ، وجلسَ على الأرض ، وأظنُّ أنَّ تلامذةَ طلبته لا تفعلُ ذلك مع مثلي الآن .

ولما دسَّ بعضُ الحسدة في كتابي « العهود » وغيرِهِ مسائلَ خارجةً عن ظاهر الشريعة . . أجاب عني ـ بتقدير صحَّتها ـ بأحسن جواب ، ثم إني اجتمعتُ به ، وأخبرتُهُ بأن تلك المسائل مدسوسةٌ ، وأطلعتُهُ على النسخة التي خطُّه عليها ، ففرح بذلك أشدَّ الفرح .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يقول لي : واللهِ ؛ ما نصحبُكم لأمرٍ دنيوي ، وإنما نصحبُكم لتأخذوا بيدنا يوم القيامة .

ولما ردَّ الشيخ محمد التونسي فتواه في حادثةٍ رأيتُ تلك الليلةَ الشيخ ياقوت العرشي وهو يقول للشيخ محمد التونسي : ما لَكَ ولشيخِ المذهب تردُّ عليه بغيرِ علمٍ ؟! وزجره أشدَّ الزجرِ ، فشهدَ له بأنه شيخُ المذهب .

وزرته مرةً ، فوقفتُ على الباب وأنا ساكتٌ لم أدقَّ عليه الباب ؛ أدباً معه ، فخرجَ وهو مذعورٌ ، وقال : قد سمعتُ قعقعةً في سقف القاعة وحيطانها حتىٰ خفتُ بأنها تنطبقُ عليَّ ، ثم صارَ يحكي ذلك لجماعته ، وواللهِ ؛ إني لم أتوجَّه إلى الله تعالىٰ فيما وقع ، وإنما ذلك أمرٌ من الله تعالى ابتداءً .

مات رضي الله تعالىٰ عنه سنة ثمانٍ وخمسين وتسع مئة ، رحمة الله تعالىٰ عليه .

ومنهم :

(٥٦) الشيخُ الإمام العلامة ، مُفتي المسلمين الشيخُ شهاب الدين الفيشي المالكي رضي الله تعالىٰ عنه(١)

صحبته نحو سنة بعد أن عرضتُ عليه محفوظاتي ، وأجازني ، ودعا لي بدعوات وجدتُ بركتهنَّ .

وكان مذهبُ الإمام مالك رضي الله تعالىٰ عنه نُصبَ عينه .

وأكثرُ أيامه صائماً ، وكان يتهجَّدُ كلَّ ليلةٍ بثلث القرآن .

وأوصاني بوصيةٍ ، فانتقشتْ في قلبي إلى الآن ، فانتفعتُ بها ، وقال لي : يا ولدي ؛ لا تُعوِّلْ علىٰ حفظ العلم من غير عمل كما عليه الناسُ اليوم تخسرْ دينك .

وكان مجلسُه مجلسَ هيبةٍ ووقار ، وعلمٍ وأدب .

وكان دائمَ الطهارة ، لا يحدثُ إلا ويتوضأ ، هٰكذا قال لي أصحابه رضي الله تبارك وتعالىٰ عنه ، آمين .

ومنهم :

(٥٧) أخي المحبُّ الصادقُ ، الشيخ العالمُ، العامل الزاهدُ ، مُفتي المسلمين الشيخ عبد الرحمٰن الأجهوري المالكي رضي الله تعالىٰ عنه(٢)

أخذَ العلوم عن الشيخ شمس الدين اللقاني وغيره ، وعن أخيه الشيخ ناصر الدين ، وغيرهما ، وأجازوه بالفتوىٰ والتدريس ، فدرَّسَ العلم ، وأفتىٰ في حياة أشياخه .

وكان الشيخ ناصر الدين إذا جاءته الفتيا يُرسلها له من شدَّة إتقانه وحفظه للنقول ، رضي الله تعالىٰ عنه .

وما زارني أحدٌ من العلماء قدرَ ما زارني .

---

(١) في (هـ ، و) : (القيسي) بدل (الفيشي) ، وتقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٥٣) (٥٦٤) .

(٢) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٥٤) (٥٦٥) .

كان رضي الله تعالىٰ عنه لا يكادُ يتخلَّفُ عن زيارتي كلَّ يوم أربعاء

وكان الشيخ يوسف الحُرَيْثي والدُ الشيخ أبي العباس يقول : (أُحبُّ من الدنيا ثلاثةً : الشيخ عبدَ الرحمـٰن الأجهوري ، والشيخ يوسف البشلاوي ، وعبد الوهاب الشعراني) .

وكان الشيخ عبد الرحمـٰن كريمَ النفس ، قليلَ الكلام واللغو ، حافظاً لجوارحه عن المخالفات ، كثيرَ التهجُّد في الليل ، كثيرَ التلاوة للقرآن ، زاهداً ، ورعاً ، كثيرَ الأدب مع إخوانه .

تفقَّه عليه خلائقُ لا يحصون .

وكتب علىٰ « مختصر الشيخ خليل » ، وألف عدَّةَ كتب نافعة وصلت إلىٰ بلاد الغرب ، وبلاد التكرور .

صحبته نحو أربعين سنة ، فما سمعتُهُ قطُّ يذكرُ أحداً بغيبة ولا يحسد أحداً من أقرانه علىٰ ما آتاه الله تعالىٰ من علمٍ أو جاه أو مال ، أو إقبالٍ من الناس ، بل يقول : لولا أنه يستحقُّ ما أعطاه الله تعالىٰ ذلك .

ولما مرضَ دخلتُ عليه ، فوجدتُهُ لا يقدرُ يبلعُ الماء من غصَّةِ الموت ، فدخل عليه شخصٌ بسؤال ، فقال : أجلسوني ، فأجلسناه وأسندناه ، فكتب ، فلم يغبْ له ذهنٌ مع شدَّةِ المرض رضي الله تعالىٰ عنه ، وقال : لعلَّ ذلك آخرُ سؤالٍ ، فكتب عليه ، فمات تلك الليلة رضي الله تعالىٰ عنه .

حضرت معه أنا والشيخ أبو العباس الحُرَيْثي قراءة « المواهب اللدنية » مع مؤلفها الشيخ شهاب الدين القسطلاني رحمه الله تعالىٰ شارح « البخاري » ، وجمع عليه قراءة الأربعة عشرة قراءة .

مات رضي الله تعالىٰ عنه سنة نيِّفٍ وستين وتسع مئة ، ودُفن تجاه مقام إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام بجوار جامع محمود بالقَرَافة ، وقبرُهُ ظاهرٌ يُزار .

وكان كلَّما مرَّ علىٰ موضعِ قبره يقول : أنا أحبُّ هـٰذه البقعةَ ، رضي الله تعالىٰ عنه[1]

---

(١) في هامش (ب) : (توفي الشيخ عبد الرحمـٰن الأجهوري المالكي صاحب الترجمة في صفر سنة =

ومنهم :

(٥٨) الشيخُ الإمام ، العالم العلامة ، المحقِّقُ ، الورع الزاهد الشيخُ شمسُ الدين العبادي الشافعي (١)

صحبته نحو عشر سنين ، فما رأيتُ أكثرَ صمتاً منه .

ثم مرضَ فأكل حامضاً ، فثقل لسانُهُ .

أفتىٰ ودرَّس في الجامع الأزهر ، وانتفع به خلائقُ .

ولم يزلْ في ازديادٍ إلىٰ أن مات ، رضي الله عنه ، آمين .

ومنهم :

(٥٩) الشيخُ الصالحُ ، المُجمعُ علىٰ جلالته الشيخ شهابُ الدين البُلْقيني رضي الله تعالىٰ عنه (٢)

كان غريباً في أقرانه ؛ لكثرةِ زهدِهِ وورعِهِ ، وحسن خلقه ، وحلاوةِ لسانه ، وضبطه .

أخذ العلومَ عن عدَّةٍ من العلماء الأعلام ، ومن أجلِّهم الشيخُ العلامة الشيخ شهاب الدين الرملي الأنصاري ، لازمهَ ملازمةً شديدة حتىٰ أجازَهُ بالفتيا والتدريس ، فدرَّس وأفتىٰ في حياته ، وانتفعَ به خلائقُ حتىٰ كانت حلقتُهُ أوسعَ من حلقة شيخه .

وأخذ طريق القوم عن سيدي عليٍّ المرصفي ، ثم عن تلميذِهِ الشيخِ نور الدين الشوني شيخ مجلسِ الصلاة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم في جامعِ الأزهر ،

= سبع وخمسين وتسع مئة بمصر ، تغمده الله تعالىٰ برحمته ، آمين . انتهىٰ عثمان) ، وذكره ابن العماد في « شذرات الذهب » (١٠/ ٤٧٦) ضمن وفيات (٩٦١هـ) ، وقال نجم الدين الغزي في « الكواكب السائرة » (٢/ ١٥٨) : (وكانت وفاته بعد الستين وتسع مئة)

(١) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٥٥) (٥٦٦) .

(٢) تقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٥٥) (٥٦٧) .

وأحبَّه غايةَ المحبة ، واستخلفه في مجلسه في حياته وبعد مماته ، وقدَّمه علىٰ جميع أصحابه ، وقال : ما قدَّمتُهُ في المجلسِ إلا بعد مشاورة النبي صلى الله عليه وسلم .

واعتقدَ علمَهُ وصلاحَهُ الخاصُّ والعام .

واشتُهر في مصر وقراها ، والشام ، والحجاز ، والروم .

صحبته رحمه الله تعالىٰ نحو أربعين سنة ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه .

وما ذكره قط أحدٌ بسوءٍ من الحسدة إلا وأراه تلك الليلة وعليه ثيابٌ خضرٌ وبيض نقية الخضرة والبياض ، فأَعرفُ بذلك كذبَ الحاسد ، وصدقَ الشيخ شهاب الدين ، وشدَّة إخلاصه .

وما رأيته قطُّ التفتَ إلىٰ وظائف الفقهاء ، بل تربَّىٰ على العفَّةِ ، والورع ، والزهد في الدنيا حتىٰ أَتتْهُ وهي راغمةٌ .

ووقع لي مرةً معارضةٌ من أصحاب النوبة من العجم ، فما كنت إلا هلكت ، فأتاني يزورني هو والشيخ نور الدين الشوني ، والشيخ أبو العباس الحُرَيْثي ، والشيخ شهاب الدين الوفائي ، وجماعةٌ ، فلما أرادوا الانصرافَ قال لهم الشيخ شهاب الدين الديسطي : كيف تذهبون وأنتم مشايخُ مصر ، والرجلُ بمرضه ما حملتُم عنه شيئاً ؟! فصار كلٌّ واحد يقول لصاحبه : احملْ أنت عنه ، فيردُّ الأمر عليه ، فقال الشيخ شهاب الدين صاحب الترجمة : مدُّوني وأنا أحملُ عنه ، ثم وضع رأسَهُ في طوقه مقدار درجة ، فقمتُ ، فسبقتُهم إلىٰ خارج الدار ، وكان لي تسعةُ أيام لا آكلُ ولا أشرب ولا أنام .

ورأيتُ مرةً في المنام أنَّ الشيخ نور الدين الشوني جالس في مجلسه بجامع الأزهر ، والمقصورةُ كلُّها مفروشةٌ بالحرير الأخضر ، والعُمُدُ كلُّها مستورةٌ كذلك بالحرير ، ورأيت خلف ظهر الشيخ نور الدين سحابةً خضراء إلى السقف ، فبينما هو كذلك ، إذ نزلَ إلى الأرض فابتلعته ، فجاء الشيخُ شهابُ الدين البُلْقيني ، فجلس مكانه مدَّةً ، ثم ابتلعتْهُ الأرضُ كذلك ، ثم جاؤوني ، فأجلسوني ، ثم استيقظت ، فقصصت ذلك على

الشيخين ، فقالا : إن صدقتْ رؤياك فأنتَ تقبرُنا وتعيشُ بعدنا ، انتهىٰ ، فكان الأمرُ كما قالا ، رضي الله تعالىٰ عنهما[١]

وللشيخ شهابِ الدين وقائعُ غريبةٌ مع الجنِّ ، وكانوا يخدمونه ويوضئونه[٢]

وكان إذا رأىٰ أحداً مركوباً[٣] يقول للراكبِ : اخرج عنه ، فيخرجُ الراكبُ في الحال من غير عزيمةٍ عليه .

وكذلك بلغنا : أنه كان يجتمعُ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم يقظةً ، ويُحادثه ؛ أي : يجتمع به في حالةٍ بين النائم واليقظان ، كما هو مقرَّرٌ في تأويل كلام القوم .

مات رضي الله تعالىٰ عنه في ثاني صفر ، سنة ستين وتسع مئة ، ودفن بالقرب من تربة الجامع الأزهر ، رحمه الله تعالىٰ .

ومنهم :

(٦٠) الشيخُ الإمام العلامة ، الشيخ شمسُ الدين الدهشوري الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه[٤]

كان شيخاً وحده ، مُعتزلاً عن الناس على الدوام .

وكان جالساً في مقصورة جامع الأزهر لا يسندُ ظهره إلىٰ جدار قطُّ ، أوقاتُهُ كلُّها معمورةٌ بالعلم والعمل ، طولَ نهاره يقرأُ الناسُ عليه العلم ، لا تقومُ طائفةٌ إلا وتجلس طائفة أخرىٰ ، رضي الله تعالىٰ عنه ورحمه ، آمين .

---

(١) انظر الرؤيا القادمة (٥/ ١٤٤).

(٢) في (و) : (وكانوا يحدِّثونه ، ويؤمُّونَهُ) .

(٣) أي : مركوباً من الجن .

(٤) انظر « الخطط التوفيقية » (١١/ ١٧٢) ، وله ذكر في « الكواكب السائرة » (٣/ ٤) .

ومنهم :

(٦١) الشيخ العلامة ، المفتي المدرِّس ، الشيخ زكريا الأنصاري ولدُ ولدِ شيخنا شيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري[١]

أخذ العلم عن جدِّه المذكور ، وعن الشيخ برهان الدين بن أبي شريف ، وعن الشيخ عبد الحقِّ السنباطي ، وعن الشيخ كمال الدين الطويل .

وكان جدُّه يحبُّه محبَّةً عظيمة ، وأخذ طريق التصوف ، ولبس الخرقة عن جدِّه المذكور ، وعن سيدي علي المرصفي ، وعن غيره .

وكان ذكيّاً ، حلوَ اللسان ، جميلَ المعاشرة ، كريمَ النفس ، كثيرَ التهجُّدِ في الليل .

سافرتُ معه إلىٰ مكة المشرفة ، وهو قاضي المحمل ، فكان رضي الله تعالىٰ عنه يقضي بالنهار ، ولا يملُّ من المطاف في الليل ، كثيرَ الصدقة والافتقاد لفقراء الركب ، وكان كثيرَ البكاء عند سماع شيء من أهوال يوم القيامة .

مات رضي الله تعالىٰ عنه في شوال سنة تسعٍ وخمسين وتسع مئة ، ودفن خارجَ باب النصر ، تجاه مقام السيدة زينب ، رحمه الله تعالىٰ ، آمين .

* * *

---

(١) زين الدين زكريا الأنصاري. وانظر « الكواكب السائرة » (٢/ ١٤٥)، و« شذرات الذهب » (١٠/ ٤٦٦).

الباب الثالث

في ذكر مناقب جماعة من علماء العصر الأحياء

الباب الثالث

في ذكر مناقب جماعة من علماء العصر الأحياء

ولنذكرهم على ترتيب سبق أئمتهم بالزمان ، فنبدأ بأصحاب الإمام الأعظم أبي حنيفة ، ثم بأصحاب الإمام مالك ، ثم بأصحاب إمامنا الشافعي محمد بن إدريس ، ثم بأصحاب الإمام أحمد رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين ، غير ملتزمين تقديمَ الأفضل فالأفضل من علماء كلِّ مذهبٍ ؛ لجهلنا بحقيقة مقامهم الذي يموتون عليه ؛ فإن التحويل والتبديل ربما وقع لأحدهم ، فيقع وصفُنا له على خلاف الواقع ، فيكذبنا الحسُّ .

ولذلك قلَّ من يذكر مناقبَ أحدٍ من الأحياء في حياتهم ، وإنما يذكرونها بعد مماتهم ، ولٰكني لمَّا قويَ رجائي في الله عز وجل ، وأنه لا يسلبُ أحداً ممن ذكرتهم ما وهبه له من العلم والمعرفة ، والأخلاق الحسنة أجرأني ذلك على ذكر مناقب من صحبته من الأحياء .

ولم أذكر منهم إلا من أفتىٰ ودرَّس في مذهبه بإذن أشياخه ؛ لأن ذلك غايةُ ما يصل إليه طالبُ العلم ، وكذلك لا أذكر منهم إلا من علمتُ بقرائن الأحوال أنه لا يحبُّ الشهرةَ ، ويستحقر نفسَهُ أن يذكرَهُ أحدٌ في طبقات العلماء العاملين ؛ لعلمي بأن من أحبَّ الشهرةَ فهو مراءٍ ، وعيوبُهُ مكشوفةٌ للناس فلا يصدقني الناس فيما أصفه به[1] ، وقد كان الإمامُ مالكٌ رضي الله تعالىٰ عنه يقول : (لو أحبَّ العلماءُ أن يُعرفوا لما عُرفوا) انتهىٰ .

وقد كنتُ ذكرتُ بعضَ جماعةٍ في هٰذه الطبقات ، فقال لهم بعضُ الحسدة : إن

---

(١) في (ب ، ج ، د) بياض بعد قوله : (للناس) بمقدار كلمتين .

فلاناً ذكر أقرانَكم ولم يذكركم ، فجاؤوني وعتبوا عليَّ ؛ لكوني لم أذكرْهم بناءً على صدق ذلك الحاسد ، فرفعتهم من الكتاب ؛ لعلمي بأنَّ من أحبَّ الشهرةَ لا بدَّ أنْ ينطفئ اسمُهُ ولو على طولٍ ، فلا يفيدُهُ ذكري له .

وقد أجمع القوم على أنَّ من علامة العالم العامل أن يرى نفسَهُ أحقَرَ عباد الله تعالى على الإطلاق ، كما كان عليه سيدي عبد العزيز الديريني ، والشيخ عبد الله المنوفي ، فكان أحدُهما إذا جاء إلى وليمة ، ولم يقم إليه أحدٌ ، ولم يفسح له أحدٌ يزدادُ سروراً ، وإذا قدَّموا إليه ولأصحابه الصحون التي أكلها الناس يلحسونها ، ويزدادون سروراً ، ويقولون : أكلْنا فضلةَ هـٰؤلاء الناس الملاح ، وحصل لنا بركتُهم .

وأرجو من الله تعالى أن يكونَ جميعُ من ذكرتهم على هـٰذا القدم .

وجلُّ قصدي بذكر من صحبتهم من هـٰؤلاء العلماء فتحُ باب الاعتقاد فيهم من أهل عصرهم ؛ ليأخذوا عنهم العلمَ والأدبَ ، وينتفعوا بهم ؛ فإنهم قالوا : المعاصرة حجابٌ ، فترى بعضَ الناس لا يُقيمُ لأحدٍ من أهل عصره وزناً ، ولا يعتمدُ على فتواه ، ثم إذا ماتَ ذلك المفتي وتخلَّف المعاصر بعده يصيرُ يعدُّه من العلماء ، ويسمي ما يراه في مؤلفه منقولاً ، ويحتجُّ به .

وعن قريب تخلو الديار من هـٰؤلاء العلماء بمصر ، وتفقدُ الناسُ أنوارَ علومهم ، فالعاقلُ من تأدَّبَ مع علماء زمانه وأقرانه ، وأخذَ عنهم ما معهم من العلم ، والسلام .

* * *

إذا علمتَ ذلك فأقولُ وبالله التوفيق :

ممن صحبتُه من علماء السادة الحنفية :

(٦٢) الشيخُ الإمام ، العالمُ العلامة ، المُقبلُ علىٰ عبادة ربِّه ليلاً ونهاراً المعتزلُ في بيته عن الناس عملاً بالسُّنَّة المحمدية الشيخ شمسُ الدين محمد البرهمتوشي فسح الله تعالىٰ في أجله للمسلمين[(١)]

لي في صحبته إلى الآن مدَّة عشر سنين[(٢)] ، فما أظنُّ أنَّ كاتبَ الشمال كتبَ عليه شيئاً ، وإن وقعَ أنه عرضَ لأحدٍ علىٰ وجه التنفير فذلك من باب النصح للأمة ، لا لحظِّ نفسه .

وقد كان الإمامُ البخاري رحمه الله تعالىٰ يَجرحُ الرواة كثيراً ويقول : أرجو من فضل الله تعالىٰ ألا يُطالبني يومَ القيامة بغيبة في أحد . انتهىٰ .

وذلك لأنه قصدَ بالتجريح نصرةَ الدين ، لا التشفِّي بذلك للنفس .

وبالجملة : فالشيخ شمس الدين هـٰذا فريدُ عصره ، ونادرةُ زمانه في العلم والعمل ، والإخلاص ، وعدم الوقوع فيما يذلُّ نفسه لأبناء الدنيا ، حتىٰ إنَّ بعضَ الولاة ولاه وظيفةَ تدريسٍ جليل عند الناس ، فتوقَّف علىٰ أنه يذهبُ إلى الأمير ، ويشكرُ فضله ، فلم يفعل ، وتركَها .

ومما وقعَ لي : أنه كُشف لي في ليلةٍ ، فرأيتُ أعمالَ علماء الجامع الأزهر وهي صاعدةٌ إلى السماء ، فما رأيتُ في أعمالهم أضوأَ ولا أنورَ من عمله ، فعلمتُ بذلك علوَّ مقامه في الإخلاص ، وكيف لا يكون عملُ من اعتزل عن الناس أَضوأَ وأنور ، وذاتُ المعتزلِ قد تنظَّفتْ من سائر الأدناس والأنجاس تبعاً للقلب ؛ فإنه إذا استنار أضاءتِ الذات ، وأضاءت الأعمال ؟!

وقد مررتُ مرَّةً علىٰ قناطر السباع التي عُملتْ من الحجارة ، فنظرتُ إلىٰ سَبُعٍ منها

---

(١) البرهمتوشي : نسبة إلىٰ برهمتوش ، من أعمال سمنود بمحافظة الغربية بمصر .

(٢) في (ج ، هـ ، و) : (عشرين سنة) .

قريبٍ من الناس ، عليه النخاماتُ والبصاق ، حتى اسودَّ ، وقبحتْ رائحته ، فقال شيخٌ قد طعن في السن : انظر يا ولدي واعتبرْ وتأمَّلْ في هـٰذا السَّبُع ، لمَّا قربَ من الناس كيف تغيَّرتْ أحواله ، وتأمَّلْ في ذلك السبع الذي فوقَ الحائط لا يصلُ إليه أحدٌ ، كيف هو أبيض يلمعُ في الشمس ؛ لبعده عن الناس .

فأخذتُ لنفسي عبرةً من ذلك ، فمثالُ الشيخ شمس الدين هـٰذا ـ وله المثل الأعلىٰ ـ من السبع مثال ذا السبع الذي لا يصلُ إليه الناس ، فأسألُ الله تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله ، آمين .

أخذ رضي الله تعالىٰ عنه العلوم عن جماعةٍ ؛ منهم : شيخ الإسلام الشيخ نورُ الدين الطرابلسي ، والشيخ العلامة المحققُ ، العالم العامل ، المُجمعُ علىٰ جلالته الشيخ محمد مغوش المغربي المالكي حين قدمَ إلىٰ مصر من الروم[١]

وقرأ عليه أجلاَّءُ علماء مصر ، وانتفعوا به .

ولم يزل رضي الله تعالىٰ عنه يقرأُ على الأشياخ حتىٰ تبحَّرَ في علوم الشريعة ؛ من تفسيرٍ ، وحديثٍ ، وفقهٍ ، وأصولٍ ، ومعانٍ وبيان ، وغير ذلك

وأجازه أشياخُهُ بالإفتاء والتدريس ، فدرَّسَ العلمَ ، وأفتىٰ مدَّةً ، ثم امتنعَ من الفتيا ؛ تورُّعاً ، رضي الله تعالىٰ عنه .

وانتفع به خلائقُ لا يُحصون من أهل مصر ، والحجاز ، والعجم ، والروم .

وأقبل عليه الطلبةُ إقبالاً عظيماً ، وقدَّموه علىٰ جميع أقرانه ؛ لما هو عليه من العلم والعمل ، والزهد ، والورع ، وقلَّةِ الترددِ إلى الأكابر مثل غيره ، وعدمِ مزاحمته علىٰ شيءٍ من وظائف العلماء[٢] ؛ اقتداءً في ذلك بالسلف الصالح رضي الله تعالىٰ عنهم ،

---

(١) الشيخ محمد بن محمد بن مغوش ، بمعجمتين : التونسي ، اشتغل علىٰ علماء المغرب ، برع وتميَّز ، وولي قضاء عسكر تونس ، ثم قدم القسطنطينية ، ثم رحل إلىٰ حلب ثم دخل طرابلس ثم دمشق ، وانتفع به أهلها ، وشهدوا له بالعلم ، وتوفي في العشر الأواخر من شعبان بالقاهرة ، ودفن بجوار الإمام الشافعي رضي الله عنه .

(٢) في (ج) : (الفقهاء) بدل (العلماء) .

فأسألُ الله تعالىٰ من فضله أن ينفعَنا بعلومه ، ويرزقنا الأدبَ معه إلى الممات ، وأن يحشرَنا في زمرته في الآخرة تحت لوائه ، آمين اللهم آمين .

مات رضي الله تعالىٰ عنه في ثالث عشر جُمادى الأولىٰ سنة [اثنتين] وسبعين وتسع مئة[1] ، ودفن في مقبرة المُجاورين بجوار تربة قايِتْباي ، رحمه الله تعالىٰ ، آمين .

ومنهم :

(٦٣) الشيخُ الإمام ، العالم العلامة ، المجمعُ علىٰ جلالته وعلمه وورعه ، وحفظِ جوارحه الشيخُ سراج الدين الحانوتي[2] رضي الله تعالىٰ عنه

ما رأيتُ في أقرانه أكثرَ اعتقاداً في طائفة الفقراء منه ، لا يكادُ يغفُل عن زيارتهم أحياءً وأمواتاً ، وقد استحييتُ من كثرة زيارته لي ماشياً ؛ تبعاً لشيخه الشيخ شهاب الدين بن الجلبي رحمه الله تعالىٰ .

صحبته نحو عشر سنين إلىٰ وقتنا هـٰذا[3] ، فما أظنُّ أنَّ كاتبَ الشمال وجدَ شيئاً يكتبُهُ عليه من شدَّة تقواه وضبطِهِ لجوارحه .

وما سمعتُهُ قط يذكرُ أحداً من المسلمين وغيرهم بغيبة ، حتىٰ إنه دخل عليه طبيبان من اليهود في مرضه ، فقال : لولا أني أخشىٰ أن تكون غيبةً لقلت : إنَّ أحدَهما أعرفُ في الطب من الآخر .

وما رأيته قطُّ يُزاحمُ علىٰ شيء من الدنيا ، ولا يتردَّدُ إلىٰ أحد من الولاة إلا لضرورةٍ شرعية ؛ من شفاعةٍ في مظلوم ، ونحو ذلك .

ومجلسُهُ مجلسُ علمٍ وأدب وإخلاص وخشيةٍ وخوفٍ من الله عز وجل ، قد طبعه الله تعالىٰ على الأخلاق المحمدية ، والشيم المرضية ، والأحوال السنية .

وله أعمالٌ كثيرة في الليل لا يكاد يطلع عليها أحد إلا الله عز وجل ؛ من تهجُّدٍ ،

---

(١) في النسخ : (اثنين) بدل (اثنتين) .
(٢) انظر «ديوان الإسلام» للغزي (٢/ ١٦٦)، و«فهرس الفهارس» لعبد الحي الكتاني (١/ ٣٨٦).
(٣) في (أ ، هـ ، و) : (عشرين سنة) بدل (عشر سنين) .

وقراءةِ أوراد ، ومراقبةٍ ، لم يزل من حين صحبته على قدمِ التواضع ، وهضمِ النفس .

وقد جلسَ عندي مرَّةً بحضرة شخصٍ من الأولياء ، فقال لي : نظرةُ هـٰذا الرجل نظرةُ أرباب الأحوال ، فعرفَ مقامه من نفسِ نظرته دونَ شيءٍ من أعماله ؛ لكثرةِ خفائها عن الناس .

ولولا أعرفُ منه محبَّة عدم الشهرة لأوسعتُ الكلامَ ببعض محاسنه ، فأسألُ الله تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله ، وينفعَنا ببركاته ، ويجعل في ذريته وطلبته العلمَ والبركة ، آمين ، ويحشرنا في زمرته ، آمين آمين آمين .

مات رضي الله تعالىٰ عنه في سابع شهر شوال سنة سبعين وتسع مئة ، وكان مولدُهُ رضي الله تعالىٰ عنه سنةَ تسعٍ وتسعين وثمان مئة رحمة الله تعالىٰ عليه .

ومنهم :

(٦٤) الشيخ الصالحُ ، العلامة العامل الشيخ بشر رضي الله تعالىٰ عنه[١]

أخذ العلم عن جماعةٍ ؛ منهم : شيخُ الإسلام الشيخ نور الدين الطرابلسي ، وشيخُ الإسلام الشيخ عبد البر ابن الشحنة ، وغيرهما من علماء المذاهب .

وأجازوه بالفتوىٰ والتدريس ، فدرَّس وأفتىٰ في جامع الأزهر وغيره ، وانتفع به خلائقُ كثيرة .

وقد غلب عليه الآن محبَّةُ الخفاء والخمول والجلوس وحده ، وتركُ التردُّد للناس ، حتىٰ صار كأنَّه لم يعرف أحداً ، فقيل له في ذلك ، فقال : قد ضاق عمري عن الاشتغال بأمور الناس ومخالطتهم .

صحبته نحو خمسين سنة ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينُهُ في دينه ، وما رأيتُهُ قطُّ يغتابُ أحداً من أقرانه ، ولا غيرهم .

وهو من أجلِّ أصحاب شيخ الإسلام الشيخ نور الدين الطرابلسي .

---

(١) انظر « الكواكب السائرة » (٢/ ١٨٢) ، و« شذرات الذهب » (١٠/ ٤٧٥) .

وجلس مدَّةً يقضي بين الناس نيابةً عن شيخ الإسلام ، ثم ترك القضاء ، وأقبل على العبادة ؛ من صومٍ ، وقيامِ ليلٍ ، ومراقبةٍ ، وصمتٍ .

وما أتاني قطُّ إلا وجدته صائماً .

وأخبرني مَنْ يُخالطه : أنَّ أكثرَ أيامه يُفطر علىٰ كسرةٍ يابسة ، ويكتفي بها ، رضي الله سبحانه وتعالىٰ عنه ورحمه ، آمين .

ومنهم :

(٦٥) الأخُ الصالح ، العالمُ العلامة ، الورعُ الزاهد الشيخ بدرُ الدين الشهاوي رضي الله تعالىٰ عنه

صحبته نحو ثلاثين سنة ، فما رأيتُهُ زاغَ عن الشريعة في شيءٍ من أفعاله ولا أقواله ولا عقائده .

أخذ العلمَ عن جماعة من مشايخ الإسلام ؛ كالشيخ نور الدين الطرابلسي شيخ الإسلام ، والشيخِ شهاب الدين بن الجلبي ، فلم يزل يقرأ عليه حتىٰ تبحَّر في العلوم الشرعية والإفتاء ، فأحبَّهُ حبّاً شديداً ، وزوَّجه ابنتَهُ .

وأجازه بالإفتاء والتدريس ، فدرَّس وأفتىٰ في حياة أشياخه بإذنهم .

وأخذ طريق التصوف عن سيدي الشيخ أبي السعود الجارحي رضي الله تعالىٰ عنه ، فكمل بذلك حالُهُ ؛ لأن الفقيه إذا لم يكن له علمٌ بطريق القوم فهو ناقصٌ في المقام ؛ إذ بمعرفة طريق القوم يعرفُ العبدُ دقائقَ الرياء والنفاق في أحواله ، فيستغفر الله منها ويتوب ، ومن لا يعرفُ طريقَ القوم ربما يموتُ علىٰ عدَّةٍ من الكبائر الباطنة ؛ من حسدٍ وغلٍّ وحقدٍ ، وعُجْب وكِبْر ، ورياء ونفاق ، ومحبةٍ للدنيا ، ولا يهتدي للتوبة منها ، فاعلمْ ذلك .

ومن صفاته رضي الله تعالىٰ عنه : كثرةُ ذكر الله عز وجل بلسانه وقلبه ، وما جالستُهُ قطُّ ورأيتُهُ غافلاً عن ربّه عز وجل وشهود أنه يراه ، وهـٰذه من أكبر حالة تحصل للفقراء بعد طول مجاهدتهم .

ومن صفاته : النُّصحُ لإخوانه ، وعدمُ المداهنة لهم ، مع ما هو عليه من كثرة الصيام ، وقيام الليل ، والصدقات الخفية

وله القدمُ العظيم في كتم أحواله وأفعاله عن الناس حتىٰ عن عياله .

وله صبرٌ عظيم على العزلة ، والجلوس في بيته ، فلا يخرجُ إلا لضرورةٍ شرعيةٍ ؛ من صلاةِ جماعة ، وتدريس ، ونحو ذلك .

وأوصافه الحسنةُ تجلُّ عن تصنيفي ، فأسألُ الله تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله ، وأنْ يَحشرنا معه ، آمين اللهم آمين .

ومنهم :

(٦٦) الشيخ الإمام ، العالمُ العلامة الورعُ الزاهدُ في الدنيا ، الراغب في الآخرة الشيخُ أمينُ الدين بنُ عبد العال رضي الله تعالىٰ عنه[١]

صحبته نحو سبعٍ وأربعين سنة ، فما رأيتُهُ زاغَ عن السنة المحمدية[٢] ، ولا اعتنىٰ بشيء من الملابس ، ولا توقَّف في ركوب الحمار علىٰ بساط ، وأكثرُ خروجه للسوق بلا رداء ، بل ثيابُهُ في بيته هي التي يخرجُ بها إلىٰ درسه ، طارحاً للتكلُّفِ جملةً في جميع أحواله ، لا يكادُ أحدٌ يميِّزُهُ عن العامة .

ودخلتُ عليه مرةً ، وهو جالسٌ في الشمسِ أيام الشتاء في حوشِ السلطان جانبلاط ، فسطع لي منه أنسٌ عظيم حتى امتلأتْ جوارحي منه أنساً .

ورأيت باطنَهُ ممسوحاً من الأغراض النفسانية كباطن الطفل ، وما وقعَ لي ذلك قطُّ مع أحدٍ من أقرانه .

وكان والده الشيخُ عبد العال رجلاً صالحاً ، كريماً ، عفيفاً ، لا يكادُ يُمكِّنُ أحداً أن يفارقَهُ حتىٰ يقدِّمَ له شيئاً يأكله .

---

(١) انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ٦٥) .

(٢) في (د ، هـ ، و) : (الشريعة المحمدية) بدل (السنة المحمدية) .

ودخلتُ عليه مرةً فلم يجدْ عنده طعاماً ، فقدَّم إليَّ الماء وقال : اشربْ ولو يسيراً ، وربما وجدَ اللقمةَ اليابسةَ فيضعها بين يدي الأمير ونحوه ، رضي الله تعالىٰ عنه .

نشأ ولده الشيخُ أمين الدين علىٰ تقوىٰ وعلمٍ وأدبٍ .

وأخذ العلومَ عن جماعةٍ ؛ منهم الشيخُ برهان الدين الطرابلسي[١]

وأجازه أشياخُهُ بالإفتاء والتدريس ، فأفتىٰ ودرَّس في حياتهم بإذنهم له في ذلك .

ووقف الناس عند قوله ، وأجمعوا علىٰ كثرة ورعه وزهده ، وحفظِ جوارحه من المخالفات .

وأكثرُ أوقاته جالساً وحده ؛ لمحبَّته للعزلة ؛ اقتداءً بالسلف الصالح ، وما جالستُه قطُّ إلا ورأيتُ قلبَهُ مشغولاً بالله عز وجل ، وبأهوال يوم القيامة .

وله القدمُ الراسخةُ في كلام القوم ، لا سيما كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالىٰ عنه .

وأكثرُ أعماله قلبية ، وسمعته يقول : (كلُّ عملٍ ظهرَ من أمثالنا دخلَهُ الدخيلُ)[٢]

وعرضوا عليه عدَّة وظائف من تدريسٍ وغيره فأبىٰ .

وبالجملة : فأوصافُه الحسنةُ كثيرةٌ تجلُّ عن تصنيفي ، فأسألُ الله تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله ، وينفعنا ببركاته ، آمين اللهم آمين .

مات في يوم الأحد المبارك رابع عشر رجب الفرد الحرام سنة إحدىٰ وسبعين وتسع مئة ، ودفن في باب النصر ، تجاه المدرسة الجنبلاطية ، رحمه الله تعالىٰ ، آمين .

---

(١) في (ج) : (نور الدين) بدل (برهان الدين)

(٢) في (ج) : (الخبل) بدل (الدخيل)

ومنهم :

(٦٧) الشيخُ الإمام ، المُجمعُ علىٰ جلالته وعلمه وصلاحه وزهده وورعه
الشيخُ شرفُ الدين البُلْقيني شيخُ تربة خاير بك ملك الأمراء
رضي الله تعالىٰ عنه

صحبته نحو أربعين سنة ، فما رأيتُهُ حادَ عن طريق الشريعة ، ورؤيةُ وجهه تشهدُ له بذلك ؛ لما هو عليه من الأنسِ والهيبة والخشوع .

أخذ العلمَ عن جماعةٍ ؛ منهم : شيخُ الإسلام نور الدين الطرابلسي ، والشيخ برهان الدين ، وغيرهما .

وأجازوه بالإفتاء والتدريس ، فدرَّس وأفتىٰ ، وانتفع به خلائقُ .

وأخذ طريقَ القوم عن جماعةٍ ؛ منهم : سيدي محمد المغربي الشاذلي .

وله أحوالٌ عظيمة ، وتهجُّدٌ طويل بالليل[١] ، ويحبُّ إخفاء الأعمال ، فلا يكادُ يطَّلعُ علىٰ عمله أحدٌ[٢] ، وما رأيتُهُ قطُّ إلا وحلَّ لي منه في باطني انشراحٌ وانفساحٌ وزيادة حياء ، وهـٰذه من أكبر علامات الصالحين .

وما رأيت في أقرانه أسرعَ دمعةً منه ، ولا أكثر تواضعاً ، ولا هضماً للنفس .

ولا تغيَّرَ علىٰ أحدٍ فأفلح بعده علىٰ يد غيره ؛ وذلك لما هو عليه من الضبط والمناقشة لطلبته ، ومن فرَّ من مناقشة شيخه له فهو لا شكَّ يفرُّ من كلِّ مناقشة بعده .

ولولا أعلم منه محبة الخمول ، وعدم الشهرة لذكرتُ من محاسنه ما تقرُّ به العيون ، فأسألُ الله تعالىٰ من فضله أن يزيدَه علماً وعملاً ، وجمعيةَ قلبٍ على الله تعالىٰ ، حتىٰ يلقاه ، اللهم آمين .

---

(١) في (هـ ، و) : (طول الليل) .
(٢) في (هـ ، و) : (فلا يكاد يطلع علىٰ عمله إلا الله) .

ومنهم :

(٦٨) الأخُ الصالح ، العلامة المحقِّق المدقِّق ، العابدُ الزاهد الشيخ زين العابدين بنُ نُجيم رضي الله تعالىٰ عنه[١]

صحبته نحو عشر سنين إلى الآن فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه .

حججتُ معه في سنة ثلاثٍ وخمسين وتسع مئة ، فرأيتُه علىٰ خُلقٍ عظيم مع جيرانه وغلمانه ذهاباً وإياباً ، مع أن السفرَ يُسفر عن أخلاق الرجال ، وتخرجُ فيه الأخلاقُ عن الحدِّ .

أخذ رضي الله تعالىٰ عنه العلومَ عن جماعةٍ ؛ منهم : الشيخُ شرفُ الدين البُلْقيني ، والشيخ شهابُ الدين بن الجلبي ، والشيخُ أمين الدين بنُ عبد العال ، و[أبو] الفيض السُّلمي[٢] ، وغيرهم ، وأجازه أشياخُهُ بالإفتاء والتدريس ، فأفتىٰ ودرَّس في حياة أشياخه بإذنهم ، وانتفعَ به خلائقُ لا يُحصون .

وله عدّةُ مؤلفات ، حرَّر فيها نقولَ مذهبه ، لا يَستغني عنها مفتٍ ولا مدرس .

وأجمع الفقراء علىٰ أدبِهِ وجلالته[٣] ، وما تخلَّفَ عن الإذعان له إلا مَنْ عنده حسدٌ ، أو جهلٌ بمقامه .

وما رأيتُ في أقرانه أكثرَ فوائدَ ، ولا أحسنَ سمتاً منه ، وله الاعتقاد العظيم في طائفة القوم .

وقد شاورني في تركِ الإفتاء والتدريس ، والإقبالِ علىٰ طريق الفقراء ، فقلت له : لا تدخل في طريقِ الفقراء إلا بعد تضلُّعك من علوم الشريعة ، وتصير تقطع جميع علماء مصر بالحجج القاهرةِ في مجلسِ المناظرة ، فأجابَ إلىٰ ذلك ، وقد بلغَ بحمد الله تعالىٰ ذلك .

---

(١) انظر « الطبقات السنية » (٣/ ٢٧٥) ، و« الكواكب السائرة » (٣/ ١٥٤) ، و« شذرات الذهب » (١٠/ ٥٢٣) ، و« خطط مبارك » (٥/ ١٧) ، و« الأعلام » (٣/ ٦٤) .

(٢) في النسخ : (أبي) بدل (أبو) .

(٣) في (ج) وحدها : (الفقهاء) بدل (الفقراء) .

وأخذَ الطريقَ عن الشيخ العارف بالله تعالىٰ سليمان الخضيري ، وصار له ذوقٌ عظيم في الطريق ، يحلُّ به مشكلاتِ كلام القوم ، ويؤوِّلُهُ علىٰ أحسن وجه ، فأسألُ اللهَ تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله فضلاً وعلماً وعملاً وصلاحاً ، ويحشرنا في زمرته آمين(١)

ومنهم :

(٦٩) الأخُ الصالح ، العالمُ العامل ، الورع الزاهد الشيخُ شمس الدين القلقشندي المولد ، المسيري الأصل

المقيمُ بالمدرسة الأشرفية بخطِّ الوراقين .

صحبته نحو عشرين سنة ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه ، بل نشأَ علىٰ خيرٍ وعلمٍ وعمل .

وحججتُ معه في سنة ثلاثٍ وخمسين ، فما رأيتُ في أقرانه أكثرَ مروءةً ولا عبادةً منه والشيخِ شمس الدين الشربيني الخطيب ؛ فإني رأيتُهما يمشيان عن جمالهما غالبَ المراحل ، وهما مَشغولان بتلاوة القرآن ، وإفادةِ الناس العلمَ ، وتعليمهم المناسكَ .

ورأيتُهُ كثيراً يُعطي نعله للفقراء الحفاة ، ويمشي هو حافياً .

وكذلك رأيتُهُ يطوي عن الطعام والشراب في غالب أيامه ، ويُعطي عشاءَهُ وغداءَهُ للفقراء .

وظهر لي منه في تلك السنة علوُّ همَّة ، وكثرةُ إخفائه أعمالَهُ التي لا يقدر على المداومة عليها أحدٌ .

أخذ العلم عن جماعةٍ ؛ منهم : شيخُ الإسلام الشيخُ نور الدين الطرابلسي ، والشيخ شهابُ الدين ابن الجلبي .

---

(١) في هامش (ب) : (توفي العلامة زين بن نُجيم الحنفي صاحب الترجمة يوم الأربعاء سابع رجب الفرد الحرام سنة سبعين وتسع مئة بمصر ، تغمده الله تعالىٰ برحمته ، آمين انتهىٰ عثمان) ، وفي « الكواكب السائرة » (٣/ ١٣٨) نقلاً عن تلميذه الشيخ محمد العلي أن وفاته كانت سنة تسع وستين وتسع مئة .

وأجازه أشياخُهُ بالإفتاء والتدريس ، فأفتىٰ ودرَّس في حياة أشياخه ، وانتفع به خلائقُ .

ولا أعلم أحداً يحفظُ نقولَ المذهب مثله .

وأقبل على العلم والعمل والعبادة[١] ، وتولَّى القضاء مدَّةً ، ثم عزل نفسه .

ومنهم :

(٧٠) الشيخ الإمام ، العلامة المفتي ، الأخُ الصالح ، الورع الزاهد الشيخ صدرُ الدين الإمامُ بجامع القلعة رضي الله تعالىٰ عنه[٢]

صحبته نحو عدَّة سنين ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه .

لم يزلْ مُقبلاً على العلمِ ، والعملِ ، والعبادة ، وله تهجُّدٌ عظيم في الليل ، وحفظُ جوارح ، ومجلسُه مجلسُ علمٍ وأدب وحياء .

وما رأيتُ في أقرانه أحسنَ خُلقاً منه ، ولا أكرمَ نفساً ، فأسألُ الله تعالىٰ أن يزيدَه من فضله وأن يزيده علماً وعملاً ، وورعاً وزهداً ، وأن يحشرنا في زمرته ، آمين ، رضي الله عنه . انتهىٰ .

ومنهم :

(٧١) الشيخُ الإمام ، العالمُ العلامة ، الصالحُ الذي لا يخافُ في الله لومةَ لائم الشيخ محبُّ الدين البكري رضي الله تعالىٰ عنه[٣]

هو من بيتِ علمٍ وصلاح .

تولَّىٰ ولدُهُ الشيخ رضيُّ الدين قاضيَ الديوان الشريف .

صحبته رضي الله تعالىٰ عنه نحو أربعين سنة ، فما رأيتُهُ حادَ عن طريقِ الحقِّ ،

---

(١) في (و) : (الصيانة) بدل (العبادة) .

(٢) واسمه : محمد الإمام ، وانظر « الكواكب السائرة » (٣/ ٨٢) .

(٣) انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ٧٨) .

ولا هابَ أحداً من الولاة والأكابر ، بل يصدعُهم بالحقِّ ، لا يهابُ أحداً منهم ، وهٰذا الأمرُ قد انفردَ به في مصر الآن ، ولم يشاركه فيه أحدٌ مع ما هو عليه من الورع والزهد ، وعدم قبول هديةٍ ممن لا يتورَّعُ في كسبه .

وما ثارت فتنةٌ في مصر إلا وكان خُمودُها علىٰ يديه ، ولم يزل يُصلحُ بين العلماء والأكابر إذا وقع بينهم تنافرٌ وتدابرٌ .

وكلامُه مقبولٌ عند سائر الناس ، وذلك أدلُّ دليلٍ علىٰ صدقِهِ وإخلاصه .

ولما وقعتِ الفتنة في مسألة استبدال الأوقاف أيامَ قاضي العسكر محمد بن إلياس ، وعارضهم الشيخ نورُ الدين الطرابلسي كاتبوا فيه السلطان ، فأرسل مرسوماً بشنق الشيخ نور الدين ، ورأيتُ وأنا بين النائم واليقظان لوحاً نزل من السماء مُعلَّقاً بسلسلةٍ من فضة تجاه بيت الشيخ محبِّ الدين ، مكتوباً بخطٍّ أخضر ، يقرؤه جميعُ من يمرُّ عليه ، فأرسلتُ أعلم الشيخ نور الدين بذلك ، فلما جاءَ المرسومُ كانت نجاتُهُ علىٰ يد الشيخ محب الدين ، وقيل : إن المرسوم وصل إلىٰ مصر لما مات الشيخ نور الدين ، وفرغوا من غسله .

وبالجملة : فما رأيتُ في عصر الشيخ محبِّ الدين أكثرَ اهتماماً بأمور المسلمين منه ، ولا أكثرَ خوفاً من الله عز وجل ، ولا أَنصرَ للحقِّ منه ، يُكلِّمُ أعظمَ الأمراء كما يُكلِّم آحادَ الناس .

بلغنا : أنه لما صحبَ الشيخَ الكامل سيدي محمد المغربي الشاذلي شيخَ الجلالِ السيوطي في التصوف قال له : يا محبِّ الدين ؛ تكلَّم ، وأمرْ بالمعروف ، وانْهَ عن المنكر ، ولا تخفْ من أحدٍ ؛ فلذلك لم يكنْ في مصرَ أحدٌ من العلماء يواجه الباشات والأمراء والدفاتر بالكلام الجافي المرِّ إلا هو .

وكذلك صحبَ سيدي عليَّ المرصفي ، والشيخ تاجَ الدين الذاكر ، والشيخ أبا السُّعود الجارحي ، وغيرهم ، وكانوا كلُّهم يجلُّونه ويعظِّمونه ، ويصفونه بالعلم والصلاح ، والورع والدين .

وله تهجُّدٌ في الليل ، وأورادٌ عظيمةٌ ، وصيامٌ كثير ، وعلىٰ وجهه الخفرُ والوقار .

وأوصافُه الحسنةُ تجلُّ عن تصنيفي ، فأسألُ الله تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله ، وأن يحشرنا في زمرته ، آمين .

قلت : وبقي جماعةٌ من الحنفية ذكرناهم في كتاب « المفاخر والمآثر في بيان علماء القرن العاشر » كالشيخِ عمر بنِ الحية[1] ، وسيدي سريِّ الدين ابن الصائغ ، وسيدي يحيى الرهاوي ، وسيدي محمد بن الجلبي ، وسيدي يحيى الوفائي .

فمن أراد الاطلاعَ علىٰ حالهم فلينظرْ في الكتاب المذكور ، والله تعالىٰ أعلم .

* * *

---

(١) في (أ) : (الجية) ، وفي (هـ ، و) : (الحسنية) بدل (الحية) .

وأما أصحابنا من علماء مذهب الإمام مالك رضي الله تعالىٰ عنهم :

فمنهم :

(٧٢) الشيخُ الإمام العالم ، الزاهدُ الورعُ ، المُجمعُ علىٰ جلالته الشيخ عبد الرحمـٰن التاجوري المغربي المُقيم بالمدرسة العينية رضي الله تعالىٰ عنه(١)

صحبته رضي الله تعالىٰ عنه صحبة قلبية نحو عشرين سنة إلى الآن(٢) ، فما رأيتُهُ زاغَ عن طريق الشريعة في شيءٍ من أحواله ، وهـٰذه أعظمُ كرامةٍ تكون للأولياء .

أخذ رضي الله تعالىٰ عنه العلوم الشرعية عن الشيخ شمس الدين اللقاني ، وعن أخيه الشيخ ناصرِ الدين ، وغيرهما .

وأجازوه بالفتوىٰ والتدريس ، فدرَّس ، ولم يُفتِ تورُّعاً .

وله حالٌ عظيم مع الله تعالىٰ في سرِّه ، وصيامٌ ، وقيامُ ليلٍ ، يتعاطىٰ حوائجه من السوق ، ويحملُها بنفسه ، ولا يُمكِّن أحداً يحملها عنه علىٰ طريق السلف الصالح .

وله ضبطٌ عظيم لجوارحه حتىٰ لا يكادُ كاتبُ الشمال يجدُ شيئاً يكتبه عليه .

وله شعرةٌ تضربُ إلىٰ شحمة أذنيه ؛ اتِّباعاً للسنة المحمدية .

قلت : ورأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرني بمطالعة كلام الإمام مالك لأجله ؛ وذلك أنَّ شخصاً وردَ عليه زائراً ، فقال له : اقرؤوا لنا الفاتحةَ لمَّا أرادَ الانصراف ، فقال له الشيخ عبد الرحمـٰن : هـٰذا لم يرد فيه شيءٌ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فلما أَعلمني الشخص بقوله قلت : الأمرُ سهلٌ في ذلك ، لو أنه قرأ لك الفاتحةَ لا يؤاخذه اللهُ تعالىٰ علىٰ ذلك ، فرأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقال

---

(١) انظر « شجرة النور الزكية » (ص ٢٨٠) برقم (١٠٥٢) ، والتاجوري : نسبة إلىٰ تاجور : بلدة بالمغرب .

(٢) في (ج) وحدها : (عشر سنين) بدل (عشرين سنة) .

لي : عليك بالاطلاع على أقوالِ إمام دار هجرتي والوقوف عندها ؛ فإنه شهد آثاري . انتهىٰ .

فعلمتُ أن توقُّفَ الشيخ عبد الرحمـٰن عن القراءة ؛ لعدمِ ورود شيء فيها أفضل من الابتداع ، ولو استحسنه العلماءُ .

وعلمتُ أنَّ الإمام مالك رضي الله تعالىٰ عنه من أشدِّ الناسِ اتِّباعاً للسنة المحمدية ؛ فلذلك طالعتُ « المدونة الكبرىٰ » و« الموطأ » ، وحررتُ منهما المسائل التي اختصَّ بها الإمام مالك عن الأئمة لأقفَ عندها ؛ عملاً بإشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت هـٰذه الرؤيةُ كالكرامة للشيخ عبد الرحمـٰن ؛ لأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نصرَهُ عليَّ ، فأسألُ الله من فضله أن ينفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة ، آمين آمين آمين[(١)]

ومنهم :

(٧٣) الأخُ الصالح ، العالم العلامة ، الورعُ الزاهد
الشيخ عبد القادر المرشدي رضي الله تعالىٰ عنه[(٢)]

صحبته سنين عديدة ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه ، ورأيتُهُ علىٰ قدمٍ عظيمٍ في الزهد والورع ، وهضمِ النفس ، حتىٰ كأنه ترابٌ مع ما هو عليه من حُسن الخلق ، والكرم ، وحفظ الجوارح ، وحلاوة المنطق .

أخذ العلوم الشرعية وتوابعها عن عدَّةِ مشايخ ؛ منهم : الشيخ العلامة المُجمعُ علىٰ جلالته وورعه وزهده وعلمه الشيخ ناصرُ الدين اللقاني ، فاشتغلَ عليه حتىٰ تبحَّر في العلوم ، وأجازه بالإفتاء والتدريس ، فدرَّس وأفتىٰ في حياة مشايخه .

وكان الشيخ ناصر الدين اللقاني رضي الله عنه يُرسل له الأسئلةَ ، فيُجيب عنها بأحسنِ جوابٍ .

---

(١) في هامش (ب) : (قلت : توفي الشيخ عبد الرحمـٰن بن محمد بن أحمد التاجوري المالكي صاحب الترجمة بالقاهرة حادي عشر محرم سنة اثنين وستين وتسع مئة . انتهىٰ عثمان) .

(٢) انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ١٦٩)

وهو علىٰ قدمٍ عظيم في احتمال الأذىٰ ممن آذاه ، لا يُقابلُ أحداً من أعدائه بسوءٍ أبداً ، بل يصبرُ ويدعو له بالمغفرة .

وما رأيتُه قطُّ زاحمَ علىٰ شيءٍ من وظائف العلماء ، ولا تردَّدَ لأحدٍ من أبناء الدنيا ، وإذا جالسَهُ أحدٌ لا يكادُ يُفارِقُهُ من حسن خُلقه ، وهضم نفسه .

وجليسُهُ في راحةٍ منه لا يكادُ جليسُه يسمعُ منه كلمةً واحدة في حقِّ أحدٍ من المسلمين ، وقلَّ مجلسٌ الآن يسلمُ من ذلك

وله قيامٌ عظيم بالليل ، وصيامٌ كثير بالنهار .

لم يزلْ مُكبّاً على الاشتغال بالعلم والعمل وتعليمه من منذ دخلَ إلى الجامع الأزهر ، لم يلتفتْ إلىٰ شيءٍ من شهوات الدنيا ؛ من مأكلٍ ، أو ملبس ، أو منكح ، أو مسكن ، قد رضي من الدنيا بأقلِّ القليل ، يحبُّ الخمولَ ، ويكرَهُ الشهرةَ ، يقنعُ بالكسرة اليابسة ، ويشكرُ اللهَ تعالىٰ عليها ، ولا يرىٰ نفسَهُ يستحقُّها .

لم يزل بمعزلٍ عما أقرانُهُ فيه من شدَّة الحسد لبعضهم بعضاً ؛ ولذلك رفعه الله تعالىٰ علىٰ أقرانِهِ ، وجعل الناسَ يقفون عند قولِهِ .

وأوصافه الحسنةُ الجميلة تجلُّ عن تصنيفي ، فأسأل اللهَ تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله وإحسانه ، آمين .

ومنهم :

(٧٤) الشيخُ الصالحُ ، العالم الزاهد ، المُجمعُ علىٰ جلالته وعلمه ودينه ، وضبط جوارحه ، وخوفه وخشيته لله تعالىٰ الشيخ زين العابدين الجيزي رضي الله تعالىٰ عنه(١)

صحبته نحو عشر سنين إلى الآن ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه ، بل نشأ في أدبٍ وعلمٍ وعبادة وخيرٍ .

وأخذ العلومَ عن جماعةٍ ؛ منهم : الشيخ العلامة المحقِّق الشيخ ناصر الدين

(١) انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ١٩٥) .

اللقاني ، فاشتغل عليه حتىٰ تبحَّرَ في علوم الشريعة ، وأجازه بالإفتاء والتدريس ، وكان يُرسلُ له الأسئلةَ المُشكلة فيجيب عنها في حياة شيخه ، فيفرحُ شيخُهُ بها

صحبتُهُ في حياة شيخه ، وما سمعتُهُ قط يذكرُ أحداً من أقرانه الذين يحسدونه بسوءٍ ، بل يُبجِّلُهم ويُكرمهم في غيبتهم وحضورهم ، ولا يُؤاخذُ أحداً منهم علىٰ ما وقعَ منه في حقِّه ، بل هو كثيرُ الاحتمال للأذىٰ بطيبةِ نفسٍ .

وما رأيتهُ قطُّ زاحمَ علىٰ شيءٍ فيه رئاسة ، ولا تردَّدَ إلىٰ أحدٍ من الأكابر وعرضوا عليه عدَّةَ وظائف ، فأبىٰ أن يقبلَها .

وقنع من الدنيا بالكسرةِ اليابسة ، والثيابِ الدون مع كثرة تواضعه ، وحسن خُلُقه ، وبشاشته ، وحلاوة منطقه ، يقول جليسُهُ : ما رأيتُ أحسنَ خُلقاً منه ، ولا أكثرَ تواضعاً ، كأنَّ الله تعالىٰ قد محق من نفسِهِ كلَّ خُلقٍ رديء ، وأبدلَهُ به خُلقاً حسناً .

ولولا أني أعرفُ منه محبةَ الخمول ، وكراهته للشهرة لأبديتُ لأهل عصره من أخلاقه ما يبهر العقول ، ولـٰكنَّها سوف تظهرُ لهم في الآخرة ، فأسألُ اللهَ تعالىٰ أن يفسحَ في أجله للمسلمين ، وأن ينفعنا ببركاته وبركات علومه في الدنيا والآخرة ، آمين آمين آمين[١]

ومنهم :

(٧٥) الشيخُ الإمامُ ، العالم العلامةُ ، الأخُ الصالح ، الورع الزاهدُ الشيخ فتح الدين الدَّمِيْري رضي الله تعالىٰ عنه[٢]

صحبتُهُ نحو [خمس عشرة] سنة[٣] ، فما رأيتُهُ زاغَ عن الشريعة في شيء من أحواله ، بل هو خائفٌ من الله تعالىٰ ، كثيرُ الحياء منه ، كثيرُ المراقبة له ، ما اجتمعتُ

---

(١) في هامش (ب) : (قلت : توفي صاحب الترجمة زين بن أحمد بن موسى الجيزي المالكي منصرفه من الحج بعد زيارة القبر الشريف في المحرم سنة تسع وسبعين وتسع مئة . انتهىٰ عثمان)

(٢) انظر « الخطط التوفيقية » (١١/ ١٥٠) .

(٣) في النسخ : (خمسة عشر سنة) .

به قطُّ إلا وحصلَ لي منه مددٌ بمجرَّد رؤية وجهِهِ المكرم .

وتولَّى القضاءَ مدَّةً ، ثم عزلَ نفسه بحيلةٍ ، فطلبوه أن يتولَّى القضاء فأبىٰ ، وأقبلَ على العلم والعمل ، والتأهُّبِ للدار الآخرة .

وله قيامٌ عظيم في الليل ، وبكاءٌ ، وتضرُّع ، وابتهالٌ ، ومراقبة لله تعالىٰ .

أخذ العلومَ الشرعية وتوابعَها عن جماعاتٍ ، وأجازوه بالإفتاء والتدريس في جامع الأزهر وغيره ؛ كشيخ الإسلام الشيخ شمس الدين اللقاني ، وأخيه الكامل المحقق الشيخ ناصر الدين ، والشيخ نور الدين البحيري ، والشيخ شمس الدين التتائي شارح « المختصر » وشيخ الإسلام يحيى الدَّميري ، والشيخ أبي الفضل المحلي ، وغيرهم ، وأطلعني علىٰ خطوطهم بإجازتهم له ، رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين .

وصحب جماعةً من الصوفية ، وأخذ عنهم الطريقَ ؛ كالشيخ محمد الشناوي شيخِنا ، والشيخ عبد الحليم بن مصلح ، والشيخ أبي السعود الجارحي رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين .

وأقبلوا عليه إقبالاً عظيماً ، وأحبُّوه ، وحصل له منهم مددٌ كثير ، فأسأل الله تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله ، وأن يحشرنا في زمرته مع العلماء العاملين ، آمين اللهم آمين .

ومنهم :

(٧٦) الأخ الصالحُ ، الورع الزاهدُ ، الخاشع الناسك الشيخ محمد البنوفري رضي الله تعالىٰ عنه[١]

صحبته سنين عديدة ، فرأيتُه علىٰ قدمٍ عظيم في هضم النفس ، وكثرة التواضع ، والتورُّعِ في اللقمة ، لا يأكلُ لأحدٍ طعاماً إلا إن علمَ منه كثرةَ الورع في كسبه .

وله تهجُّدٌ عظيم في الليل ، وحالٌ مع الله عز وجل

وكان أخي العالمُ الصالح الشيخُ عبدُ الرحمـٰن الأجهوري يحبُّهُ ويُبالغ في محبَّته وفي

---

(١) انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ٨٢) ، والبنوفري : نسبة إلىٰ بنوفر من البلاد القديمة ، بمركز كفر الزيَّات . « قاموس رمزي » (٢/ ٢/ ١٢٤) .

الثناء عليه ، ويصفُهُ بالزهد والورع ، والخوف من الله تعالىٰ عز وجل .

أخذ العلمَ عن جماعةٍ من العلماء ؛ كالشيخ ناصر الدين اللقاني ، والشيخ عبد الرحمـٰن الأجهوري ، والشيخ فتح الدين الدَّميري ، والشيخ نور الدين الديلمي ، وجماعة ، فأحبُّوه ، وأثنوا عليه ، وأجازوه بالإفتاء والتدريس .

ولم يزل مكبّاً على الاشتغالِ بالعلم والعمل غيرَ ملتفتٍ إلىٰ شيءٍ من أمور الدنيا ، طارحاً للتكلُّفِ ، محبّاً للخمول ، كارهاً للشهرة ، يلبسُ ما وجد ، ويأكلُ ما وجد ، بالنظر إلى القلَّة والرداءة[١] ، لا يكادُ يعرفُهُ أحدٌ أنه من العلماء .

وسمعته يقول مراتٍ : واللهِ ؛ ما أرىٰ جميعَ ما تعلَّمتُهُ من العلم إلا حجَّةً عليَّ يوم القيامة ؛ لعدم العمل به ، والإخلاص فيه .

وما سمعتُهُ قطُّ يذكر أحداً بغيبةٍ ، لا عدوّاً ولا صديقاً .

فأسأل الله أن يزيدَه من فضله ، آمين اللهم آمين ، وينفعنا ببركاته[٢]

ومنهم :

(٧٧) الأخ الإمامُ ، الصالح العابدُ ، الزاهد
الشيخ غنيم شيخُ قبة السُّلطان الغُوري رضي الله تعالىٰ عنه[٣]

صحبته سنين ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه .

ونشأ علىٰ علمٍ وعملٍ ، وديانة وخير ، وكفِّ جوارحٍ عن المخالفات .

وما سمعته قطُّ يحسدُ أحداً من المسلمين علىٰ شيء من الدنيا ولا يستغيبه .

وله تهجُّدٌ عظيم في الليل ، بحيث لا يراه أحدٌ إلا مصادفةً .

---

(١) في (هـ ، و) : (اللقمة) بدل (القلة)

(٢) وقع في هامش (ب) : (قلت : توفي صاحب الترجمة الشيخ محمد البنوفري المالكي يوم الأربعاء سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وتسع مئة بمصر . انتهىٰ عثمان) .

(٣) وقعت ترجمة (الشيخ غنيم) في (ب ، ج ، د) : بعد ترجمة (نور الدين الطحلاوي) ، والمثبت موافق لـ (أ ، هـ ، و) ، و« الكواكب السائرة » (٣/ ١٩٨) .

فأسألُ الله تعالىٰ أن يزيدَه من فضله علماً وعملاً ، وديناً وزهداً وصلاحاً ، آمين اللهم آمين .

ومنهم :

(٧٨) الأخُ الصالح ، العالمُ العلامة ، الورعُ الزاهد الشيخ نورُ الدين الطحلاوي رضي الله تعالىٰ عنه(١)

صحبته عدَّةَ سنين إلى الآن ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه .

ونشأ في علمٍ وأدب ، ونسكٍ وعبادة

وأخذ العلمَ عن جماعةٍ ؛ منهم الشيخ ناصر الدين اللقاني ، والشيخ فتح الدين الدَّميري .

وأجازوه بالإفتاء والتدريس ، فأفتىٰ ودرَّس ، وانتفع به خلائقُ .

ولولا أعلمُ منه كراهةَ الشهرة لأظهرت من محاسنه عجباً

فأسألُ اللهَ تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله ، آمين .

ومنهم :

(٧٩) الشيخ الصالح ، العالم العاملُ بعلمه ، الخائفُ الوجل من الله عز وجل الشيخ ناصر الدين الصعيدي رضي الله تعالىٰ عنه

صحبته صحبةً برزخية قلبية ، فرأيته علىٰ قدمٍ عظيم في الإيمان والخشية ، والخوف من أهوال يوم القيامة .

وله تهجُّدٌ عظيمٌ بالليل ، لا يكادُ يغيبُ عن شيءٍ من المواكب الإلـٰهية من حين ينصبُ إلىٰ أن يطلعَ الفجر .

أخذ رضي الله تعالىٰ عنه العلمَ عن جماعةٍ ؛ منهم : الشيخ ناصر الدين اللقاني ، والشيخ عبد الرحمـٰن الأجهوري .

---

(١) انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ١٩٥) .

وأجازه أشياخُهُ بالإفتاء والتدريس ، فأفتىٰ ودرَّس في حياة أشياخه ، وانتفع به خلائق .

وما رأيتُه قطُّ يُزاحمُ علىٰ شيءٍ من أمور الدنيا ، ولم يتردَّد إلىٰ بيوت أحدٍ من الظلمة وأعوانهم ، بل لم يزل مكبّاً على الاشتغال بالعلم والعمل ، محبّاً للخمول ، كارهاً للشهرة ، فأسأل الله تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله ، ويفسحَ في أجله للمسلمين ، آمين آمين آمين .

وقد ذكرنا مناقبَ رفقته المالكية في كتاب « المآثر والمفاخر » ، فراجعه .

* * *

وأما أصحابنا من علماء مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنهم :

فمنهم :

(٨٠) الشيخ الإمام ، العالم الصالحُ المجمعُ علىٰ جلالته ، بقيةُ السلف الصالح الشيخ ناصرُ الدين الطبلاوي رضي الله تعالىٰ عنه(١)

صحبته نحو خمسين سنة فما رأيتُ في أقرانه أكثرَ عبادةً لله تعالىٰ منه ، لا تكادُ تراه إلا في عبادةٍ ؛ إما يقرأُ القرآن ، وإما يُصلي ، وإما يُعلِّمُ الناس العلم .

وانتهت إليه الرئاسةُ في سائر العلوم بعد موت أقرانه .

ولما دخلتُ مصرَ سنة إحدىٰ عشرة وتسع مئة وكان رضي الله تعالىٰ عنه مشهوراً في مصر بكثرة رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عليه الخلائق إقبالاً كثيراً بسبب ذلك ، فأشار عليه بعضُ الأولياء بإخفاء ذلك ، فأخفاه .

وليس في مصر الآن أحدٌ يُقرئ في سائر العلوم الشرعية وآلاتها إلا هو فقط ، وأما غيرُه فيدرِّس في بعضها دون بعض ، وقد عدُّوا ذلك من جملة كراماته ؛ فإنه من المتبحِّرين في علم التفسير ، والقراءات ، والفقه ، والحديث ، والأصول ، والمعاني ، والبيان ، والحساب ، والمنطق ، وعلم الكلام ، وعلم التصوف ، وله الباع الطويلُ في كلِّ هـٰذه العلوم .

وما رأيت أحداً في مصر أحفظَ لنقولات هـٰذه العلوم منه ، فكأنها كلَّها نصب عينه ، وشرح « البهجة الوردية » شرحين ، ما وُضِع عليها مثلهما ، جمع فيهما ما في « شرح البهجة » لشيخ الإسلام ، وزاد عليها ما في « شرح الروض » وغيره .

وولي تدريس الخشابية ، وهي من أجلِّ تدريسٍ في مصر ، يجتمع في درسِهِ غالبُ طلبة العلم بمصر .

---

(١) انظر « الكواكب السائرة » (٢/٣٣) ، و« شذرات الذهب » (١٠/٥٠٦) ، و« معجم المؤلفين » : (محمد بن سالم) .

وشهد له الخلائقُ بأنه أَعلمُ من جميع أقرانه ، وأكثرُهم تواضعاً ، وأحسنُهم خُلقاً ، وأكرمُهم نفساً ، لا يكاد أحدٌ أن يُغضبه ؛ لما هو عليه من التمكين .

وإذا حضر وليمةً يجلسُ بجانب النعال ، فيكون هو صدرَ المجلس .

وله صدقاتٌ كثيرةٌ في الليل والنهار ، لا يكادُ أحدٌ يطَّلعُ عليها ؛ لكثرةِ إخفائه لها ، ولا يكادُ يبيتُ علىٰ دينار ولا درهم ، مع كثرة دخله تبعاً لشيخه الشيخ زكريا الأنصاري رضي الله تعالىٰ عنه .

وقد عاشرته مدَّةَ عشرين سنة أطالعُ أنا وإياه علىٰ شيخ الإسلام المذكور ، فكنتُ أطالع من طلوع الشمس إلى الظهر ، ويُطالعُ هو من الظهر إلىٰ غروب الشمس ، فما كنتُ أظنُّ أنَّ أحداً في مصر أكرم مني جليساً[1] ، فكنتُ إن نظرتُ إلىٰ وجه شيخ الإسلام سررتُ ، وإن نظرتُ إلىٰ وجه الشيخ ناصر الدين سررت .

وكان النهار الطويل يمضي كأنَّه لحظةٌ من حُسن أدبه وأدب شيخه ، ومن حلاوة منطقهما ، وكثرة فوائدهما ، لا سيما في علم التأليف والوضع ، وضمِّ الشكل إلىٰ شكله ، وتوطئة الألفاظ

وبالجملة : فأوصافه الجميلة تجلُّ عن تأليفي وتصنيفي كما يعرف ذلك من كشف اللهُ تعالىٰ عن بصيرته في هضم نفسه ، حتىٰ كأنَّ الله تعالىٰ لم يجعل في باطنه شيئاً من الأمراض الباطنة ، ولا من الظاهرة شيئاً من الأفعال الرديئة ؛ فإني ما سمعته قط يحسدُ أحداً من أقرانه ، ولا يستغيب أحداً منهم ، ولا رأيته قطُّ يتكبَّرُ علىٰ أحدٍ من المسلمين ، بل يرىٰ نفسَهُ أحقرَ خلق الله عز وجل ، يقبِّلُ يدَ الكبير ويد الصغير ، ويطلبُ الدعاءَ منهم .

وما زارني قطُّ وزرته إلا قال : ضعْ يدَكَ علىٰ قلبي ، لعلَّ اللهَ أن يطهِّرَهُ من الأدناس ، الناسُ كلُّهم صالحون ، لا يكادُ يشهد في أحدٍ سوءاً أبداً .

ولما افترىٰ عليَّ بعضُ الحسدة في جامع الأزهر : أنني ادعيت مقامَ الاجتهاد المطلق ، وثارت فتنةٌ عظيمة قال رضي الله تعالىٰ عنه : إن ثبت ذلك عن عبد الوهاب

(١) في (ب ، ج ، د) : (أكثر مني جلوساً) .

فأنا أولُ من يُقلِّده ويعمل بمذهبه ، وهـٰذا تواضعٌ عظيم ما سمعتُهُ من أحدٍ من أهل عصري ؛ فإنَّ الأشياخَ أجمعوا علىٰ أن أعلىٰ مقامٍ في تواضع طلب العلم أن تسمح نفسهُ علىٰ أن يقرأ العلمَ علىٰ أحدٍ من أقرانه ، فكيف بمن سمحت نفسه علىٰ أن يقرأ علىٰ شخص من طلبة أقرانه . انتهىٰ .

فأسأل الله تعالىٰ أن يفسحَ في أجله ، وينفعنا والمسلمين ببركاته وبركات علومه في الدنيا والآخرة ، آمين اللهم آمين[١]

ومنهم :

(٨١) الشيخُ الإمام ، الكامل الراسخ في العلوم الشرعية والمعقولات ، الشيخ الصالح الورع الزاهد الشيخ عبدُ الحميد السمهودي رضي الله تعالىٰ عنه[٢]

صحبته نيِّفاً وأربعين سنة فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه ، بل نشأ على العلم ، والأدب ، والعبادة ، والفتوَّة ، والكرم ، وحُسن الخُلق .

وما رأينا في أقرانه أعفَّ منه ، ولا أعزَّ نفساً ، لا تراه يذلُّ لأحدٍ من الولاة ، ولا يُزاحمُ علىٰ شيءٍ من الدنيا .

ومكث مدةً طويلةً يتَّجرُ ويأكلُ من كسبه ، ويطعمُ فاضلَ كسبه للأصحاب والمتردِّدين .

وتاجر في طبخ السكر مدَّةً ، ثم تركَ ذلك ، وأقبل على العلم والعبادة والقناعة وملازمة بيته إلىٰ وقتنا هـٰذا ، فلا يكادُ يخرجُ من بيته إلا لضرورةٍ شرعية .

أخذَ رضي الله تعالىٰ عنه العلومَ عن جماعةٍ من مشايخ الإسلام ؛ كسيدي الشيخ نور الدين المحلي ، والشيخ برهان الدين بن أبي شريف ، والشيخ عبدِ الحقِّ السنباطي ،

---

(١) وقع في هامش (ب) : (قلت : توفي صاحب الترجمة ناصر الدين الطبلاوي الشافعي في شهر ربيع الأول سنة ست وستين وتسع مئة بمصر . انتهىٰ عثمان) .

(٢) في (ج ، د) : (عبد المجيد) بدل (عبد الحميد) ، وتقدمت ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٥٧) (٥٦٨) .

والشيخ ملا علي العجمي ، والشيخ كمال الدين الطويل .

وتبحَّر في العلوم ، وأجازه أشياخُهُ بالإفتاء والتدريس من نحو خمسين سنة .

وما رأيتُه قط يسيءُ الظنَّ بأحدٍ من المسلمين ، ولا يحسدُ أحداً منهم علىٰ مالٍ[1] أو إقبالٍ من الخلق ، بل هو حافظٌ للسانه عن ذكر أحدٍ بسوءٍ بغير حقٍّ .

جميلُ المعاشرة ، مهيبُ المنظر ، يُطعم الطعامَ لكلِّ واردٍ عليه ، ولا يدَّخرُ عن ضيفه شيئاً من لطائف الطعام[2] ، كثيرُ العفو والصفح عن كلِّ من جنىٰ عليه ، لا يجزي بالسيئة السيئة ، ولـٰكن يعفو ويصفح .

لم يزل نورُ العلم طافحاً من ذلك الوجه النيِّرِ واللحية النيِّرةِ البيضاء ، ورأيته مرةً في العمر .

ولو أخذتُ أذكر أوصافَه الجميلة لضاق عنها الدفاترُ ، فأسألُ اللهَ تعالىٰ من فضله أن يزيدَه من فضله ، وأن يَحشرنا في زمرته ، آمين اللهم آمين .

ومنهم :

(٨٢) الشيخ الإمامُ ، العالمُ العلامة ، ذو الأخلاق الحسنة والأوصاف الجميلة ، والأخلاق المحمدية والشيم المرضية الشيخ نجمُ الدين الغيطي رضي الله تعالىٰ عنه[3]

صحبته نيفاً وأربعين سنة[4] إلى الآن ، فما رأيتُ وما وقعَ بصري علىٰ شيء يشينه في دينه ، بل نشأَ في عفَّةٍ وعلمٍ وأدب ، وحياءٍ وكرم نفس ، وحسن أخلاق .

أخذ العلمَ عن جماعة من مشايخ الإسلام ؛ كالشيخ زكريا الأنصاري ، والشيخ

---

(١) في (هـ ، و) : (حال) بدل (مال) .

(٢) في (أ) : (أطيب) ، وفي (ب) : (أطايب) بدل (لطائف) .

(٣) انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ٥١) ، و« شذرات الذهب » (١٠/ ٥٩٥) وفيات (٩٨٤هـ) ، و« الأعلام » (٦/ ٦) ، و« معجم المؤلفين » (٣/ ٨٣) (محمد بن أحمد) .

(٤) في (ج) وحدها : (صحبته إحدىٰ وأربعين سنة) .

برهان الدين بن أبي شريف ، والشيخ عبد الحقِّ السنباطي ، والشيخ كمال الدين الطويل ، والشيخ شهاب الدين الرملي ، رضي الله تعالىٰ عنهم .

وأجازوه بالإفتاء والتدريس ، فدرَّس وأفتىٰ في حياة أشياخه بإذنهم .

وألقى الله تعالىٰ محبَّتَهُ في قلوب الخلائق ، فلا يكرهُهُ إلا محرومٌ أو منافق .

وانتهت إليه الرئاسة في علم التفسير والحديث والتصوف .

ولم يزل أمَّاراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، يواجه بذلك الأمراءَ والأكابر ، لا يخافُ في الله لومة لائم .

ولما وقعت فتنةُ أخذِ وظائف الناس بغير حقٍّ من بعض المفتشين انتُدب لها[1] ، وواجه الباشات والأمراء بكلامٍ لا يقدرُ أحدٌ من أقرانه أن يتلفَّظَ به ، وكان خمودُ الفتنة علىٰ يديه ، ووصل خبرُهُ إلى الروم ، والحجاز ، والشام ، وشكره المسلمون علىٰ ذلك .

وتولَّىٰ مشيخةَ الصلاحية بجوار الإمام الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه ، ومشيخة الخانقاه السرياقوسية ، وهما من أجلِّ وظائف مشايخ الإسلام من غير سؤال منه ، وأجمع أهلُ مصر علىٰ جلالته .

وما رأيته قطُّ يغتابُ أحداً من أقرانه ولا غيرهم

وآذاه بعضُ الناس أشدَّ الأذىٰ ، فلم يقابله بكلمةٍ واحدة ، فازداد بذلك هيبةً ومحبَّةً في قلوب الناس ، وازداد عدوُّه غضباً ومقتاً وطرداً وكراهة .

وكتب رضي الله تعالىٰ عنه علىٰ بعض مؤلفاتي كتابةً حسنةً لم يسبق إليه أحد ؛ لأن هـٰذا المؤلف جمعتُ فيه نحوَ ثلاثة آلاف علم[2] ، إذا سمعَهُ العالمُ أنكرَهُ ، ولا يكاد يصدِّق بتلك العلوم إلا إن رآه .

وما رأيتُ في أقرانه أكثرَ تواضعاً منه ، وما رأيتُ أحداً من أولياء مصر إلا وهو يحبُّهُ ويجلُّه ، لا سيما الشيخ نور الدين الشوني ؛ لأنَّ والده كان من أجلِّ أصحاب الشيخ نور الدين[3]

---

(١) في (هـ ، و) : (المفتيين) بدل (المفتشين) .

(٢) هو كتاب: «أسماء علوم القرآن» ، وسيأتي ذكره (٥/ ١٥٢) .

(٣) في (هـ ، و) : (لأنه كان) بدل (لأن والده كان) .

وله تهجُّدٌ عظيم في الليل ، وبكاء وتضرُّعٌ وخشية من الله عز وجل ، حتىٰ إنه يُصبحُ في بعض الليالي ووجهُهُ يضيءُ كالكوكب الدُّرِّيّ ، يدركُ ذلك مَنْ في قلبه نورٌ ، ولا يجهلُه إلا عدوٌّ أو حاسدٌ .

ولما افترىٰ عليَّ بعضُ الحسدة أنني ادعيتُ الاجتهاد المطلق ، وأن أتباعي كثرتْ في مصر ، وكتبوا بذلك قصةً إلىٰ باب السلطان ، وقالوا : إن لم تُخرجوا عبدَ الوهاب من مصر ، وإلا خيفَ على المملكة منه . . انتصر لي رضي الله تعالىٰ عنه ، وردَّ عنِّي الأعداء أشدَّ الردِّ ، وقال : أما وقوع الاجتهاد ممن يدَّعيه في كلِّ عصر فهو ممكنٌ ، لا يُنكره إلا جاهلٌ ؛ فإنَّ من شرطِ القاضي أن يكون مجتهداً ، وما شرط العلماء ذلك إلا لإمكانه في كل عصرٍ ، وأما كثرةُ أتباعه فلم تزلِ الفقراء لهم خلائقُ يعتقدونهم ، وأما خشيةُ المنازعة للمملكة فالحسُّ يُكذِّب هـٰؤلاء الحسدة ؛ لأنَّ الرجلَ لا يمشي في السوق إلا وحده ، وهو زاهدٌ في الدنيا ، تُعرضُ عليه فيردُّها ، فكيف يُتصوَّرُ منه مزاحمةٌ عليها ؟! وأجاب عنِّي بنحو خمسين جواباً .

ثم إنَّ الذي حمل القصةَ إلىٰ باب السلطان حصلَ له استسقاءٌ ، ثم فالج ، فمات به ، وتمزَّق كيدُ الحسدة كلَّ ممزقٍ ببركة الشيخ نجم الدين رضي الله تعالىٰ عنه ، فجزاه الله تعالىٰ عني وعن المسلمين خيراً ، وزاده علماً وعملاً ، وزهداً وورعاً وصلاحاً ، ولا زال في زيادة حتىٰ يلقىٰ ربَّهُ وهو عنه راضٍ ، آمين اللهم آمين ، ونفعنا به والمسلمين[1]

---

(١) جاء في النسخ ما عدا (أ) خاتمة الترجمة : (وكانت وفاةُ الشيخ نجم الدين المذكور نهار الأربعاء سابع عشر صفر الخير سنة إحدىٰ وثمانين وتسع مئة) ، وجاء في هامش (أ) : (قلت : ورأيت بخط بعض العصريين وفاة صاحب الترجمة في سنة اثنين وثمانين وتسع مئة فلتعتمد . انتهىٰ عثمان)
ولا يخفىٰ على القارئ أن هـٰذه الزيادة من تلامذة الشعراني أو من النساخ ، لأن وفاة الشعراني كانت سنة (٩٧٣هـ) وذلك قبل وفاة الشيخ نجم الدين الغيطي رحمهما الله تعالىٰ .

ومنهم :

(٨٣) الأخُ الصالح ، العالم الزاهد ، العامل الكامل ، الراسخ المحقق الشيخ نور الدين الطندتائي رضي الله تعالىٰ عنه(١)

صحبته نحو سبعة وأربعين سنة ، فلم أرَ عليه قطُّ شيئاً يشينه في دينه ، وهو أولُ من صحبته بجامع الأزهر من أهله .

لم يزلْ من حين صحبته بحضرة الشيخ محمد الشناوي علىٰ تقوىٰ وورع واشتغال بالعلم والعمل ، يأمر إخوانه بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، لا يُداهن أحداً منهم .

أخذ الطريق عن سيدي عليٍّ المرصفي ، وعن الشيخ محمد الشناوي ، وغيرهما .

وأخذ العلم عن جماعة من مشايخ الإسلام ؛ كالشيخ ناصر الدين اللقاني ، والشيخ شهاب الدين الرملي حتىٰ تبحَّر في علوم الشريعة .

وأجازوه بالإفتاء والتدريس ، فدرَّس وأفتىٰ في جامع الأزهر في حياةِ أشياخه ، وكانوا يُرسلون إليه الأسئلة ، فيُجيبُ عنها بأحسن جواب

وكان الشيخ شهابُ الدين الرملي يقول : تحقيقُ المسائلِ الواقعة في الدرس للشيخ نور الدين الطندتائي ، وجمعُ أشتاتِ المسائل للشيخ شمس الدين الخطيب الشربيني .

ورأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في حياة الشيخ نور الدين الشوني ، وشهد له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالتواضع ، وذلك أنني رأيتُ مقصورةَ الجامع الأزهر قد فُرشتْ كلُّها بالحرير الأخضر ، حتى الحيطان والعمد والسقف قد غلف بالحرير الأخضر ، ورأيت الشيخ نورَ الدين الشوني جالساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والشيخ نورَ الدين الطندتائي جالساً بجانب الشيخ نور الدين الشوني ، ورأيت الشيخ شهاب الدين البُلْقيني ، وجماعةَ مجلس الصلاة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في (أ ، و) : (الطندتاوي) ، وانظر « الكواكب السائرة » (٣/ ١٩٥) (الطندتا) ، و« الخطط التوفيقية » (١٣/ ١٤٣) (الطنتدائي) .

جالسين بعيداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال شخصٌ : يا رسول الله ، ما سببُ قرب هٰذا منك ولم يكنْ أكثرَهم صلاةً عليك ؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سببُ ذلك كثرةُ تواضعه ، وهضم نفسه(١) . انتهىٰ .

وكان شيخنا الشيخُ نور الدين الشوني رحمه الله تعالىٰ يحبُّ الشيخ نور الدين الطندتائي ويجلُّه ويكرمه أكثرَ من سائر أصحابه وأقرانه ، حتىٰ كأنه ولدُهُ البارُّ بوالديه .

وكان الشيخُ محمد الشناوي شيخُنا يحبُّهُ ويَصفُهُ بصفاءِ السريرة ، وعدم محبّة الدنيا ، ويقول : إن الشيخ نور الدين الطندتائي من أجلِّ أصحابنا وإخواننا ، وأكثرهم تواضعاً ، ويصفه بعدم الحسدِ والغِلِّ والحقد ، والكِبر والرياء والنفاق ، ويقول : كأنَّ الله تعالىٰ لم يخلق عنده شيئاً من أمراض الطريق .

ولما افترىٰ عليَّ بعضُ الحسدة أنني ادَّعيت الاجتهادَ المطلق لاث بي غالبُ أصحابي ، وتكلَّموا في عرضي إلا هو وبعض المتورِّعين من طلبة العلم .

وكذلك لمَّا دسَّ بعضُ الحسدة في مؤلفاتي كلماتٍ تُخالفُ ظاهرَ الكتابِ والسنة بادر غالبُ الناس إلى الكلام في عرضي إلا هو ، والشيخ شمس الدين الخطيب ، وبعض جماعة ، فجزاه الله تعالىٰ عني وعن المسلمين خيراً .

فلم يزل يحملُ الناسَ علىٰ أحسن المحامل ، ويقول إذا بلَّغوه عن أحدٍ كلاماً رديئاً : هٰذا كذبٌ علىٰ فلان ، وحاشا فلان أن ينطقَ بذلك .

وأعطاه محمد بن بغداد مالاً جزيلاً بحضرتي ، فلم يقبله ، فقلت له : فرِّقه على الأيتام ومحاويج الجامع سرّاً(٢) ، ففعل .

وما سمعتُهُ مدَّة صحبتي له يذكرُ أحداً من المسلمين بسوءٍ ، ولا يحسدُ أحداً من أقرانه علىٰ وظيفة حصلت له .

فأسألُ الله تعالىٰ أن يزيدَه من فضله ، آمين اللهم آمين .

---

(١) انظر الرؤيا التي سبقت (ص ١٠٩) .

(٢) في (أ) : (الجامع الأزهر) بدل (الجامع) ، وفي (هـ ، و) : (مجاوري) بدل (محاويج) .

ومنهم :

(٨٤) الأخ الصالح ، العابدُ الزاهد ، المقبلُ علىٰ عبادة ربِّه ليلاً ونهاراً الشيخ شمس الدين الخطيب الشربيني رضي الله تعالىٰ عنه[١]

صحبته نحو أربعين سنة ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه ، ولم أرَ في أقرانه مثلَهُ في حفظ جوارحه وغفلته عمَّا أقرانه فيه من السعي على الدنيا ووظائفها ، ومصانعة أهلها .

لم يزل مكبّاً على الاشتغال بالعلم والعمل به ، وتعليمه للناس ، لا تجدُهُ إلا في مطالعة علمٍ ، أو صلاة ، أو قراءة ، أو صامتاً يتفكَّر في أهوال يوم القيامة .

وله تهجُّدٌ في الليل ، وصيامٌ كثير في النهار .

ولم أسمعْهُ مدَّة صحبتي له يذكرُ أحداً من أقرانه بسوءٍ ، ولا يحسدُ أحداً منهم علىٰ ما آتاه الله تعالىٰ ؛ من علمٍ ، أو مالٍ ، أو إقبالٍ من الأكابر ، ولا غير ذلك من رعوناتِ النفوس .

وما رأيت في أقرانه أكثرَ اعتكافاً منه في رمضان وغيره ، ومن عادته : أن يدخل جامع الأزهر من أوَّلِ ليلةِ الصيام فلا يخرجُ من الجامع إلا بعد صلاة العيد .

وأخبرني ولده سيدي عبدُ الرحمـٰن أنه لا يتعشَّىٰ دائماً في رمضان إلا بعد صلاة التراويح ، فيأكلُ لقيماتٍ يسيرةً ، ويشرب ماءً يسيراً .

وحججتُ معه حجَّتين ، فما رأيتُ أحداً في أقرانه أكثر مشياً عن جماله منه ، فلا يركبُ إلا بعد تعبٍ شديد ، ويعزمُ عليه الجمَّالُ أن يركبَ فيأبىٰ رحمةً بالجمل .

ورأيت شخصاً سميناً من طلبة العلم اشتكىٰ جمَّالَهُ لأمير الحاج الذي قال له[٢] :

---

(١) واسمه : محمد بن أحمد . انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ٧٩) ، و« شذرات الذهب » (١٠/ ٥٦١) ، و« خطط مبارك » (١٢/ ١٢٧) ، و« الأعلام » (٦/ ٦) ، و« معجم المؤلفين » (٣/ ٦٩) .

(٢) قوله : (الذي) : نعت (للجمَّال) السابق الذكر .

امش عن الجمالِ شيئاً في الأرض الوعرة ، فبان الصدقُ بين الرجلين ، مع أنَّ هـٰذا السمينَ لا يعدُّ الشيخَ شمس الدين أنه يصلحُ أن يكونَ من طلبته .

ولم يزل من حينِ يخرج من بركة الحاج يُعلِّمُ الناسَ المناسك وأدبَ الطريق ، وكيفيةَ القصرِ والجمع ، ويحثُّهم على الصلاة .

وربما يعطي السائلَ عشاءَهُ ، ويطوي تلك الليلة .

وكان غالبُ سفر الحجِّ ومدَّةُ إقامته بمكة صائماً لا يُفطر في غالب لياليه ، يكتفي بشرب ماءِ زمزم ، ويُعطي عشاءَهُ للزيالع .

وما رأيتُ أكثرَ تلاوةً للقرآن منه ، ولا أكثرَ طوافاً مدَّة إقامته بمكة ، وطلبتُ يوماً أن أساويَهُ فلم أقدرْ علىٰ ذلك .

وأما خشوعُهُ وتدبُّره في القرآن فغريبٌ في أهل مصر ، وكذلك حبُّهُ الخمولَ ، وعدمَ الشهرة مدة إقامته بمكة ، لا يكادُ أحدٌ يعرفه ؛ لأنه يُحرمُ مفرداً ، ويجلس بين الفقراء الذين لا يعبأ بهم ، فلا يكادُ أحدٌ يعرفُهُ إلا بجهدٍ ، وغالب من يحجُّ من طلبة العلم ربما يكون بالضدِّ من ذلك ، فيودُّ أنَّ أهلَ مكة يعرفونَهُ ، ويُبدي لهم العلوم الغريبة ، ويجدُ في نفسه حلاوةً من ذلك ، وبعضُهم يخرجُ ممقوتاً من مكة ؛ لريائه ونفاقه في حضرة الله تعالى الخاصة .

وقد رأيتُ من يدَّعي العلم[1] يصرِّح في مكة بأنه أعلمُ مَنْ في مصر والشام والروم .

وبلغه أن الشريف أبا نُمي عزمَ علىٰ زيارتي ، فلم يزل يتوصلُ إليه حتىٰ تركَ زيارتي ؛ خوفاً أن يميلَ عنه إليَّ لكثرة نصبي وحيلي ، فضحكتُ من ذلك ؛ فإن من قواعد طريقنا أني لا أُمكِّن أحداً من الأكابر أن يأتي إليَّ ، وإنْ علمت عزمَهُ علىٰ زيارتي ذهبت إليه أنا ، والحمد لله رب العالمين .

أخذ الشيخ شمسُ الدين رضي الله تعالىٰ عنه العلمَ عن جماعةٍ من علماء مصر ؛ كالشيخ ناصر الدين اللقاني ، والشيخ جمال الدين الصاني ، والشيخ ناصر الدين الطبلاوي ، والشيخ شهاب الدين الرملي ، وتبحَّر في العلوم علىٰ يدهم .

---

(١) في (د ، هـ ، و) : (الصلاح) بدل (العلم) .

وأجازوه بالإفتاء والتدريس ، فدرَّس وأفتىٰ في حياة أشياخه ، وانتفع به خلائقُ لا يحصون .

وأجمع أهلُ مصر علىٰ دينه وصلاحه ، ووصفوه بالعلم والعمل ، والزهد والورع ، وكثرةِ التنسك والعبادة .

وشرح كتاب « المنهاج » ، وكتاب « التنبيه » شرحين عظيمين جمع فيهما تحريرات أشياخه ، بعد الشيخ زكريا ، وأقبل الخلائقُ علىٰ كتابتهما وقراءتهما عليه .

وما رأيتُهُ قطُّ يسعىٰ علىٰ شيءٍ من أمور الدنيا ، ولا علىٰ شيءٍ فيه رئاسة ، ولا يزاحمُ أحداً علىٰ صحبة أحدٍ من الولاة والقضاة ، بل ربما لم يعرف أحداً منهم .

وتفضَّل عليَّ بزيارتي ما لا أُحصي له عدداً ، وعجزتُ عن مكافأته ، وعلمتُ أنَّ الله تعالىٰ أراد أن يكون له الفضلُ عليَّ ، وما رأيتُ أخفَّ زيارةً منه ، ولا أكثر أدباً ، وما دقَّ عليَّ البابَ قطُّ ، بل يقفُ على الباب ساعةً ، فإن لم يفتحْ له أحدٌ رجع وقرأ الفاتحة مُنشرحاً غيرَ متأثرٍ من ذلك ، وقَلَّ أن يقع مثلُ ذلك من طلبة العلم ، بل يدقُّ بعضُهم عليَّ الباب ، فإن لم يُجبه أحدٌ سبَّ ولا خلَّىٰ ولا بقَّىٰ ، وحملني علىٰ أسوأ المحامل وأشرِّها ، وربما دخل عليَّ هجماً ، ويرىٰ له الفضلَ عليَّ ، فما يخرجُ من عندي حتىٰ أصير كأنني شربتُ رطلاً من السمِّ ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم . انتهىٰ .

وقد باسطتُ الشيخَ شمسَ الدين الخطيب يوماً ، فقلت له : يا سيدي ؛ كيف تجيءُ لمثلي فلا يُفتحُ لك ، ولا تتكدَّرُ ؟! فقال : قال الله تعالىٰ : ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾ [النور : ٢٨] كيف أتغيَّرُ من حصوله لي ؟! فقلت : جزاك اللهُ تعالىٰ عن إخوانك خيراً .

وبالجملة : فأوصافُه الحسنةُ تجلُّ عن تصنيفي ، فأسألُ الله تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله ، ويحشرنا في زمرته مع العلماء العاملين ، آمين اللهم آمين .

ومنهم :

(٨٥) الشيخُ الإمام ، الصالح العالمُ ، الورع الزاهد الشيخ أبو البقاء بن جُبَيْلات القاضي بجامع الصالح رضي الله تعالىٰ عنه(١)

صحبته نحو خمسين سنة ، فما رأيتُهُ زاغَ عن الشريعة المحمدية ، بل نشأَ في عفَّةٍ وعبادة ، وورعٍ وزهد ، وتلاوةِ قرآن وعلم .

أخذ العلمَ عن جماعةٍ من مشايخ الإسلام ؛ كالشيخ زكريا ، والشيخ برهان الدين بن أبي شريف ، والشيخ كمال الدين الطويل ، والشيخ سعد الدين الذهبي ، والشيخ عبد الحق السنباطي .

وأجازوه بالإفتاء والتدريس .

تولى القضاءَ بإشارة بعض الأولياء ، فكلما يعزلُ نفسَهُ يُعيدُهُ الولاةُ إلى القضاء ، فيسلِّم لأمر الله تعالىٰ .

وأجمعَ الناسُ علىٰ أنه ليسَ في مصر الآن مثلُهُ ، ولا مثلُ ابن محبِّ الدين المالكي في الدين والورع ، وقدَّموه علىٰ جميع أقرانه ، وقالوا : إنَّ القضاء يتعيَّنُ طلبُهُ علىٰ مثلك ؛ لما علموا من شدَّةِ دينه ، وعدمِ قبوله الرشوة من أحدٍ مطلقاً ، لا سرّاً ولا جهراً ، هـٰذا مع ضبط جوارحه عن المخالفات ، وكثرةِ تلاوة القرآن في المصحف نهاراً ، وليلاً في التهجُّد ، وما ضبطوا عليه قطُّ أنه حسدَ أحداً ، ولا ذكره بسوءٍ ، ولا زاحم علىٰ شيءٍ من مناصب الدنيا .

وأخبرني من يُخالطُهُ في الليل أنه لم ينمْ من الليل إلا قليلاً ، ثم يقوم للتهجُّد في دهليزِ داره .

وأخبرني المقدَّمُ أحمد الكافوري قال : ما مررتُ قطُّ مع الوالي في الليل إلا وجدنا الشيخ أبا البقاء يتلو القرآن خلف باب داره .

---

(١) في (أ) : (جنبلاق) ، وفي (ب) : (جبلات) بدل (جبيلات) ، وفي (د ، هـ) : (حبيلات) ، وفي (و) : (جيلات) ، والمثبت من (ج) .

ومما يؤيدُ ذلك : أنني لم أزل أرى الشيخَ أبا البقاء ساكناً في قبّةٍ كبيرة عظيمة في وسط تربةٍ واسعة ، يؤوِّلَ ذلك بحياته وموت جيرانه ؛ لقيامه بالليل ، وكثرة نومهم .

وأخبرني الشيخ شهاب الدين بنُ المخلطة صهرُهُ : أنهم ما ضبطوا عليه قطُّ أنه نام عند عياله بالليل سوىٰ لحظة واحدة .

ولما حججتُ سنة ثلاثٍ وخمسين وتسع مئة[١] ، قال لي أخي سيدي محمد الحنفي الشاذلي : مرادُنا أن نجتمعَ بأحدٍ من الأولياء بمكة ، فقلت له : إن هـٰذه حضرةُ الله تعالىٰ الكبرىٰ ، فلا يكادُ أحدٌ يظهرُ فيها ، ولـٰكن نسأل الله تعالىٰ أن يُطلعنا في هـٰذه الليلة علىٰ أحدٍ ممنِ اصطفاه لحضرته في هـٰذا الزمان ، ولا يعلم بنفسه ، وكنَّا في الحِجر تحت الميزاب في ليلةٍ مقمرة ، فتواطأت رؤيتُهُ ورؤيتي بين النائم واليقظان إذ دخلَ اثنا عشر رجلاً من فتحة الحجر الغربية ، وأمامهم شخصٌ طويل القامة يُنادي بأعلا صوته : هـٰؤلاء الاثنا عشر رجلاً ممن اصطفاهم الله تعالىٰ لحضرته ، ولا يعلمون بأنفسهم ، فكان أولَ داخل منهم الشيخ أبو البقاء هـٰذا ، ثم الشيخ حسن الحديدي بجامع الأزهر ، ثم الشيخ عبد القادر[٢] ، ثم الشيخ مبارك بسوق باب اللوق ، ثم بقية الجماعة ، فعلمنا بهـٰذه الرؤيا مقامَهُ في الولاية الكبرىٰ .

وعزلَ نفسَه مرة من القضاء ، فأَخبرتُ بذلك سيدي عليَّ الخواص رحمه الله تعالىٰ ، فقال لي : قل له يطلبُ القضاءَ بمحكمة جامع الصالح ؛ لقربها من بيت الوالي ؛ ليصيرَ يلاطفُ أرباب التُّهم والجرائم ؛ فإنَّ بيتَ الوالي قطعةٌ من نار جهنم ، وأنت جعلَكَ الله تعالىٰ رحمةً ، فسمع من الشيخ ، فلم يزلْ فيه إلىٰ وقتنا هـٰذا .

وعزله بعضُ قضاة العساكر لمَّا قالوا له : إنه طولَ عمره مشغولٌ بالعبادة ، ويفرِّطُ في المحصول ، فوقف أهلُ مصر للباشاه محمد ، وسألوه في ردِّه للقضاء ، ففعل ، وقالوا له : يا مولانا ، ليس في بلدك كلِّها مثلُهُ

فأسألُ الله تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله علماً وعملاً ، وزهداً وورعاً ، وخشيةً من الله عز وجل حتىٰ يلقاه وهو راضٍ عنه ، آمين اللهم آمين .

---

(١) تقدم الخبر في « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٢٦٥ـ٢٦٦) .

(٢) عبد القادر : كافل الشيخ عبد الوهاب الشعراني . انظر ترجمته (٤/ ٣٥٢) .

ومنهم :

(٨٦) الشيخُ الإمام ، العالمُ العلامة المحقق
صاحبُ العلوم المحررة ، والأخلاق الحسنة ، والأعمال المرضية
سيدي محمد ولد شيخنا الشيخ شهاب الدين الرملي رضي الله تعالىٰ عنه(١)

صحبته من حينَ كنتُ أحمله علىٰ كتفي إلىٰ وقتنا هـٰذا ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه ، ولا كان يلعبُ في صغره مع الأطفال ، بل نشأ على الدين والتقوىٰ ، والصيانة وحفظ الجوارح ، ونقاء العرض .

ربَّاه والده فأحسنَ تربيته ، مع زيادة التوفيق من الله عز وجل .

ولمَّا كنتُ أحمله علىٰ كتفي وأنا أقرأُ علىٰ والده العلمَ في المدرسة الناصرية كنتُ أرىٰ عليه لوائحَ الصلاح والتقوىٰ والتوفيق ، وحقَّق اللهُ تعالىٰ رجاءنا فيه ، وأقرَّ عينَ المحبين ؛ فإنه الآن مرجعُ أهل مصر في تحرير الفتاوىٰ .

وأجمعوا علىٰ دينه وصلاحيته وورعه ، وحُسن خُلقه ، وكرم نفسه ، ولم يزل بحمدِ الله تعالىٰ في زيادة من ذلك .

أخذ رضي الله تعالىٰ عنه العلمَ عن والده ، فأغناه عن كثرة التردُّد والتطفُّل علىٰ غيره ، وبثَّ فيه ما كان عنده من الفقه ، والحديث ، والتفسير ، والأصول ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، وغير ذلك ، فكانت بدايتُهُ كما قيل نهايةَ والده .

وقد أجمعَ القومُ علىٰ أنَّ المريدَ إذا صحَّ اعتقادُهُ في شيخه ، وقبل كلامَهُ بالإيمان والتسليم فقد ساواه في العلم ، وما بقي لمعلِّمِهِ عليه إلا مقام الإفاضة عليه من علومه لا غير .

وظهر أماراتُ كونِ والده بثَّ فيه جميعَ ما كان عنده من تحريرات العلوم لمَّا مات والده(٢) ، وجلس يدرِّس في جامع الأزهر بعده ، فإنه أبدىٰ لعلماء جامع الأزهر من

---

(١) انظر « خلاصة الأثر » (٣ / ٣٤٣) : (محمد بن أحمد بن حمزة شمس الدين) .
(٢) في (أ ، هـ ، و) : (كرامات) بدل (أمارات) .

علوم والده العجائب والغرائب ، وما تخلَّف عن درسه إلا من جهل مقداره أو عمَّه الحسدُ والمقت .

وقد بلغني : أنَّ بعضَ أصحاب الأنفس صارَ يُرسل بعض طلبته يكتبُ من سيدي محمد ما يتكلَّمُ به من المسائل المتناقضة ، ويكتبُ له ما يمشي عليه في الترجيح ، ثم يصيرُ يلقي ذلك في درسه ، ويُفتي به ، ولو أنَّ هـٰذا كان حضر سيدي [محمداً] حصلَ له خيرٌ كثير[١] ؛ ولذلك قالوا : لا ينالُ العلمَ مستحٍ ولا متكبِّرٍ ، قال الإمام الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه : لا ينالُ هـٰذا العلم بالغنىٰ وعزِّ النفس ، وإنما يُنال بالفقر وذلِّ النفس . انتهىٰ .

وسمعتُ من بعض طلبة والده أنه سمع والده يقول : تركتُ محمداً بحمد الله لا يحتاجُ إلىٰ أحدٍ من علماء مصر إلا في النادر .

ولم يزل رضي الله تعالىٰ عنه له الاعتقاد التامُّ في طائفة الصوفية تبعاً لوالده ، يُجيبُ عنهم بأحسن جواب .

وطالع كتابي المسمىٰ بـ : « العهود » من أوَّله إلىٰ آخره ، وكذلك « أسماء علوم القرآن » وهي ثلاثة آلاف علم .

وقدمَ إليه بعضُ الحسدة سؤالاً من مضمونه : أنَّني ادَّعيت الاجتهادَ المطلق ، فبادرَ بعضُ الناس ، وأنكرَ بلوغَ أحدٍ في هـٰذا الزمان إلىٰ مثل ذلك ، وتوقف وقال : ائتوني بالكتابِ الذي فيه ذلك أو بيِّنةٍ عادلة ، فأعجزهم ، فأسألُ الله تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله ، آمين اللهم آمين[٢]

---

(١) في النسخ : (محمد) بدل (محمداً) .

(٢) وقع في خاتمة الترجمة من (ب ، د ، و) : (توفي الشيخ محمد المذكور في يوم الأحد ثالث عشر جمادى الأول سنة أربعة بعد الألف ، رحمه الله تعالىٰ ، آمين) .

ولا يخفىٰ على القارئ أن هـٰذه الزيادة من تلامذة الشعراني أو من النساخ ؛ لأن وفاة الشعراني كانت سنة (٩٧٣هـ) وذلك قبل وفاة الشيخ محمد الرملي .

ومنهم :

(٨٧) الشيخ الإمام الكامل ، الراسخ في العلوم اللدنية والمنح المحمدية ، الكامل ابن الكامل ، سيدي محمد البكري رضي الله تعالىٰ عنه[١]

وشهرته تُغني عن تعريفه ، وماذا يقولُ القائل في حقٍّ من أفرغَ اللهُ عليه العلوم والمعارف والأسرار إفراغاً ، لم يصحَّ لأحدٍ من أهل عصره فيما نعلم أن الناسَ أجمعوا علىٰ أنَّه ليس علىٰ وجهِ الأرض أكثرُ علماً في مصر منه ، ولا في مصر مثله ، فلا يُنكر فضله إلا من عمَّهُ الحسدُ والمقت .

وقد أعطاه الله تعالى التكلُّمَ علىٰ أحوال السماوات والأرض ، نقلاً وكشفاً ، ويقيناً لا ظنّاً وتخميناً ، وهو جدير بقول بعضهم[٢] : [من السريع]

لَيسَ علَى اللهِ بمستنكَرٍ ... أنْ يجمعَ العالَمَ في واحِدِ

واجتمعت به مرات[٣] ، فما رأيتُ أوسعَ منه خُلقاً ، ولا أكرم نفساً ، ولا أجمل معاشرة ، ولا أحلىٰ منطقاً .

درس وأفتىٰ في علم الظاهر والباطن ، وأجمعَ أهلُ الأمصار علىٰ جلالته .

ونشأ رضي الله تعالىٰ عنه كما نشأ والدُهُ على التقوىٰ ، والورع والزهد ، وغنى النفس حتىٰ أتته الدنيا وهي راغمةٌ .

وأعرفُ من مناقبه ما لا يقدرُ الأقران علىٰ سماعه ، ولـٰكن سيظهرُ ذلك في الدار الآخرة ؛ فإنه بكريٌّ بيقين ، وأبو بكر رضي الله تعالىٰ عنه لا يُفارقُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كما لا يُفارق الظلُّ الشاخص ، ومن كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم بهـٰذه المنزلةِ لا تُحصىٰ مناقبُهُ .

ومما يدلُّ علىٰ صحة نسبه إلى الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما رأيتُهُ بمكة

---

(١) انظر «شذرات الذهب» (١٠/ ٦٣٢)، و«النور السافر» (ص٤١٤)، و«جامع كرامات الأولياء» (١/ ١٨٧)، و«الأعلام» (٧/ ٦٠).

(٢) أورد البيت الثعالبي في « يتيمة الدهر » (١/ ١٧٦) وعزاه لأبي نواس .

(٣) في (أ) : (وحججت معه مرتين) ، وفي (ج) : (وسافرت معه مرتين) .

المشرفة ، وذلك أنَّ بعضَ الحسدة ذكرَ سيدي محمداً بغيبةٍ ، فزجرته عن ذلك ، فلم ينزجر ، ثم رأيتُ الإمام أبا بكر الصديق رضي الله تعالىٰ عنه وهو يقول لي : جزاك الله تعالىٰ عن ولدي خيراً ، فعلمتُ صحَّةَ نسبه بذلك .

وكذلك وقعَ أنَّ شخصاً ذكرني بسوءٍ بحضرة الشيخ أبي الحسن رضي الله تعالىٰ عنه وهو ساكتٌ ، فعتبتُ عليه في نفسي ، فرأيت الإمام أبا بكر وهو يقول لي : أنا أستغفرُ الله تعالىٰ عن ولدي ، فرضي الله تعالىٰ عنه ، وعن والده . ونفعنا ببركاتهم ، آمين آمين اللهم آمين[١]

ومنهم :

(٨٨) الشيخ الإمام ، العالم العلامة
الورعُ الزاهد ، الخاشعُ الخائف من ربِّه عز وجل
الشيخُ بدر الدين ابنُ الطباخ الشافعيُّ رضي الله تعالىٰ عنه[٢]

صحبته نحو عشر سنين ، فما رأيتُ أحداً أكثرَ اطِّلاعاً علىٰ مذهب الصحابة والتابعين مثلَهُ ، ومَنْ بعدهم منه ، وله في ذلك من الحوادثِ من المسائل مؤلفاتٌ جيدة ، يذكرُ في كلِّ مؤلفٍ من النقول ما تقرُّ به العيون ، ورأيتُ فهرستها كرَّاسةً كاملة .

وله الباع الطويل في علم الأصول ، لا سيما علم الكلام ؛ فإنه أشعريُّ زمانه فيهما[٣]

أخذ رضي الله تعالىٰ عنه العلومَ عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، وعن شيخ الإسلام برهان الدين بن أبي شريف ، وعن شيخ الإسلام كمال الدين الطويل ، وعن الشيخ شرف الدين بن زروق ، وغيرهم ، رضي الله تعالىٰ عنهم .

---

(١) في هامش (ب) : (قلت : توفي العارف بالله تعالىٰ محمد بن أبي الحسن محمد بن جلال الدين محمد بن عبد الرحمـٰن البكري الصديقي الأشعري الشافعي الشهيرِ يوم الخميس سادس عشري شهر صفر سنة أربع وتسعين وتسع مئة . انتهىٰ عثمان) ، وذكر ابن العماد وفاته في «شذرت الذهب» (١٠/ ٦٣٢) سنة (٩٩٣ هـ) .

(٢) انظر «الكواكب السائرة» (٣/ ١٠٠) ، و«إيضاح المكنون» (١/ ٤٣٦) .

(٣) في (أ) : (أشهر) بدل (أشعري) ، وفي (و) : (فهماً) بدل (فيهما) .

وأخذ طريقَ القوم عن جماعةٍ ؛ منهم : الشيخ نور الدين المرصفي ، والشيخ أبو السعود الجارحي ، وغيرهما .

وله في الطريق وقائعُ عظيمةٌ تؤذن بكماله فيها ، وبلوغه مبلغ الرجال ، وأخبرني أنه كُوشف بمقدار عمره .

وله حرصٌ عظيم على إفادة العلوم لمن يجده أهلاً لها ؛ فإن لم يجدْ مَنْ هو أهل لذلك كتمه عنه .

وأخبرني عن الشيخ شهاب الدين الأذرعي[١] من أكابر الشافعية : أنه كان كذلك ، وربما قامَ من مجلس المناظرة مغلوباً وهو يعرفُ المسألة التي يقطع بها الخصمَ إذا لم يجدِ الخصمَ أهلاً لها .

ومن خُلقه قبولُ الفائدة ممن لا يصلحُ تلميذاً له ، ثم يصيرُ ينشرُ ذلك عنه ويقول : أفادني فلان كيت وكيت ، حتىٰ إنه ربما كنتُ أذكرُ له فائدةً من كلام القوم ، فيقول لي : اكتبها لي . فأفعلُ ، ثم يقرؤها ويقول : هـٰذا الكلام يُكتب بماء حدق العيون ، فتفجر الحدقة ويكتب ذلك بمائها

ومن خُلقه محبّةُ الخمول ، وعدم التظاهر بالأعمال الصالحة ، حتىٰ ربما يظنُّ غالبُ الناس أو طلبة العلم أنه جاهل .

وكان الشيخ أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه يقول : إذا بلغَ العارفُ الكمال في العرفان صارَ غريباً في الأكوان ، لا يعرفُهُ إلا من أشرف علىٰ مقامه ، وقليل ما هم ، ثم قال[٢] : [من الطويل]

وما غُربةُ الأَوطانِ في شُقَّةِ النَّوىٰ ولـٰكنَّهـا واللهِ فـي عَـدَمِ الشَّكْـلِ

فأسألُ الله تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله ، وأن ينفعني ببركاته في الدنيا والآخرة ، آمين اللهم آمين .

---

(١) في (أ ، ب ، ج ، د) : (الأودني) بدل (الأذرعي) .

(٢) البيت لأبي سليمان الخطابي، وانظر «يتيمة الدهر» (٤/ ٣٨٣)، و«معجم الأدباء» (٢/ ٤٨٨)، و«وفيات الأعيان» (٢/ ٢١٤).

ومنهم :

(٨٩) الأخُ الصالح ، الشيخُ الإمام ، العلامة الورع الزاهد الخاشع ، المهيب المنظر الشيخ شمس الدين العلقمي الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه[١]

أخذ العلمَ عن جماعةٍ ؛ منهم : الشيخ شهاب الدين الرملي ، والشيخ ناصر الدين اللقاني ، وغيرهما .

وأجازوه بالفتوىٰ والتدريس ، فدرَّس وأفتىٰ في الجامع الأزهر وغيرِهِ ، وانتفعَ به جماعة كثيرةٌ في تحقيق العلوم الشرعية والعقلية .

وله الاعتقادُ العظيم في أهل الطريق ، ويُجيبُ بأحسنِ جوابٍ لمن لا يفهمُ كلامهم .

وله عدَّةُ مؤلفات في الشريعة ؛ منها : كتاب « ملتقى البحرين » جمع فيه بين كلام الشيخين رضي الله تعالىٰ عنهما

صحبته رضي الله تعالىٰ عنه نحو عشرين سنة ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه ، قوّالاً بالحق ، ناهياً عن المنكر ، يواجهُ بذلك الأكابرَ والأصاغر ، لا يخافُ في الله لومةَ لائم .

وربما اجتمعَ عليه خلائقُ ، وتعصَّبوا عليه بالباطل ، فنصره اللهُ عليهم .

وله توجُّه عظيم في قضاء حوائج إخوانه ، إذا أصابَ أحداً منهم بلاءٌ لا يتهنَّىٰ بنومٍ ولا عيش حتىٰ يزولَ ذلك البلاء .

وما سمعتُه يذكرُ أحداً من أقرانه إلا بخيرٍ .

وعمَّرَ عدَّةَ جوامع في بلاد الريف ، ورتَّب فيها أربابَ الشعائر .

وما رأيتُه قطُّ يزاحم أحداً من أقرانه علىٰ دنيا أو جاهٍ أو صيتٍ .

---

(١) انظر « الكواكب السائرة » (٢/ ٤١) ، و« شذرات الذهب » (١٠/ ٤٩٠) ، و« الأعلام » (٦/ ١٩٥) .

وله تهجُّدٌ عظيمٌ في الليل .

ومناقبه رضي الله تعالىٰ عنه كثيرةٌ يعرفُها مَنْ خالطه باعتقادٍ ، رضي الله تعالىٰ عنه .

ومنهم :

(٩٠) الشيخ الإمامُ ، العالمُ العلامة ، الصالحُ النحويُّ الصوفي المفسِّر ، الشيخ شمس الدين الصفدي القدسي الواعظُ بجامع الأزهر وغيره ، رضي الله تعالىٰ عنه[١]

صحبته نحو ثلاثين سنة من حين كان شابّاً

ولم يزل من صغره يحبُّ العزلة عن الناس ، مُشتغلاً بالعلم والعمل ، حافظاً للسانه ، مُقبلاً علىٰ شأنه ، حتىٰ تبحَّر في العلوم الشرعية والعقلية .

وطلب طريق القوم ، فاجتمعَ علىٰ سيدي محمد بن عراق رضي الله تعالىٰ عنه ، وأقبلَ عليه إقبالاً عظيماً ، وفرحَ به أشدَّ الفرح .

ولم يلتفت إلى الدنيا ، ولا إلىٰ مناصبها من حين كان صغيراً إلىٰ وقتنا هـٰذا .

وما رأيتُه قطُّ يذكر أحداً من المسلمين بسوءٍ .

ومجالسُ وعظِهِ كلُّها خيرٌ وبركةٌ ، وخشوع وأدب ، تغشى الرحمةُ جميعَ من حضر فيه .

وما رأيتُهُ قطُّ يتردَّد إلىٰ أحدٍ من الولاة والأكابر ، ولا يتعرَّفُ إلىٰ من لا يعرفه .

وله درسٌ عظيم في جامع الأزهر وغيره ، وانتفعَ به خلائقُ ، فأسأل الله تعالىٰ أن ينفعَنا ببركاته في الدنيا والآخرة ، آمين اللهم آمين .

---

(١) انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ٨٠) .

ومنهم :

(٩١) الأخُ الصالح ، العالمُ العلامة ، القائم في دين الله تعالىٰ بالتأييد والنصر ، لا تأخذُهُ في الله تعالىٰ لومةُ لائم المهاجرُ بأولاده وعياله في طلب الزيادة من العلم الشيخ ناصر الدين الدمنهوري رضي الله تعالىٰ عنه[١]

ما رأيتُ في عصرنا كلِّه قط من هاجر من بلاده في طلبِ العلم هو وأولاده وعياله غيرَهُ .

وله حرصٌ عظيم على اتباع السنة المحمدية في أحواله كلِّها

ما رأيتُ بعد الشيخ شهاب الدين بن داود أحرصَ على اتِّباعِ السنة منه ، وصدَقَ واللهِ من لقَّبه بناصر الدين ؛ فإنه يكادُ يتميَّزُ من الغيظ إذا رأىٰ أحداً يُخالف السنة في قولِهِ أو فعلِهِ .

وقام في هدم الكنيستين بناحية لقانة وببلده حتىٰ هدمهما[٢] ، وعارضه في ذلك جمعٌ من الولاة ، وخذلهم الله تعالىٰ ونصرَهُ عليهم .

وما رأيتُ مثلَه في القيام بحقِّ الأخوة والصحبة والضيوف والواردين عليه في بيته ؛ لأنَّ بيته موردٌ للخاصِّ والعام .

أين ما حلَّ أفتىٰ ودرَّس العلم ببلاده ، وانتفع به خلائقُ ، ثم رحلَ إلىٰ مصر بقصد الزيادة من العلم .

وما رأيتُهُ قطُّ يأكلُ طعامَ أحدٍ من الولاة وأعوانهم .

وله تهجُّدٌ عظيم ، وأوراد عظيمةٌ كثيرة من الليل .

جميلُ المعاشرة ، حلو اللسان ، كثيرُ الحياء والأدب ، لا يكادُ يرفعُ بصرَهُ في وجه جليسه .

---

(١) انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ٨١) ، و« الخطط التوفيقية » (١١/ ٨٧) .

(٢) لقانة : من البلاد القديمة ، بمركز شبراخيت . « قاموس رمزي » (٢/ ٢/ ٣٠٨) .

فأسأل الله تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله ، وينفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة ، آمين اللهم آمين .

ومنهم :

(٩٢) الأخ الصالح ، العالمُ العلامة ، الورعُ الزاهد
الشيخ شهاب الدين الطريني الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه

نشأ رضي الله تعالىٰ عنه على العفَّةِ والزهد في الدنيا ، والورع ، والتخلق بالأخلاق الحسنة ، والتلبس بالشيم المرضية .

صحبته من نحو كان صغيراً ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه ، ولا رأيتُه أعرضَ عن الاشتغال بالعلم والأدب .

دخل مصر وأنا رجلٌ أُطالع في « شرح الروض » وغيره ، فتعلَّم الخطَّ ، وحفظ القرآن و« البهجة » في مدة يسيرة ، وشرع في شرح ذلك على الأشياخ ، ففتح اللهُ تعالىٰ عليه فتوحاً عظيماً حتىٰ صار يدرِّس العلمَ لأمثالي ، ويُفيدهم الترجيحات والنكت ، فالله تعالىٰ يزيدُهُ من فضله .

ومن جملة من أخذ عنهم العلم : الشيخ شمس الدين الدواخلي ، وشيخ الإسلام الشيخ كمال الدين الطويل ، والشيخ شهاب الدين الرملي ، والشيخ ناصر الدين اللقاني .

وأجازوه بالإفتاء والتدريس ، فدرَّس وأفتىٰ في حياة أشياخه ، وانتفع به خلائقُ لا يُحصون في جامع الغَمْري وغيره .

ومن حين صحبتُهُ ما رأيتُ عليه قطُّ شيئاً يشينه في دينه ، بل لم يزل على المروءة والنهضة والهمَّة ، وقضاء حوائج الناس ، ويقدِّمها علىٰ مهمات نفسه ، حتىٰ إنه يسافرُ إلىٰ ناحية المحلَّة الكبرىٰ في قضاء حوائج الفقراء ، ويتعصَّبُ لهم في الخير ، ويعينُ الفقراءَ على التزويجِ ، ووفاءِ الديون .

وله أعمالٌ سرِّية لا يطَّلعُ عليها إلا الله عز وجل .

فأسأل الله تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله ، آمين اللهم آمين .

ومنهم :

(٩٣) الأخُ الصالح ، العالمُ العلامة ، المُجمع علىٰ جلالته وكثرةِ نفعه للعباد ، حتىٰ كان سَدَاه ولُحْمَتُهُ خيراً الشيخ شهابُ الدين الطَّنيخي الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه[1]

صحبته من حين كان بلا لحيةٍ إلىٰ أن شابَ ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه ، بل رُبِّي على النقاء والطهارة الظاهرة والباطنة ، وتخلَّق بالأخلاق الحسنة .

ولم يزل من صغره إلى الآن حافظاً للسانه ، مُقبلاً علىٰ شأنه ، معظِّماً لإخوانه ، كريم النفس ، كثيرَ الحياء والأدب ، زاهداً ، ورعاً ، خاشعاً خائفاً من الله عز وجل ، يبكي إذا سمع بأحوالِ الصالحين .

وما رأيته قطُّ يزاحم علىٰ شيءٍ من وظائف الدنيا ، ولا يتردَّدُ إلىٰ أحدٍ من أهلها إلا لضرورةٍ شرعية .

وما سمعتُهُ قطُّ يذكرُ أحداً من المسلمين بسوءٍ .

أخذ رضي الله تعالىٰ عنه العلمَ عن جماعةٍ من أكابر العلماء ؛ منهم : الشيخ ناصر الدين اللقاني ، والشيخ شهاب الدين الرملي ، والشيخ شمس الدين الدواخلي .

وأجازوه بالفتوىٰ والتدريس ، فدرَّس وأفتىٰ ، وانتفع به خلائقُ .

وكان والده الشيخ محمود عبداً صالحاً من أهلِ القرآن والخير ، ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ﴾ [آل عمران : ٣٤] .

وله ولدٌ صالح اسمه عبد الرحمـٰن نشأ علىٰ خيرٍ وتقوىٰ وكمال ، وعلم وعملٍ ، وقرأ عليَّ كتاب « السنن الكبرىٰ » للبيهقي .

فأسألُ الله تعالىٰ من فضله أن يرقِّيه إلىٰ مقام والده وزيادة ، وأن ينفعَنا ببركاته وبركات والده في الدنيا والآخرة ، آمين اللهم آمين .

---

(١) انظر « الكواكب السائرة » (٢/٥٨) ، و« شذرات الذهب » (١٠/٤٩١) .

ومنهم :

(٩٤) الشيخ الإمام العلامة ، المفنن في العلوم النقلية والعقلية الشيخ نورُ الدين العسيلي[١]

صحبته نحو عشر سنين[٢] ، فرأيتُهُ علىٰ جانبٍ عظيم من الخشية لله تعالىٰ ، والبكاء عند سماع القرآن والمواعظ .

وله تهجُّدٌ عظيم في الليل ، وأورادٌ لا يطَّلعُ عليها إلا الله تعالىٰ ، ثم أهل الكشف ، وربَّما تهجَّد بنصف القرآن وأكثر في ركعة واحدة[٣] كما أخبرني بذلك بعضُ الصالحين ، فازددت فيه محبة .

وله حاشية عظيمة علىٰ كتاب « المغني » ، وله الباعُ الطويل في علم الكلام والعقائد .

والغالبُ عليه أحوال الملامتية ، فلا يكادُ أحد يعرف له مقاماً ؛ لأنَّ غالبَ أعماله قلبيةٌ وسرية ، وقلبه طوّافٌ بحضرة الله تعالىٰ ، حتىٰ ربما ذهلَ عن جليسه ، ولولا حجابُ المعاصرة علىٰ قلوب إخوانه لأبديتُ لأهل عصره من أخلاقهِ عجباً ، ولـٰكن يكفينا من أعماله الكرمُ ، وحسنُ الخُلق ، وكثرةُ الحياء والأدب ، ومحبّة الصالحين ، وحسنُ اعتقاده فيهم ، وكفُّ جوارحه عن المخالفات ، فالله تعالىٰ يزيدُه من ذلك أبداً ما عاش ، آمين اللهم آمين .

---

(١) في (و) وحدها : (العقلي) بدل (العسيلي) ، وانظر ترجمته في « الكواكب السائرة » (٣/ ١٨٠) ، و« شذرات الذهب » (١٠/ ٦٣٧) .

(٢) في (و) : (عشرين سنة) .

(٣) في (ج) وحدها : (وله تهجد عظيم بنصف القرآن . . . وربما تهجد بالقرآن في ليلة واحدة وأكثر في ركعتين) .

ومنهم :

(٩٥) الشيخُ الإمام ، العلامة المحقِّقُ ، الصالحُ الناسك الخاشع الزاهد ، الشيخ شهاب الدين بنُ حَجَر الشافعي نزيلُ الحرم المكِّي رضي الله تعالىٰ عنه[١]

أخذ العلمَ عن مشايخ الإسلام بمصر ، وأجازوه بالفتوىٰ والتدريس ، فدرَّس وأفتىٰ بجامع الأزهر ، والحجاز ، وانتفع به خلائقُ .

وهو أحد شهودي علىٰ شيخي الشيخ محمد الشناوي في إذنه لي بتربيةِ المريدين وتلقينِهم الذكر .

صحبته رضي الله تعالىٰ عنه نحو أربعين سنة ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه ، وما رأيتُهُ قطُّ أعرضَ عن الاشتغال بالعلم والعمل به

صنَّفَ رضي الله تعالىٰ عنه عدَّة كتبٍ نافعة محرَّرة في الفقه والأصول والمعقولات ، واختصر كتاب « الروض » لابن المقري ، وشرحه شرحاً عظيماً ، جمع فيه من الفوائد ما لا يُوجدُ في كتبِ شيخ الإسلام زكريا ولا غيره[٢] ، حتىٰ غارَ منه بعضُ الحسدة[٣] ، فسرقَهُ ورماه في الماء كما قيل ، فاستأنفَ الشرحَ ثانياً وكمَّله ، وشرح « الإرشاد » شرحين عظيمين ، وانتفع به خلائقُ في مصر ، والحجاز ، واليمن ، وغير ذلك .

وهو مفتي الحجاز الآن يقفون كلُّهم عند قوله .

وله أعمالٌ عظيمة لا يكادُ يطَّلعُ عليها إلا من خُلي من الحسد .

---

(١) واسمه : أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي : نسبة إلىٰ محلة أبي الهيتم من إقليم الغربية بمصر ، وانظر ترجمته في « الكواكب السائرة » (٣/ ١١١) ، و« النور السافر » (ص ٢٨٧) ، و« شذرات الذهب » (١٠/ ٥٤٢) ، و« خلاصة الأثر » (٢/ ١٦٦) ، و« الأعلام » (١/ ٢٣٤) .

(٢) في (ب) وحدها : (الفرائد) بدل (الفوائد) .

(٣) في (ب) وحدها : (عارضه) بدل (غار منه) .

ومن صغره إلى الآن لم يزاحم علىٰ شيءٍ من أمور الدنيا ، ولا تردَّدَ إلىٰ أحد من الولاة إلا لضرورةٍ .

فأسأل اللهَ تعالىٰ أن يزيده من فضله ، وينفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة ، آمين اللهم آمين[1]

ومنهم :

(٩٦) الشيخُ الإمام ، العالم العلامة ، الفقيهُ الفَرَضيُّ الشيخ شمس الدين السَّنهوري الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه[2]

صحبته نحو عشرين سنة ، فما رأيتُهُ علىٰ بدعةٍ ، ولا جالساً علىٰ حَدَثٍ ، وهو دائمُ التهجُّدِ في الليل بربع القرآن ، وله اليدُ الطولىٰ في علم الفرائض والحساب .

وشرح « التبريزي »[3] شرحاً عظيماً في مجلدين ، وله النظم الشائع .

أخذَ العلم عن مشايخ الإسلام ، وأجازوه بالفتوىٰ والتدريس ؛ منهم : شيخُ الإسلام زكريا ، وشيخ الإسلام كمال الدين الطويل ، وغيرهما رضي الله تعالىٰ عنهم ، وعليه المعوَّلُ الآن في العربية وفي الفتوىٰ رضي الله تعالىٰ عنه .

وله خُلقٌ عظيم ، واحتمالُ الأذىٰ ، وقناعةٌ .

وأكثر أيامه صائماً لا يفطرُ ، وما دعوتُهُ قطُّ لطعامٍ إلا وجدته صائماً .

وما رأيتُ في أقرانه أكثرَ محبَّةً منه للفقراء ، ولا أكرم نفساً ، فأسألُ الله تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله ، ويحشرنا معه في زمرته ، آمين اللهم آمين .

---

(١) في هامش (ب) : (قلت : توفي صاحب الترجمة شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري الشافعي بمكة في سنة إحدىٰ وسبعين وتسع مئة . انتهىٰ عثمان) .

(٢) انظر « هدية العارفين » (٢/ ٢٣٧) ، و« معجم المؤلفين » (٣/ ٤٤١) : (محمد بن عبد الله) .

(٣) في (هـ ، و) : (الترمذي) بدل (التبريزي) ، وفي « هدية العارفين » (٢/ ٢٣٧) : (له « شرح مختصر التبريزي » في الفروع) .

ومنهم :

(٩٧) الشيخ الإمام ، العالم الصالح ، الزاهدُ ، المُقبلُ علىٰ عبادة ربِّه المعتزلُ عن الناس في بيته امتثالاً لأمرِ الشارع في ذلك كمال الدين ابن الموقع رضي الله تعالىٰ عنه(١)

صحبته نحو ثلاثين سنة ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه
والغالبُ عليه الصمتُ .

أخذ العلم عن جماعة من مشايخ الإسلام ، وصحب الشيخ أبا الحسن البكري رضي الله تعالىٰ عنه ، وتخرَّجَ به في علم التصوف ، وتبحَّرَ في علم الأصول ، والتفسير ، والقراءات ، والنحو ، والمعاني ، والبيان .

وله عدَّةُ مؤلفات في هـٰذه العلوم .

وأجازه العلماء بالفتوىٰ والتدريس ، فدرَّسَ العلم مدَّةً ، ثم انقطع في بيته للعبادة .

وما سمعتُه قطُّ يذكرُ أحداً بسوءٍ ، ولا رأيتُهُ يتردَّدُ إلىٰ أحدٍ من الولاة وأبناء الدنيا ، ولا يزاحم علىٰ شيءٍ من مناصبها ، فأسأل الله تعالىٰ أن يزيده من فضله ، آمين .

ومنهم :

(٩٨) الشيخ الإمامُ ، العالم العلامة ، الورع الزاهدُ الشيخ تقيُّ الدين الأشموني الأقطعُ الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه(٢)

أخذ العلم عن الشيخ برهان الدين بن أبي شريف ، وعن الشيخ جلال الدين السيوطي ، وأجازاه بالإفتاء والتدريس ببلاد الأشمونين ، فدرَّس فيها وأفتىٰ .

ثم قدم مصر واستوطنها ، ودرَّسَ في المدرسة الخشابية نيابة عن الشيخ ناصر الدين

---

(١) انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ٧٣) .
(٢) انظر « الخطط التوفيقية » (٨/ ٢٥٠) .

الطبلاوي رضي الله تعالىٰ عنه ، وفي جامع ابن طولون رحمه الله تعالىٰ ، وفي جامع يونس خارج قناطر السباع ، وأفاد الطلبة علوماً جمة .

صحبته رضي الله تعالىٰ عنه نحو عشرين سنة إلىٰ وقتنا هـٰذا ، فرأيته يحفظُ نقولَ مذهب الإمام الشافعي عن ظهر قلب .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه في غاية الزهد والورع والخشية لله عز وجل وقيامِ الليل ، كثير البكاء من خشية الله تعالىٰ ، لا يكادُ يسمعُ شيئاً من القرآن ، أو شيئاً من أحوال السلف الصالح إلا ويبكي .

ولبس من ثيابي جبَّةً ، وقميصاً ، وقلنسوةً ؛ تفضُّلاً منه .

وقُطعتْ يده ظلماً علىٰ أيام خايربك ملك الأمراء في قصَّةٍ طويلة ، رضي الله تعالىٰ عنه وأرضاه ، وحشرنا في زمرته ، آمين اللهم آمين .

ومنهم :

(٩٩) الشيخ العالم ، الصالح الزاهد ، الشيخ جمال الدين ولدُ شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رضي الله تعالىٰ عنه(١)

أجمعَ الناسُ علىٰ صلاحه وزهده وورعه ، وما رأيتُ أصبرَ على الوحدة منه .

صحبته نحو أربعين سنة ، فلم أره قطُّ مُشتغلاً بما لا يعنيه في وقتٍ من الأوقات ، بل طول ليله ونهاره مُشتغلاً بالعبادة ؛ إما تلاوة القرآن ، أو علم ، أو تفسير ، أو قراءة ورد ، أو صامتاً مراقباً متفكِّراً في أمر معاده .

ورُبِّي في نزاهةٍ وطاعة ، وعدم الخروج عن دار والده .

وقد اجتمعتُ به بعد أن دارت لحيته ، فقال : طول عمري ما خرجتُ من الدار ، ومقصودي أنظرُ بين القصرين ، وبابَ زويلة ، فقلتُ له : إن شاء الله تعالىٰ يشربُ الشيخُ دواءً ، وأمشي معك إلىٰ ما ذكرت ؛ فإنَّ الشيخَ كان لا ينفكُّ عن مطالعة العلم والتأليف يوماً واحداً من حين كُفَّ بصره .

---

(١) انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ٢٢١) .

فمرض الشيخ ، وشرب دواء ، وخرجتُ معه إلىٰ ما طلب ، فرأى الكنافةَ ، فصار يتعجَّبُ ويقول : ما كنتُ أظنُّ أنَّ الكنافةَ تُعمل إلا في رمضان ، ثم قال لي : مقصودي أرى البحر ؛ فإنَّ عمري ما رأيتُ البحر ، ولا المراكب ، فخرجتُ لما مرض الشيخ ثاني مرة ، فصار يتعجَّب أشدَّ التعجب .

ثم بعد موتِ والده لازمَ خلوةَ والده في النهار ، فلا يركبُ إلا لزيارة والده ، أو للبيت ، ولا يتردَّدُ لأحد مطلقاً .

وهو ممن جبله اللهُ تعالىٰ على الأخلاق المحمدية ، وضبطِ الجوارح ، حتىٰ إنَّ كاتبَ الشمال في ظني لا يجدُ شيئاً يكتبه عليه في ليلٍ ولا نهارٍ ؛ لكثرة حضوره مع الله تعالىٰ ، وكثرةِ خوفه .

ودرَّس العلم في المدرسة الصلاحية بجوار الإمام الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه .

وبالجملة : فأخلاقُهُ وصفاتُهُ الجميلة لا تُحصىٰ ، رضي الله تعالىٰ عنه .

حضرتُ أنا وإياه علىٰ والده شرحَهُ علىٰ « رسالة القشيري » في التصوف ، وكتاب « آداب القضاء » و« آداب البحث » و« شرح التحرير » ، وغير ذلك .

رضي الله تعالىٰ عنه ولطف به ، آمين اللهم آمين(١)

ومنهم :

(١٠٠) الشيخ الإمام ، العالم الصالح
الشيخ بهاء الدين الشَّنْشُوري الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه(٢)

صحبته نحو عشرين سنة ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه .

وأعماله السريةُ أكثرُ من أعماله الجهرية ، ودرَّس العلمَ بجامع الأزهر وغيره .

والغالبُ عليه محبَّةُ الخفاء ، وما رأيتُهُ قطُّ يتردَّدُ إلىٰ أحدٍ من أبناء الدنيا إلا

---

(١) في هامش (ب) : (قلت : توفي صاحب الترجمة جمال الدين يوسف بن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي رابع ربيع الثاني سنة أربع وثمانين وتسع مئة . انتهىٰ عثمان) .

(٢) انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ٦١) ، و« شذرات الذهب » (١٠/ ٦٢٨) .

لضرورةٍ ، وما سمعته قطُّ يذكرُ أحداً من المسلمين بسوءٍ ، ولا يغتابه ، ولا يُزاحم علىٰ شيءٍ من الدنيا .

ولما كنتُ أسهرُ في الجامع الأزهر ليلةَ الجمعة مع الشيخ نور الدين الشوني كنتُ أدورُ الجامع في رياقة الليل ، فأجدُهُ إمَّا مُصلِّياً ، وإما قارئاً ، وإما يُطالعُ في العلم ، وإما جالساً واضعاً رأسَهُ في طوقه .

فكان يُعجبني حالهُ وحالُ الشيخ شمس الدين الرحماني[١] ، وحال الشيخ شمس الدين العبادي ، وحال الشيخ ناصر الدين الطبلاوي .

وما رأيت أكثر اشتغالاً منه ، رضي الله تعالىٰ عنه ، فأسألُ الله تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله ، آمين اللهم آمين[٢]

ومنهم :

(١٠١) الشيخ الصالح ، الورع الزاهد
الشيخ شمس الدين [الشيشيني] الشافعي رضي الله تبارك وتعالىٰ عنه[٣]

صحبته نحو عشر سنين ، وحضرت أنا وإياه علىٰ شيخ الإسلام زكريا رحمه الله تعالىٰ ، فقرأنا « شرح المنهج »[٤] ، و« شرح التحرير » ، وغير ذلك .

وأجازه بالإفتاء والتدريس ، فدرَّس وأفتىٰ بجامع الأزهر .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه عفيفاً نظيفاً ، ورعاً زاهداً ، خائفاً من الله عز وجل ، جميلَ المعاشرة ، حسن الخُلق ، تعلو الطلبة عليه أصواتهم ، ويخاطبونه بألفاظ الجفاء ، فيتحمَّلهم .

---

(١) في (هـ ، و) : (الترجماني) بدل (الرحماني) .
(٢) في هامش (ب) : (قلت : توفي صاحب الترجمة الشيخ بهاء الدين الشنشوري الشافعي سابع عشر ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وثمانين وتسع مئة . انتهىٰ عثمان) .
(٣) في (أ) : (النشيلي) بدل (الشيشيني) ، وفي (ب ، ج ، د) : (الششيني) ، وفي (هـ ، و) : (النبتيتي) ، والمثبت من « الكواكب السائرة » (٣/ ٨١)
(٤) في (أ) : (البهجة) بدل (شرح المنهج) .

وما سمعته رضي الله تعالىٰ عنه قط يذكر أحداً من إخوانه بسوء .

وكان شيخُ الإسلام رضي الله تعالىٰ عنه يحبُّهُ أشدَّ المحبة .

وكانت له عدة مؤلفات .

وما رأيتُهُ رضي الله تعالىٰ عنه قطُّ زاحمَ علىٰ وظيفةٍ ، ولا سأل أحداً فيما لا يعنيه .

وكنتُ إذا رأيتُ وجهه تذكَّرتُ أحوال السلف من النور والبريق الذي كان علىٰ وجهه رضي الله تعالىٰ عنه .

ومنهم :

(١٠٢) الشيخ العلامة، الشيخ بركات البرماوي الشافعي رضي الله تعالى عنه(١)

المقيم بناحية البرما بالغربية.

صحبته نحو عشر سنين، وسافرت معه إلى الحجاز فما رأيت أحسن خلقاً منه في تلك السفرة، ولا أكرم نفساً.

أخذ العلوم عن شيخ الإسلام زكريا، وعن شيخ الإسلام الشيخ كمال الدين الطويل وغيرهما.

وأجازوه بالفتوى والتدريس، فدرس وأفتى ببلاد الغربية.

وانتفع به خلائق، وله صبر عظيم على العزلة عن الناس، لم يزل جالساً في خلوته والباب مردود عليه، فإن جاءه أحد من الطلبة أو غيرهم لحاجة. . فتح له، وإلا ردَّ عليه الجواب ولم يفتح له.

وهو على جانب عظيم من سلامة الباطن، لا يكاد يظن بأحدٍ سوءاً، وإذا قيل له: إن فلاناً يفعل كذا من المعاصي يقول: هذا بعيد عن مثله، هو أعقل من ذلك.

---

(١) انفردت النسخة (أ) بهذه الترجمة.

ومجلسه في العلم مجلس أدب وحياء وخشية، لا يُذكر أحد من العلماء والصالحين إلا ويبجله ويعظمه، وهو [حفيد] الشيخ شمس الدين البرماوي شارح «البخاري»[(١)]

وكان له مكاشفات عظيمة، رضي الله تعالى عنه.

مات في شوال سنة ستين وتسع مئة، ودفن في زاويته، وقبره بها ظاهر يزار، رحمه الله ونفعنا ببركاته، آمين آمين.

ومنهم:

(١٠٣) الشيخ الإمام ، العالم العلامة الشيخ نور الدين المحلِّي الشافعي[(٢)]

المقيمُ بالمحلَّة الكبرى الآن .

أخذ العلم عن شيخِ الإسلام الشيخ كمال الدين الطويل ، وعن الشيخ شمسِ الدين المسيري ، وعن شيخنا الشيخِ شمس الدين الدواخلي بجامع الغَمْري بالقاهرة .

ودرَّس العلمَ وأفتىٰ بالمحلَّة ، ووعظ الناسَ ، وشرح عدَّةَ كتبٍ في فقه الشافعي ، وانتفعَ به خلائقُ لا يحصون .

وله توجُّهٌ تامٌّ إلى الله تعالىٰ ، وتهجُّدٌ في الليل ، ينامُ الأنسُ والجن في الليل ولا ينام ، وله أورادٌ عظيمة .

ولم يزل من صغره إلى الآن على الأخلاقِ الحسنة والأدب والحياء ، وكفِّ الجوارح عمَّا لا ينبغي ، يفرحُ إذا أدبرَ عنه الناسُ إلى الاشتغال علىٰ أحدٍ من أقرانه ، وهـٰذا من علامة إخلاصه رضي الله تعالىٰ عنه ، فأسألُ اللهَ تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله علىٰ

---

(١) ما بين معقوفين ضرورة ، لأن الشمس البرماوي شارح «البخاري» حياته (٧٦٣ـ ٨٣١ هـ) . انظر شذرات الذهب (٩/ ٢٨٦) .

(٢) في (أ) وحدها: (القدسي) بدل (المحلي). انظر «الخطط التوفيقية» (١٥/ ٧٤) ، وقد مرَّت بك ترجمةٌ في «الطبقات الوسطى» (٤/ ٤٢٨)، وفي «ذيل الطبقات» (٥/ ٧٦) لعَلَمٍ نُعت بـ(نور الدين المحلي) أيضاً ، فتأمل ، والشعراني هنا خالف منهجه . انظر الحاشية التالية .

ممرِّ الأوقات إلى الممات ، آمين اللهم آمين .

مات في شهر ذي القعدة سنة ثلاثين وتسع مئة ، ودفن في مقبرة المحلَّة ، رحمه الله تعالىٰ(١)

ومنهم :

(١٠٤) الشيخ الإمامُ ، العالم العلامة ، العامل الزاهد الصالح الشيخ شمس الدين المغربي الشافعي(٢)

المقيمُ بثغر رشيد رضي الله تعالىٰ عنه .

صحبته نحو عشر سنين ، فرأيته علىٰ قدمٍ عظيم في العلم ، والورع والزهد ، والخشية من الله عز وجل ، وحسنِ السيرة ؛ في حياءٍ وكرم نفس ، وكثرة أدب .

أخذ العلمَ عن جماعةٍ من علماء مصر ، وأجازوه بالفتوىٰ والتدريس ، فدرَّس وأفتىٰ بعد الشيخ شمس الدين الترجماني ، وانتفع به خلائقُ لا يحصون .

لم يزل مقبلاً على العلم والعمل من صغره إلىٰ وقتنا هـٰذا ، يُقري الضيف ببلاده لكلِّ واردٍ عليه ، ويحملُ الكَلَّ ، ويُعينُ علىٰ نوائب الحقِّ وراثةً محمدية .

إذا تكلَّمَ يكادُ يخطف القلوب من حلاوة كلامه .

علىٰ وجههِ رضي الله تعالىٰ عنه خشيةُ العلماءِ العاملين ؛ من كثرة البكاء ، ورقَّةِ القلب ، رضي الله تعالىٰ عنه .

---

(١) قد تقدم أن الشعراني عقد هـٰذا الباب لذكر مناقب جماعة من علماء العصر الأحياء ، وكان تاريخ إتمام الكتاب سنة (٩٦١هـ) ، والمترجم ممن توفي سنة (٩٣٠هـ) .

(٢) في (ب ، ج ، د) : (المغيربي) بدل (المغربي) ، والمثبت من (أ ، هـ ، و) ، و« الكواكب السائرة » (٣/ ٨١) .

ومنهم :

(١٠٥) الشيخ الإمامُ العلامة ، المعتزل عن الناس ، المُقبل علىٰ عبادة ربِّه الشيخ أبو الفتح بن الجلال الفوي الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه[1]

صحبته نحو عشر سنين ، فما أظنُّ أنَّ كاتبَ الشمال كتب عليه خطيئةً واحدة .

كثيرُ الصيام والقيام ، وحفظ الجوارح ، وكفُّ البصر .

أخذ رضي الله تعالىٰ عنه العلم عن جماعةٍ ؛ منهم : الشيخ شهاب الدين الرملي ، والشيخ أبو الحسن البكري رضي الله تعالىٰ عنهما

وأذن له الشيخ أبو الحسن البكري أن يحرِّرَ كتبَهُ بعد موته ، لِـما علمه عنه من تحقيق العلوم .

وما رأيتُ أحداً أصبرَ على الوحدة منه رضي الله تعالىٰ عنه ، أوقاتُهُ كلُّها معمورة بالخير ليلاً ونهاراً

وما رأيتُهُ يتردَّدُ إلىٰ أحدٍ من أبناء الدنيا ، ولا زاحم علىٰ وظيفةٍ دنيوية ، ولا ذكر رضي الله تعالىٰ عنه أحداً من أقرانه بسوءٍ ، ولا حسدَ أحداً منهم علىٰ جاهٍ ، رضي الله تعالىٰ عنه .

ومنهم :

(١٠٦) الشيخ الصالحُ ، الورع الزاهدُ ، العلامة الشيخ أبو بكر الجيزي الشافعي رضي الله عنه

صحبته نحو ثلاثين سنة ، فما رأيتُ أحداً من أقرانه علىٰ قدمِهِ في حفظِ الجوارح ، وكثرةِ الصمت ، والورع ، والزهد ، وربما يمكثُ رضي الله تعالىٰ عنه اليومَ الكامل لا يتكلَّمُ بكلمة لغو[2]

---

(١) انظر « الخطط التوفيقية » (١٤/ ٣٦١) .

(٢) في (ج) وحدها : (بكلمة واحدة) .

أخذ رضي الله تعالىٰ عنه العلم عن جماعةٍ ؛ منهم : الشيخ شهاب الدين الرملي .

وأجازه بالفتوىٰ والتدريس ، فدرَّسَ العلم في جامع الأزهر ، وانتفع به خلائقُ مجلسُهُ مجلسُ علمٍ وأدب ، وحياء وخشية .

زارني رضي الله تعالىٰ عنه في مكاني مرَّاتٍ[1] ، وحصل لي منه لحظٌ عظيم ، ولا أقومُ له رضي الله تعالىٰ عنه بجزاء في تلك الخطوات ، فأسأل اللهَ تعالىٰ أن يزيدَه من فضله ، وأن يحشرنا في زمرته ؛ ليأخذَ بيدي في عرصات يوم القيامة ، آمين اللهم آمين .

ومنهم :

(١٠٧) الأخ الصالح ، العالم العلامة ، الورع الزاهد الشيخ شمسُ الدين المحلي الشافعي[2]

أحدُ طلبة الشيخ شهاب الدين الرملي ، وغيره .

أخذ رضي الله تعالىٰ عنه العلمَ عن جماعات ؛ منهم : شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، والشيخ شهاب الدين الرملي ، والشيخ سعد الدين الذهبي ، والسيد الشريف شرفُ الدين موسى الكبير بزاوية الحطاب ، والشيخ ناصر الدين اللقاني ، والشيخ خليل النشيلي ، والكمال القادري ، والشيخ عبد الحق السنباطي رضي الله تعالىٰ عنهم .

وتفنَّنَ في العلوم ، وأجازوه بالفتوىٰ والتدريس ، فدرَّس وأفتىٰ ، وانتفع به خلائق ، وظهر علمُهُ وفضله للخاصِّ والعام .

وله الاعتقادُ التامُّ في طائفة الصوفية[3] ، والتهجُّدُ العظيم في الليل ، جميلُ

---

(١) في (هـ ، و) : (مرة) .

(٢) انظر « الخطط التوفيقية » (١٥/ ٧٥) ، وقد دمج ترجمة الشمس المحلي هـٰذا مع ترجمة سلام الفيومي التالية .

(٣) في (هـ ، و) : (في طائفة الفقهاء والصوفية) .

المعاشرة ، كريمُ النفس ، حسن الأخلاق ، ولم يزل في ازدياد إن شاء الله تعالىٰ .

صحبته نحو عشرين سنة رضي الله تعالىٰ عنه ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه ؛ بل تربّىٰ علىٰ تقوىٰ وورعٍ وخوفٍ من الله تعالىٰ رضي الله تعالىٰ عنه ولَطَفَ به ، آمين اللهم آمين .

ومنهم :

(١٠٨) الشيخُ الإمام ، العالم العلامة ، الصالح الورع الزاهد الشيخ سلام الفيومي رضي الله تعالىٰ عنه

صحبته نحو عشرين سنة ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه .

يحبُّ رضي الله تعالىٰ عنه الخمول ، ويكرهُ الشهرة ، قليلُ الكلام ، جميلُ المعاشرة ، حسنُ الاعتقاد في العلماء والصالحين .

وما سمعته رضي الله تعالىٰ عنه قطُّ يذكرُ أحداً من المسلمين بسوء ، ولا يزاحمُ علىٰ شيءٍ من أمور الدنيا . يقنعُ بالرغيف اليابس من غير إدام .

ولم يزلْ رضي الله تعالىٰ عنه معرضاً عن أبناء الدنيا ، لا يتردَّدُ إلىٰ أحدٍ منهم إلا لضرورةٍ .

أخذ رضي الله تعالىٰ عنه العلم عن جماعةٍ ؛ منهم : الشيخ العلامة عميرة ، والشيخ شهاب الدين بن عبد الحق ، والشيخ شهاب الدين الرملي ، وجماعة ، وتبحَّرَ في العلوم علىٰ يدهم .

وأجازوه بالإفتاء والتدريس ، فدرَّسَ وأفتىٰ في حياة أشياخه ، وانتفع به خلائقُ

وهو رضي الله تعالىٰ عنه من أشدِّ الناس حبّاً لطائفة الفقراء ، وأخبرني رضي الله تعالىٰ عنه بأمورٍ يجدُها عند مجالستهم تدلُّ علىٰ صدقِ الاعتقاد .

وقال : إنه يحصلُ له أنسٌ عظيم إذا جلسَ عند أحدٍ منهم ، حتىٰ يمتلئ قلبُهُ أنساً ، فأسألُ الله تعالىٰ أن يزيدَه رضي الله تعالىٰ عنه من فضله علماً وعملاً ، وزهداً وورعاً ، وأن ينفعَنا ببركاته ، آمين اللهم آمين .

ومنهم :

(١٠٩) الشيخ الإمام ، العالم العلامة ، الورع الزاهد سيدي يحيى المسيري رضي الله عنه[١]

ولدُ شيخنا الشيخ شهابِ الدين المسيري رضي الله تعالىٰ عنه ، رأسُ المدرِّسين بجامع الأزهر رضي الله تعالىٰ عنه

نشأ في علمٍ وأدب ، ونسك وعبادةٍ .

لي في صحبته نحو ثلاثين سنة ، من حين كان دونَ البلوغ ، فلم أرَ عليه شيئاً يشينه في دينه ، وما سمعتُهُ رضي الله تعالىٰ عنه يذكر أحداً بسوءٍ .

أخذ رضي الله تعالىٰ عنه العلم عن جماعةٍ من مشايخ الإسلام ؛ كالشيخ ناصر الدين اللقاني ، والشيخ شهاب الدين الرملي ، وأضرابهم ، رضي الله تعالىٰ عنهم .

وتبحَّرَ في العلوم ، وشرح « منهاج » النووي رحمه الله تعالىٰ شرحاً لطيفاً جمع فيه فوائدَ كثيرة .

وأجازه أشياخه بالإفتاء والتدريس ، فأفتىٰ ودرَّس ، وانتفع به خلائقُ رضي الله تعالىٰ عنه .

وهو من الكرمِ علىٰ جانبٍ عظيم ، وله اعتناء عظيم بقضاء حوائج الإخوان ؛ تبعاً لوالده رحمه الله تعالىٰ كما تقدم ذلك في ترجمته[٢]

وله الاعتقادُ العظيم في طائفة الصوفية ، وتهجُّدٌ عظيم في الليل .

وأما حلاوةُ منطقه ، وحُسنُ عشرته فأمرٌ عظيم لا يكادُ جليسُه يملُّ من طول مجالسته

وما رأيته رضي الله تعالىٰ عنه قطُّ يُزاحمُ علىٰ شيءٍ من أمور الدنيا ، ولا يذكرُ أحداً من أقرانه بسوءٍ ولا غيرهم ، فأسأل اللهَ تعالىٰ من فضله أن يزيدَهُ علماً وعملاً ، آمين اللهم آمين .

---

(١) انظر « الخطط التوفيقية » (١٥/ ١٣٥) .

(٢) تقدمت ترجمته (٤/ ٤٢٩) ، و(٥/ ٧٧) .

ومنهم :

(١١٠) الأخُ الصالح سيدي أحمدُ الإخنائي رضي الله تعالىٰ عنه

صحبته نحو نيّفٍ وأربعين سنة ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه ، بل نشأَ رضي الله تعالىٰ عنه في عفَّةٍ وخيرٍ ، وإكبابٍ على العلم والعمل ، وحفظِ الجوارح من الآفات .

كريمُ النفس ، جميلُ المعاشرة ، وما سمعتُهُ رضي الله تعالىٰ عنه قطُّ يذكرُ أحداً من أقرانه بسوءٍ .

وله تهجُّدٌ عظيم في الليل ، وله حرصٌ عظيم علىٰ إخفاء أعماله الصالحة حتىٰ لا يكادُ أحدٌ من إخوانه يطَّلعُ علىٰ شيءٍ منها .

ونمتُ في جامع الأزهر ليالٍ كثيرةً ، فكنتُ أطوفُ في الأروقة في الليل ، فأجدُ غالبَهم نائماً إلا هو ، فإمَّا يقرأ القرآن بتدبُّرٍ ، وإما يتفكَّرُ في أمرِ معاده ويبكي

أخذ رضي الله تعالىٰ عنه العلم عن جماعةٍ من مشايخ الإسلام ؛ كالشيخ عبد الحقِّ السنباطي ، والشيخ زكريا ، والشيخ برهان الدين بن أبي شريف ، والشيخ كمال الدين الطويل رحمهم الله تعالىٰ ورضي عنهم ، وتبحَّر علىٰ يدهم في العلوم ، وأجازوه بالإفتاء والتدريس ، وأفتىٰ رضي الله تعالىٰ عنه وانتفعَ به خلائقُ ، فأسألُ الله تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله ، آمين اللهم آمين .

ومنهم :

(١١١) الأخُ الصالح ، الورع الزاهد ، العالم العلامة الشيخُ إبراهيم العلقمي رضي الله تعالىٰ عنه[١]

أخذ العلم عن جماعةٍ ؛ منهم : شيخ الإسلام الشيخ شهاب الدين الرملي ، والشيخ ناصر الدين اللقاني ، والشيخ شمس الدين العلقمي ، والشيخ شهاب الدين البُلْقيني ،

(١) انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ٨٧) ، و« شذرات الذهب » (١٠/ ٦٣٦) ، **والعلقمي** : نسبة إلىٰ بلدة العلاقمة ؛ قرية من كورة بلبيس .

رضي الله تعالىٰ عنهم وأضرابهم ، وبرع في العلوم ، وأجازوه بالإفتاء والتدريس .

صحبته عدة سنين ، فرأيتُهُ علىٰ جانب عظيم من المروءة والعفة ، والزهد والورع ، وتلاوة القرآن .

وما سمعته رضي الله تعالىٰ عنه قطُّ يذكرُ أحداً من أقرانه ولا غيره بسوءٍ ، لم يزل مكبّاً على الاشتغال بالعلم والعمل ، فأسأل اللهَ تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله علماً وعملاً ، وزهداً وورعاً ، وأن يفسح في أجله حتىٰ ينفع المسلمين ، آمين اللهم آمين .

* * *

وقد بقي جماعةٌ كثيرة يضيق الزمان عن ذكرهم هنا ، ولـٰكن ذكرناهم في كتاب « المفاخر والمآثر في علماء القرن العاشر » وهو كتابٌ نفيس ، فمن أراد زيادةً علىٰ ما ذكرناه هنا فليراجعْه .

والحمد لله الذي هدانا لهـٰذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

* *

وأما مَنْ صحبناهم من السادة الحنابلة رضي الله تعالىٰ عنهم :

فمنهم :

(١١٢) سيدُنا ومولانا ، الشيخ الإمامُ ، العالم العلامة الشيخُ تقي الدين ولدُ شيخنا ومولانا شيخ الإسلام شهاب الدين الفتوحي الشهير بابن النجّار[١]

صحبته نحو أربعين سنة ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه ؛ بل نشأ في عفَّةٍ وصيانة ، ودينٍ وعلم ، وأدب ، وعبادة ونسكٍ .

وأخذ رضي الله تعالىٰ عنه العلم عن والده شيخِ الإسلام المذكور ، وعن جماعةٍ من أرباب المذاهب المخالفة ، وتبحَّرَ رضي الله تعالىٰ عنه في العلوم حتى انتهتْ إليه الرئاسةُ في مذهبه .

وأجمع الناسُ علىٰ أنه إذا انتقلَ إلىٰ رحمة الله تعالىٰ مات مذهب الإمام أحمد من مصر ، وسمعتُ هـٰذا القولَ مراراً من شيخنا الشيخ شهابِ الدين الرملي رحمه الله تعالىٰ .

وما سمعتُهُ رضي الله تعالىٰ عنه قطُّ يستغيبُ أحداً من أقرانه ولا غيرهم ، ولا حسدَ أحداً علىٰ شيءٍ من أمور الدنيا ، ولا يُزاحم عليها .

وولي القضاءَ بسؤال جميع أهل مصر ، فأشارَ عليه بعضُ العلماء بالولاية وقال : يتعيَّنُ عليك ذلك ، فأجابَ مصلحةً للمسلمين .

وما رأيتُ أحلىٰ منطقاً منه ، ولا أكثرَ أدباً مع جليسه ، حتىٰ يودُّ أنه لا يُفارقه ليلاً ولا نهاراً .

---

(١) انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ٩٤) ، و« شذرات الذهب » (١٠/ ٥٧١) ، و« النعت الأكمل » (ص ١٤١) ، و« السحب الوابلة » (ص ٣٤٧) ، و« مختصر طبقات الحنابلة » للشطي (ص ٩١) ، و« الأعلام » (٦/٦) .

وبالجملة : فأوصافُهُ الجميلةُ تجلُّ عن تصنيفي ، فأسأل اللهَ تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله علماً وعملاً وورعاً إلىٰ أن يلقاهُ وهو عنه راضٍ ، آمين اللهم آمين(١)

ومنهم :

(١١٣) الشيخُ الإمام ، العالم العلامة الصالح ، بقية السلف الشيخُ شهاب الدين البهوتي رضي الله عنه

صحبته نحو أربعين سنة ، فما رأيتُ عليه شيئاً يشينه في دينه ، بل نشأ في عبادةٍ وصلاح ونسكٍ ، وخدمةٍ للأولياء .

خدم الشيخَ القطبَ الغوث سيدي محمد الشربيني عشرَ سنين ، ووقع علىٰ يديه كراماتٌ وخوارقُ ، وكان الشيخُ يحبُّهُ حبّاً شديداً ، وأخبره أنه إذا ماتَ وغُسِّل لا يأخذُ أحدٌ من ماء غسله شيئاً إلا أبرأَ به الأكمهَ والأبرص والأجذم ، فتسامعَ أولياءُ عصره بذلك ، فصبُّوا عليه نحو أربعين جرَّةً من ماء البحر ، فلم يقع منها إلى الأرض نقطةٌ واحدة ، فعلموا أنَّ الأولياء تلقَّوه من على الدكة ، وأخذوه للتبرك رضي الله تعالىٰ عنه .

أخذ العلوم عن شيخ الإسلام الشيخ شهاب الدين الشيشيني ، وعن شيخ الإسلام الشيخ شهاب الدين الفتوحي ، وغيرهما .

وتبحَّر رضي الله تعالىٰ عنه في العلوم ، حتىٰ صار هو المرجع في المذهب هو وولده شيخ الإسلام المتقدم ذكره ، وانحصر علمُ المذهب فيهما في مصر وقراها

والغالبُ عليه إخفاءُ أعماله الزكية تبعاً لشيخه الشيخ محمد الشربيني ؛ فإنه من الملامتية رضي الله تعالىٰ عنه .

وله رضي الله تعالىٰ عنه تهجُّدٌ عظيم في الليل ، وغالبُ أيامه صائماً ، وما رأيت في

---

(١) وقع في هامش (ب) : (قلت : توفي صاحب الترجمة الشيخ تقي الدين محمد بن شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز الشهير بابن النجار الفتوحي الحنبلي تاسع شهر صفر اثنين وسبعين وتسع مئة . انتهىٰ عثمان) .

أقرانه أعفَّ ولا أزهدَ في الدنيا منه ، وإنَّما يتظاهر بمحبَّةِ الدنيا في بعض الأوقات ستراً لحاله ؛ فإني خالطتُهُ رضي الله تعالىٰ عنه زماناً مخالطةً طويلة[١] ، وعرفت حالَهُ .

ولما وقعَ التفتيشُ علىٰ أموال السلطان من جهةِ العمال والرزق والأوقاف جاءني وقال لي : مقصودي أنهم يفتشون أيضاً على الشريعة ، وينظروا ما نقصَ من أحكامها فيعيدوه ، ويأمروا الناس بالعمل به ، فكانَ ذلك سبباً لتأليفي الكتابَ المُسمّىٰ بـ « تنبيه المغترين في القرن العاشر علىٰ ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر » ، وهو كتابٌ نفيس ، ذكرت فيه هديَ الصحابة والتابعين ، والعلماء العاملين ، وبيَّنتُ فيه ما نقصَ من أعلام الدين .

وله ذوقٌ عظيم في طريق القوم ما أظنُّ أنَّ أحداً من علماء مصر شاركه الآن فيه ، ويعرفُ ألقابَ القوم كلَّها .

وقد أرسل من يقول لي رضي الله تعالىٰ عنه : إذا سألك أحدٌ حاجةً ، فاشركها بالصباغ ، فلم أعرفْ مرادَه بالصباغ ، حتىٰ أَعلمني أنَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنَّ حضرتَهُ صلى الله عليه وسلم صبَّاغةٌ لكلٍّ من دخلها بالخير ؛ لكونه رحمةً للعالمين .

وأما أهلُ الدوائر الكبرىٰ من الأولياء فيعرفهم ، ويعرفُ مراتبَهم ، حتىٰ كأنه تربَّىٰ بينهم . فأسألُ اللهَ تعالىٰ أن يزيدَهُ من فضله ، ويفسحَ في أجله لمنافع المسلمين ، آمين اللهم آمين .

وبقية أصحابنا منهم ذكرناهم في كتاب « المفاخر والمآثر في علماء القرن العاشر » ، فمن أرادَ علىٰ ذلك زيادةً فليراجعْهُ ، والله تعالىٰ أعلم .

* * *

(١) في (د ، هـ ، و) : (مخالطة شديدة)

خاتمة الكتاب

وليكن هـٰذا آخرَ كتابنا المُسمَّىٰ بـ « لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية » إلىٰ عصرنا هـٰذا وهو سنة إحدىٰ وستين وتسع مئة .

واعلم يا أخي : أنني لم أذكرْ من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين إلا من له كلامٌ في الطريق ، أو في حال يُنهضُ همَّةَ الطالب دون ضدِّ ذلك .

كما أني لم أذكرْ من الصوفية والعلماء الذين أدركتهم إلا من كان لي به صحبةٌ ، أو قرأتُ عليه شيئاً من العلوم ، أو أخذ عليَّ العهدَ كما مرَّ بيانه في صدر الكتاب[1] وفي مواضع في أثنائه .

وما تركت ذكر مناقب مَنْ تركت استهانةً بحقوقهم ، وإنما ذلك لما ذكرنا .

وقد أشار إلىٰ نحو ذلك سيدي عبدُ العزيز الديريني في منظومته السابقة أول الكتاب علىٰ مناقب الصوفية، وأول الكلام علىٰ مناقب العلماء ، فقال : [من الرجز]

وأذكـرُ الآنَ رجـالاً كـانـوا ... كـأنجـمٍ يَـزهـو بهـا الـزَّمـانُ
مشـايخـاً صحبتُهـمْ زمـانـا ... وزرتهـم تبـرُّكـاً أحيـانـا
قـدْ كـانَ لـي بـأُنسِهـم سلـوانُ ... ومـا نَسيـتُ عهـدَهـم إذْ بـانُـوا
ومـا سكـتُّ عـنْ سـواهـمْ صـدّا ... ولـمْ أُطـقْ حصـرَ الجميـعِ عـدّا

إلىٰ آخر ما قال .

وإيضاح ذلك : أنَّ الزمان لا يخلو في كلِّ عصرٍ عن وجود مئة ألف وليٍّ وأربعة وعشرين ألف ولي ، كما نقل ذلك عن الخضر عليه الصلاة والسلام ، وأخبرني أنه يجهلُ بعضَ هـٰؤلاء .

فأسأل الله تعالىٰ أن ينفعَنا ببركات كلِّ وليٍّ علىٰ وجه الأرض أو بطنها ، وأن يمدَّنا

---

(١) تقدم (١/ ٨٨) ، و(٣/ ٧) .

من مددِ جميعهم نحن وإخواننا ، وأن يحشرَنا جميعاً معهم ، وتحت ألويتهم ، ولا يخالفَ بنا عن طريقتهم .

وقد قالوا : أشقى الأشقياء من اجتمعَ بالعلماء والصالحين ولم ينتفعْ بشيءٍ من أحوالهم .

وقد ذكر سيدي عبد العزيز رضي الله تعالىٰ عنه مناقب أشياخه ، ثم أنشد هـٰذه الأبيات ، وهي لسانُ حالي أيضاً فقال : [من البسيط]

يا ويحَ قلبي وهىٰ جسمي وهىٰ شغفي ... بالقلب باقٍ كعانٍ باتَ مسجونا
مضـى الصِّبا وزماني والكهولةُ في ... عزمٍ يزيدُ علىٰ طولِ المدىٰ لِينا
والحالُ ما حالَ والتبريحُ ما برحتْ ... آثـارُهُ والهـوىٰ قـدْ زادنـي نـونـا
عبدَ العزيزِ صحبتَ الصالحينَ فهلْ ... وفَّيـتَ تـوفيـةَ القـومِ المجـدِّينـا
هلِ اتبعتَ الذين عاهدتَهمْ أبداً ... عليـهِ أمْ خنـتَ إسـرافـاً وتلـوينـا

وإنما ذكرت مناقبَ أقراني من الأحياء الذين آذوني ، وبالغوا في ذلك حتىٰ أُظهرَ حالهم للناس ؛ بياناً لما أعطاني الله تعالىٰ من الاحتمال ، وعدم الحقد والحسد على الإخوان ؛ فإنَّ غالبَ الناسِ لا يقدر على النُّطقِ بشيءٍ من مناقب أعدائه أبداً ؛ بل ربما لا يرىٰ له قطُّ محاسن حتىٰ يذكرَها ، فقصدتُ بذلك فتحَ باب الاقتداء بي في ذلك للإخوان ، فيذكروا مناقبَ أعدائهم ومن آذاهم ، ولا يَصُدَّنَّهم ذلك عن إعطائهم حقوقَهم .

فعليكم أيُّها الإخوانُ بالاقتداء بي في ذلك ؛ إكراماً للخلقِ من حيث كونهم عبيداً لله ومن أمَّةِ محمدٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أجد أحداً سبقني إلىٰ نحو ذلك .

* * *

فالحمدُ لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ ، وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلىٰ يوم الدين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

* * *

خواتيم النسخ الخطية

خاتمة النسخة (أ)

وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة نهار الخميس الذي هو من أيام شهر ذي الحجة المباركة سنة (١١٣٢هـ) .

خاتمة النسخة (ب)

كتبه أضعف عباد الله العلام ، وأحوجهم إلىٰ غفران الذنوب والآثام ، الواثق بربه الصمد ؛ الحقير **عثمان بن أحمد بن محمد الدميري** نسباً ، المالكي مذهباً ، خادم شريعة المصطفىٰ ، زاده الله شرفاً بمجلس الحكم العزيز بباب الشعرية بمصر المحمية .

ووقع التمام في يوم الخميس تاسع عشر شهر رجب الفرد الحرام الأغر الأغب الأصم الأصب الميمون من شهور سنة **تسع عشرة بعد الألف من الهجرة النبوية** ، والأعوام المصطفوية ، علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام إلىٰ يوم حشر الأنام ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، فهو نعم المولىٰ ونعم النصير .

خاتمة النسخة (ج)

وكان الفراغُ من تعليق هـٰذا الكتاب يوم الأربع المبارك ثامن عشر جُمادى الآخر سنة **اثنين وستين وألف من الهجرة النبوية** ، علىٰ يد مُكملها الفقيرِ إلى الله تعالىٰ **نور الدين عليِّ بنِ عرفات المحلي الحنفي الشناوي الأحمدي** .

اللهم اغفرْ له ولوالديه ، ولمن علَّمه ، ولوالديه ، ولمشايخه ، ولجميع المسلمين ، آمين آمين ، والحمد لله رب العالمين ، تم .

خاتمة النسخة (د)

تم وكمل على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى رحمة ربه الفقير **محمد** [. . .][١] **الشاذلي الحنبلي** ، زائر الصالحين غفر الله له ولوالده ولجميع المسلمين .

* * *

(١) ما بين معقوفين كلمة غير واضحة .

فهرس أسماء مترجمي الطبقات الصغرى
حسب ترتيب المؤلف

القسم الثالث

أصحابنا من علماء السادة الحنفية

أصحابنا من علماء مذهب الإمام مالك

أصحابنا من علماء مذهب الإمام الشافعي

أصحابنا من السادة الحنابلة

* * *

* * *

فهرس أسماء مترجمي الطبقات الصغرى ألفبائيا

- ب -

- ت -

- ج -

- ح -

- ز -

- س -

- ش -

- ص -

- ع -

- غ -

- ف -

- ك -

- م -

- ن -

* * *

فهرس الطبقات الصغرى

الفهارس العامة

فهرس الآيات الكريمة

٧ـ الأعراف

١٣ـ الرعد

رقمها	الآية	الصفحة
٢٤ـ٢٥	وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ	٢/ ١٥٦
٢٦	وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ	١/ ٤٧٠
٣٠	نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ	١/ ١٨٣، ٣/ ٧٤
٤٢	ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا	١/ ٤٧٢، ٣/ ٣٢٦
٤٤	نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ	١/ ١٨٣، ٣/ ٧٤
٤٦	بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ	٢/ ١٤٠

٣٩ـ الزمر

رقمها	الآية	الصفحة
٢ـ٣	فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ	٢/ ٧٧
٣	مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ	٢/ ٢٥٩، ٤/ ٩٩
٩	هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ	٢/ ٤٥٩
١٠	إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ	١/ ٤٤٨، ٢/ ١٩٤
١٤ـ١٥	قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ	٢/ ١٥٩
١٥	فَٱعْبُدُوا مَا شِئْتُم	٢/ ١٥٩، ١٦١
١٧ـ١٨	فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ . . .	١/ ٩٩
٣٠	إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ	١/ ١٨٥
٣٧	وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ	٢/ ١٨٣
٥٤	وَأَنِيبُوٓا إِلَىٰ رَبِّكُمْ	١/ ٣٦٩
٦٠	أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى	٣/ ٣٩٩

٤٠ـ غافر

رقمها	الآية	الصفحة
١٦	لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ	٢/ ٤٩٣
٣٣	وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ	٢/ ١٨٣

٤١ـ فصلت

رقمها	الآية	الصفحة
٢٣	وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى	٢/ ١٩١، ٣/ ٤٨٠
٣٠	إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ	١/ ٥١٧، ٢/ ٤٥٢
٣٥	وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ	٢/ ١٨٦

* * *

فهرس الأحاديث الشريفة

طرف الحديث	الصفحة
ـ سلني عن ملح عجينك	١/ ٤٢٠
ـ سمع الله لمن حمده	٢/ ٣٨
ـ سيد المجالس	٣/ ١٤

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

* * *

فهرس الأعلام

ـ ت ـ

- ث -

- ج -

ـ ح ـ

ـ خ ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

ـ ض ـ

ـ ط ـ

ـ ظ ـ

ـ ع ـ

ـ غ ـ

ـ ق ـ

* * *

فهرس الأمم والشعوب والجماعات والقبائل والفرق

- ق -

- ك -

- م -

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

ـ و ـ

- ي -

* * *

فهرس الكتب

* * *

فهرس الأماكن والبلدان والجبال والبحار والأنهار

- خ -

- د -

- س -

ـ ن ـ

* * *

فهرس الأيام والأحداث

* * *

فهرس الأمثال

* * *

فهرس الحيوان

* * *

فهرس الأوائل

* * *

فهرس الأشعار

الشطر	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
		الهمزة والألف اللينة			
إن مات من فوقي ومن	بقائي	الطويل	المنوفي	١	٣/ ٤٤٢
وما لي لا أنوح على خطائي	السماءِ	الوافر	النبتيتي	١٠	٢/ ٣٥٥، ٥/ ٢٥
نسيت اليوم من عشقي صلاتي	غدائي	الوافر	الشبلي	١	١/ ٣٩٠، ٣/ ٢٧٠
ليس من مات فاستراح بميت	الأحياءِ	الخفيف	-	١	١/ ١٦٧، ٣/ ٥٥
يا أيها الراضي بأحكامنا	الرضا	السريع	المنوفي	٤	٣/ ٤٤٢
		حرف الباء			
ولو قلت مت متُّ سمعاً وطاعة	مرحبا	الطويل		١	١/ ٣٤٢، ٣/ ٢٢٩
قوم إذا غسلوا الثياب رأيتهم	الأبوابا	الكامل	-	١	٢/ ٥٣٢، ٤/ ٤٧٢
يقولون لو راعيت قلبك لارعوى	قلوبُ	الطويل	-	١	٢/ ٤٥
كتبت ولم أكتب إليك وإنما	كتابِ	الطويل	الحلاج	٣	١/ ٤٠٤، ٣/ ٢٨١
فلست أبالي من رماني بريبة	مريبِ	الطويل	أحمد الرفاعي	١	١/ ٥٠٣، ٣/ ٣٣٥

الشطر	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
حرف الدال					
يا معشر العلماء يا ملح البلد	فسدْ	الكامل	ـ	١	٣/ ١٢٢ ٤/ ١١٩
أشهدت هاتيك المشاهد	واحدْ	م الكامل	أبو الفضل	١	٤/ ٢٧٧
أهيم بليلى ما حييت وإن مت	بعدي	الطويل	ـ	١	٢/ ٣٧٧، ٤/ ٢٠٣
ليس على الله بمستنكر	واحدِ	السريع	ـ	١	٥/ ١٥٣
حرف الراء					
القصد رمز فكن ذكيا	الأشايرْ	مجزوء البسيط	الكازواني	٢	٢/ ٥٠٢
فكن كافر وكن مؤمن	كافرْ	الهزج	الكازواني	٤	٢/ ٥٠٢
وإنا لقوم لا تفيض دموعنا	الظهرا	الطويل	معدكرب	١	١/ ٢٧٤، ٣/ ١٧٤
لا في النهار ولا في الليل لي فرح	قصرا	البسيط	ـ	٢	١/ ٣٠٣
فسيرك يا هذا كسير سفينة	تطيرُ	الطويل	ـ	١	١/ ٤٢٦
سألتني أيها المولى مديح أبي	الغررُ	البسيط	البجائي	٦	٤/ ٢٠٨
أنست بوحدتي ولزمت بيتي	السرورُ	الوافر	ـ	٣	٣/ ٤٤٢
فؤاد لا يقر له قرار	غزارُ	الوافر	عبد الغفار	٨	١/ ٥٤٨، ٣/ ٤١٩
توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سرٍّ	بالصخرِ	الطويل	ابن عربي	٣	٢/ ٢١٧ ٤/ ٧٥
لقد أصبحت نفسي تتوق إلى مصر	القفرِ	الطويل	الشافعي	٢	٣/ ١٤٠
سأطلب علماً أو أموت ببلدة	قبري	الطويل	الشافعي	٤	٣/ ١٤٠
للقمة بجريش الملح آكلها	بزنبورِ	البسيط	ـ	١	١/ ٢٨٩، ٣/ ١٨٩
لولا مدامع عشاق ولوعتهم	النارِ	البسيط	ـ	٢	١/ ٤٢٥

الشطر	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
إن رحت أطلبه لا ينقضي سفري	الحضرِ	البسيط	ـ	٣	١/ ٥٠٧، ٣/ ٣٩٨
أوليتني نعماً أبوح بشكرها	بأسرِها	الكامل	المنوفي	٢	٣/ ٤٤٣
إذا العشرون من شعبان ولت	بالنهارِ	الوافر	ـ	٢	١/ ١٠٠
ما حك جسمك مثل ظفرك	أمرِكْ	م الكامل	الشافعي	٢	٣/ ١٤٢

حرف الضاد

الشطر	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
يا أيها الراضؤي بأحكامنا	الرضا	السريع	ـ	٥	٣/ ٤٤٢

حرف العين

الشطر	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
شقع بقع	يقعْ	منهوك الرجز	الجعبري	٢	٣/ ٤٣٤
دع الحرص على الدنيا	تطمع	هزج	بهلول	٤	١/ ٢٨٦، ٣/ ١٧٦

حرف الفاء

الشطر	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
أعارته طرفاً رآها به	طرفها	المتقارب	ـ	١	٢/ ٢٤
نديمي غير منسوب	الحيفِ	الهزج	الحلاج	٤	١/ ٤٠٢، ٣/ ٢٧٩

حرف الكاف

الشطر	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
مثل لنفسك بيتاً أنت ساكنه	مركزكا	البسيط	أبو المواهب	٢	٢/ ٢٢١
إذا ما تجلى الحق من غير ذاته	شلكِ	الطويل	أبو المواهب	٢	٢/ ٢٢٢
ألم تعلم بأني صيرفي	محكي	الوافر	الصنافري	٣	٢/ ٦٦، ٢١٣، ٣/ ٤٥٤، ٤/ ٣١

حرف اللام

الشطر	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
تغير إخوان هذا الزمان	الخللْ	المتقارب	ـ	٣	٢/ ٢٣٦
أسائل عن ليلى فهل من مخبر	تنزلُ	الطويل	الشبلي	١	١/ ٣٩٣، ٣/ ٢٧٢

الشطر	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
وقلت لزهدي والتنسك والتقى	خلّوا	الطويل	ابن الفارض	١	١/ ١١١
تمسّك بأذيال الهوى واخلع الحيا	جلّوا	الطويل	ابن الفارض	١	١/ ١١١
استتار الرجال في كل عصر	جليلُ	الخفيف	ابن عربي	٢	١/ ١٠٤
وما غربة الأوطان في شقة النوى	الشكلِ	الطويل	أبو المواهب	١	٥/ ١٥٥
فما عرفنا ولا ألفنا	الوصالِ	مجزوء البسيط	علي وفا	١	٢/ ٥٠٣
قوم إذا غسلوا جمال ثيابهم	الغاسلِ	الكامل	الطبري	١	٢/ ٥٣٢
وطينوا الباب على أبي علي	ولي	الرجز	ـ	١	٤/ ٤٦٨
لا سيف إلا ذو الفقار	علي	مجزوء الرجز	ـ	١	٢/ ١٠٣
مقام النبوة في برزخ	الولي	المتقارب	ـ	١	٢/ ٢١٧، ٣/ ٧٤

حرف الميم

الشطر	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
وإذا تصحب فاصحب ماجداً	كرمْ	الرمل	ابن المبارك	٢	٣/ ١٣٢
ماذا تقولون إن قال النبي لكم	الأممِ	البسيط	ـ	٣	١/ ١٥٥، ٣٩ (٣)
فمبلغ العلم فيه أنه بشر	كلهمِ	البسيط	البصيري	١	٢/ ٢٢٩، ٣/ ٦٩
ولي نفس ستتلف أو سترقى	عظيمِ	الوافر	الحلاج	١	١/ ٤٠٣، ٣/ ٢٨٠

حرف النون

الشطر	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
تركنا البحار الزاخرات وراءنا	توجّهنا	الطويل	ـ	١	١/ ١١٢، ٢/ ٢٤٥، ٤/ ٨٧
أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى	فتمكّنا	الطويل	ـ	١	٢/ ٤٤٧
يا ويح قلبي وهى جسمي وهى	مسجونا	البسيط	الديريني	٥	٤/ ٤٧٧، ٥/ ١٨١
كل ذنب لك مغفور	عنّا	مجزوء الرمل	ـ	٢	٢/ ٣٣

حرف الهاء

حرف الياء

* * *

فهرس أنصاف الأبيات

* * *

فهرس المخمسات

* * *

الموشحات

* * *

شعر خارج الدائرة العروضية

الشطر	القافية	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
هذه جنازة عاشق	مات	ـ	١	٤/ ٤٣٠، ٥/ ٧٩
يا سعد قل لأصحاب الإدراك يرتقوا	عواجز	أبو خوذة	١	٤/ ٣٠٣
لا تعدلن الحراير حتى تكوني مثلهن	للناس	إبراهيم الدسوقي	١	١/ ٥٥٩، ٣/ ٣٦١
اقنع بلقمة وشربه	الخيش	محمد المغربي	٢	٤/ ١٦٠
شقع بقع	يقع	إبراهيم الجعبري	١	٢/ ٦١، ٣/ ٤٣٤
المليح قلبي عليه يخفق	يعشق	يعيش بن محمود	٨	١/ ٥٤٢
يا قاعدة في الطاقة	العجين	إبراهيم الجعبري	٢	٢/ ٦١، ٣/ ٤٣٣
يا فقيه فق فاقه	الناقه	ـ	٢	٢/ ٢٧٨، ٤/ ٥٠

* * *

شعر خارج الدائرة العروضية

الشطر	القافية	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
قد بلي القادوس بهم طويل	يسيل	-	٢	٣/ ٤١٣

* * *

فهرس أقوال الشعراني

* * *

فهرس الفهارس

* * *